

الجزء العاشر
السنة الثانية

المعرفة

فبراير سنة ١٩٣٣
شوال سنة ١٣٥١

مجلة — شهرية — جامعة

لمصاحبيها وناسريها ومحرريها المسئول

عبد العزيز الأسيدي

الربع

شمارها : اعرف نفسك بنفسك

المجلد

خاتمة السنة الثانية

بهذا الجزء العاشر من السنة الثانية ، أوالعدد الثاني والعشرين من حياة «المعرفة» : نختم السنة الثانية ، مفتبين أشد الاغتراب بما أصبح لنا أن نسام به في خدمة الثقافة العربية الشرقية الصحيحة : خدمة أقل ما توصف به ، أنها كانت في منأى عن الدجل والتهويل : بعيدة عن كل قصد مادي ، منزهة عن كل مأرب تجاري .

وإذا كنا قد تحملنا كثيراً من الخسائر المادية ، فإن هذه لم تكن لتنبط من عزائنا يوماً ؛ علماً منا بأن ذلك نصيب كل عمل يقوم لوجه الحق ، وبأننا أنشأنا « المعرفة » لخدمة الفكرة بحسب ، ففكرة الثقافة العربية ، وربط البلاد الشرقية ببعضها ببعض أولاً ، ومن ثم ربط الشرق بالغرب ثانياً ، وذلك بالعمل على نشر معارف الأول في الثاني ، واستخلاص النافع لنا من علوم الغرب ، واستصفاء ما يصلح لنا من مدنيته لنقوم به ببيان مدنيتنا .

لم تكن إذن — علم الله — نتظر ربحاً ولا مغنماً يمت إلى المادّة بسبب ؛ ولهذا صبرنا وسابرينا ونابرينا في سبيل نشر أفكارنا ، وبث المذاهب الفلسفية الصوفية الروحية العالية ، التي لا يدخلها الزيف أو يلبسها الزيف ، حتى حق لنا النصر ؛ ورأينا « المعرفة » تنفذ في

جميع بقاع العالم من شرفيه إلى غربيه ، بل تفتحهم أرجاء الشرق المحيطة البعد ، وتحتل من النفوس مكافة سامية ، ومن بعض الجامعات العلمية منزلة رفيعة ، ومن مؤتمرات المسلمين والمستشرقين جاباً عظيماً ، عز على غيرها الوصول إليه في عشرات السنين .

وإذا كان القراء قد تعودوا منا أن تصدر « المعرفة » اثنتي عشرة مرة في السنة — وهو ما فعلناه في السنة الأولى — ، ولم يروا ذلك متبعاً في هذا العام ؛ فرجع هذا إلى ما رأيناه من فرصة سانحة لخدمة قرائنا ؛ من خدمة الشرق والعربية ، من طريق التربية والتعليم ؛ وإيقاف أبناء الشرق عامة ، والعرب خاصة ، على ما كان لأجدادهم من فضل في نشوء مذاهب التربية والتعليم ؛ وما أشد ما يحصل بنهضتنا الحديثة ، التي تأثرنا فيها الغرب دون الشرق . وهذه الفرصة التي سنحت لنا ، أتيت على أثر ما وقفنا عليه لدى العالم الفذ وكبير المربين ، الأستاذ أحمد فهمي العمروسي بك ، من جبهة البحوث والمحاضرات القيمة ، التي تناول فيها مذاهب عدة ، ونواحٍ مختلفة في التربية والتعليم والفنون الجميلة الخ ، مما تراء موضحاً في غير هذا المكان ؛ منها ما نشر ، ومنها ما لم ينشر بعد ، فاستأذنا « العمروسي بك » في جمعها وطبعها وتقديمها إلى قراء « المعرفة » كهدية خاصة للسنة المقبلة ، فنفضل مشكوراً ، مؤثراً « المعرفة » على غيرها بهذا الكثر الثمين ، مختصاً إياها بنشره وطبعه .

فلما أن بدأنا العمل وجدنا أن الكتاب سيقع في ٤٠٠ أربع مائة صفحة من حجم « المعرفة » تقريباً ، فرأينا أن نسمح له من وقتنا بعض الشيء ، لإظهاره في ثوب يمر قراء « المعرفة » ، ثم تبين لنا بعد ذلك أن هذا العمل يستغرق شهراً ونصف شهر ، فأثرنا جعله ملحقاً « للمعرفة » يعرض قراءها عن جزأى مارس وإبريل من سنة ١٩٣٣ ، وما ختام السنة الثانية في النظام القديم . وإذا كنا سننضح من وقتنا قرابة شهرين ، فضلاً عما سنشكك من نفقات كثيرة في سبيل طبع الكتاب وإخراجه في صورة فنية ، وهي نفقات تكفى — على أقل تقدير — لضعف نفقات عديدين من « المعرفة » ، فنحن نتقبل هذه التضحية الجديدة بصدر رحب ، مضيفيها إلى سابق ما ضحينا به في سبيل المبدأ الذي أخذنا أنفسنا به . ولنستطيع — في الوقت ذاته — أن تقتنع بعض الوقت للقيام بتحقيق ما اعترمناه من تحسينات جديدة ، سندخلها على « المعرفة » في سنتها الثالثة إن شاء الله ؛ وأهمها القيام بأبحاث مبتكرة ، ورحلات قصيرة ، واستجاء قوى مدخرة لاستحداث عناصر جديدة في العمل ، سواء أكان منها ما يتصل بالآلات الطباعة ومعدات الإدارة ، أم بإخراج بعض المؤلفات ، وأقنين التحرير والتجديد والتنويع والتدوين ؛ إن في العلوم والآداب ، وإن في الفلسفة والفنون من مستحدثات العصر الحديث ؛ وما لا يشك في أن نصيب القراء منه سيكون أكثر مما كان في الماضي بأذن الله .

ونحن ننتهز هذه الفرصة لتسجل على أنفسنا عاطر النناء وجزيل الشكر لحضرة صاحب العزة أستاذنا الأكبر « المعروفى بك » على هذه الهدية الثمينة .

صبر اعز المحبر منبرها

ولعل من الخير أن نصارح حضرات فرائنا بشيء مما صادفنا من العثبات ، التي كادت تذهب بحياة « المعرفة » ، لولا يقين وإيمان بالله جازمان ، ووثوق وإطمئنان إلى ما ندعو إليه . نذكر شيئاً من هذا تاركين ذكر عقبات أخرى وضعها في طريق « المعرفة » ثمر من الناس لقتلها وهي جنين لم يولد ، وعرقلتها وهي عقلة لم تحب ، لكن الله أبى إلا خذلانهم وإزهاق بآلهم ونصرة الحق الذي تدعو « المعرفة » إليه ، وتأخذ نفسها بسبيل الدفاع عنه .

وهذا الذي سنصارح القراء الكرام ببعض منه ، قد لا يقل عما تقدمه أهمية ، وقد لا يعرفه أكثر الناس ، بينما هو يؤثر في عمل الصحفي المصري التزيه أشد تأثير . وآية ذلك أن « الصحافة المصرية » تعاني أكثر مما تعانيه صحف العالم أجمع ، من أعباء جسام ، ومن أقال وأوصاب ، ومن متاعب وآلام ، أقل ما توصف به ، أنها تقيد « الصحفي التزيه » بقيود ثقيلة ، وتهد من عزيمته هدأ ، بل فيها ما يقوض صرح الآمال ، ويدعو « الصحفي المصري » إلى الفرار من ميدان القلم الملوث ، ونشيدان الحرب من حلبة الملوك والرباه والنفاق ، التي يكون نصيبه منها دائماً نصيب الجواد الخاسر ، والتي كثيراً ما خلقت له الاعسار والقلق والحيرة والضيق .

إن الصحفي التزيه القلم ، العف اللسان ، الحى الضمير ، الطاهر اليد والذمة ، لتتجسر نفسه وتنفذ كبده ، من رؤية بعض هذه الجوع المناجرة تترامح حوله ، متألبة عليه ، جاحدة ناكرة ، مذبذبة مناقدة . تسولة مستجدية ، تفرر بالشعب ، وتفرز بقول أبنائه ، وتلعب بقلوب رجاله أجمعين . وإن هذا الذي يعانيه « الصحفي التزيه » يصور لك حقيقة مهنته تصويراً دقيقاً تعلم منه حائل الله ادبح التي تجثم على كتفيه ، فلا والله إننى لأريد من وراء هذا التصوير المأول أن أغضب أحداً . فاحمل العب ، كاهل إنسان ، وإنما أريد أن أقص عليك أيها القارىء الكريم فصول رواية هي المأساة العنيفة ، بل هي « الدراما » التي تجدد كل يوم على المسرح ، حتى تضع يدك على موضع النار التي تأكل طائفة من مواطنيك الذين احترقوا صناعة القلم .

في الصحافة المصرية الشريفة التزيه — التي لا يستجدي أصحابها الاشتراكات ، ولا يتملقون أميلاً ولا وزيراً ، ولا أدون كبيراً أو صغيراً — جنوح إلى توجيه الأذهان المصرية توجيهاً علمياً

فوميًا شريفًا يشغلها عن كل خذل دخيل ، أو دياه مستتر ، وفيها نزوع إلى تنوير العقول تنويراً يسمو بها على الدجل والحسد والتخمين .

والصحفى الزرية حين يتوجه إلى أبناء أمته بما تضرره نفسه من أحاسيس ، وما يحقد في ذهنه من خواطر ، وما يفيض به وجدانه من أسباب الإصلاح ، إنما يشعر من سوبدائه أنه يخاطب جمهوراً يفهمه ، وأمة تعمل من متباين الآمال والآلام مثل ما يعمل ، فهو إذن يرسل صوته إلى أئمة القلوب ، لأنه صوت صادر عن قلبه ، لا تعبد ولا تكاف فيه .

والصحيفة المصرية الشريفة أيضاً ، حين تشق طريقها إلى الوجود ، إنما ترى لزاماً عليها أن تكون لسائقاً صادق التعبير عن خواج الشعب ، صادق الأداء لما يريد ، ويدعو إليه ، ويجب أن يكون عليه ، فهي إذن لا تهتف بالريح كمناء ماتتهف بالإصلاح ، وهي إذن لا تدعو إلى خديعة ، ولا تجرى وراء مغنم ، وإنما تدعو إلى الخير والإصلاح ، فيوضح النهار ، وفي ظل ماتدأب على إذاعته من مبدأ ، غير متلبدة ، ولا متذبذبة ، ولا خاطرة ، ولا متأرجحة بين كفتي الميزان . هذا هو الصحفى المصرى الشريف الزرية ؛ وتلك هي الصحيفة المصرية الشريفة الزرية .

فهل بلغ كلاماً حياة الهدوء ، وهل أصاب من حياته ما يمتنى ؟

إن الصحفى الزرية يعيش في جو من الفاقة ، كما يعيش في جو من الأحلام والآلام ، لأنه لا يعرف هذا القلم القدر — قلم التسول والاستجداء أو المديح والهجاء — حتى يستطيع احتاله ، وحتى يخرج به آراء تجارية لا تجدى ولا تقيد ، وإنما تهدم الأخلاق وتبيد .

وإن الصحيفة المصرية الشريفة لتعيش في جو من الفاقة ، وفي جو آخر من الضيق ، لأنها لا تستطيع أن تكون مسرحاً يقف على خشبته كل سفاه ، ويلابس التمثيل عليه كل مهرج . فهل خلق الصحفى المصرى الزرية ليكون ناعساً ؟ وهل خلقت الصحيفة المصرية الشريفة لتكون من سقط المناع . . . ؟

انوافق أن الصحفى المصرى يملك لنفسه خصائص فلما يستطيعها صحفى في الوجود ، فهو في أكثر أمره ، أديب يجيد دراسة الأدب ، ويحذق صناعة الكتابة ، وهو ، إلى أدبه هذا ، ذكر يدرك هممة النسيم ، وومضة الطيف ، ويستخرج منهما — لو أراد — عاصفة قوية ، وضوءاً باهر الاشعاع ، وهو ، مع ذلك ، محدث يستطيع أن يحمل الأيكم على مزاوله الكلام ، وهو بعدئذ أمين على إذاعة أمتة في الوضع الذى لا يظورها أمام الشعوب ، وكأنها جماعات من آكلى الأحذية والزجاج والتمابين . . . !

فما هو سر إخفاقه ؟ وما هو سر بؤسه ؟

أكبر اليقين عندي أن إخفاقه يعود إلى عقيدته الزرية التي أوحى إليه أن يكون مصرياً صميمياً

في مصريته ، وأن يكون داعية من دعاة الإصلاح ، وأن يكون رجلاً روحانياً لا يعنى بتتاع الدنيا قدر ما يعنى بتوفير السعادة لأمته ، وتأدية رسالته في صدق وإخلاص .
وهذه العقيدة ، أو قل هذه العقائد المجتمعة ، قلما يعنى باعترافها أولئك الذين اندسوا في الصحافة — سواء أكانوا مصريين أم غير مصريين — ليؤلفوا من بينهم عصابة من حملة الأفلام ، توحى إلى الشعب المصري أبشع مآثوحى به النفس الشريرة من سواك .
وهذه العصابة المفترضة ماذا جنت منها مصر ؟ اللهم إنها لم تجن منها غير الشر والوبال ، فتمت شر هائل منبت به عقول المصريين من هذا الطعام الفاسد ، الذي يقدمه إليهم طهارة لا يعنيههم أ كانت عاقبة الطعام مخرقاً لهذه الهياكل : أم كانت عاقبته سحراً لما فيها من خلجات الحياة ، وتمت وبال هائل تحقق للمصريين من أولئك الأدعياء الذين يسارون الريح حيثما تتجه أو تسي . ولكن : هل آمن المصريون بأن هذا الشر سيقضى عليهم ، وأن هذا الوبال سيدفع بهم إلى مواطن الهلاك ؟

يبدو لي أن سواد الشعب قد آمن بهذه الحقيقة المرة ، فأعرض بعض الاعراض عن كل صحيفة من هذا النوع ، ولكن خاصة الشعب ، وإن آمنت مع السواد بهذه الحقيقة ، إلا أنها لم تعمل حتى اليوم في ذمة تهذيبها عملاً حاسماً .

وأية ذلك أنك ترى صحفاً تعطل بين الحين والحين ، وهي لا تعطل بأمر تصدره الحكومة — كما كان متبعاً من قبل — غصب ، وإنما تعطل بأيدي أشباه العقلاء ، وأشباه العلماء ، وأدعياء الأدب والتعليم ، لأن الصحيفة المصرية التزيتية تبدأ بنفسها عن أن تكون مسرحاً للتنريح لهؤلاء ، فهم لهذا يحاربونها ولا يتورعون عن اختلاسها ، وأكل حقوقها ، والاحتتيال عليها بقرائنها دون ثمن ، والخاصة أنهم يأبون إلا الحصول عليها لقمة سائغة . . .

وإذا كان تعطيل الصحيفة يهيء لصاحبها ومن يعمل فيها — وهم عشرات من أصحاب الأسر الكبيرة — سبيلاً إلى الفاقة والعوز والضيقة ، فإن هناك صحفاً أخرى ليست معطلة ، ولكنها تمع في خضم من الفاقة ، لأنها تبعت بأعدادها تبعاً إلى من اشترك فيها من أشباه العقلاء ، حتى إذا ما مضى الحول ، وأرسلت وراءهم رسلها ليحملوا منهم قيمة الاشتراك ، كان من شأنهم أن يعبسوا في وجوه الرسل ، وأن ينكروا حتى ملليات اشتراكهم المعضاة من حضراتهم ! بل ينكروا وصول الأعداد إليهم ، ولو شهدت دور البريد بعكس ما يقولون ، بل ينكروا إنكاراً صريحاً على هذه الصحيفة تناول حقها ، وإن يكن هذا الحق في مجموعه لا ينهض بأقلام الكليات التي يستطيعها أقلام شأنا في يوم واحد . . .

أليس هذا تعطيلاً آخر لرسالة الصحف المصرية التزيتية ، وعملاً شنيعاً لحياء الصحف المستهترة . . . ؟

إن الصحفي المصري التزيتي لا يستطيع لنفسه أن يسير الصحف الأخرى في عملها حيال من ينكر عليها حقها ، أو يدعو إلى ابتلاعها ، فلا يرضى أن يذيع أسماء أولئك الذين يأكلون

الحق بالباطل ، وهو لا يتعقّبهم بقلمه ليَهتك هذه العثرات الدنيئة . . . ولكنه في ظل هذه العواطف النبيلة لا يرى إلا الأوصار .

ونحة ناحية أخرى تلقى على هذا الظلام قبساً من النار التي يحترق الصحنى التزيه بجذواتها المنقذة ، .. ذلك أن الحكومة تعضد صحفنا معينة ، منها الطيب ومنها الخبيث ، باشتراكات سخية تزجى إليها كل عام ، أو باعلانات قضائية كل دورة : وهذه الاشتراكات أو هاتيك الاعلافات كريمة وحدها بتغذية الصحيفة تغذية مادية طوال الحول كله . . .

أما الصحيفة التزيه التي لا تتلون بأى لون حكوى ، فمن حقها أن تصيب النكوص حين تنجبه إلى الحكومة ، بما لها من حق ، لتسألها أن تمدّها بأشياء هذه الاشتراكات . ولعمري إن « الصحنى المصرى التزيه » الذى ينادى بحكومتها العون ، إنما يريد أن يبلغ بهذا العون شأنه السكّال في عمله ، أما الصحنى المنسول فانه حين يحتمل من حكومتنا هذا العون السخى ، إنما يدخره ليكون آخر الأمر من رجال المال : أو يصبح من ذوى اليسار والمرتب الذى يكفل له العيش في رفاهة وهناء ، ولتذهب الثقافة بألوانها مع الريح !

والآن ، فلندع ذلك كله ، فليس من طبيعتنا - علم الله - النظر إلى مثل هاتيك التوافه ؛ وإنما ذكرنا ما ذكرنا في هذه الكلمة المرة النائرة ، التي أملاها على القلم تأثر للحق أن ياحقه بأمل ، وحرص على كرامة العلم أن يصيبها هوان ؛ ليتعظ من يتعظ ، ويعتبر من يعتبر . وبعد ، فإنا نعتذر إلى حضرات القراء الكرام ، عما أشغلناهم به من شأن قد يرونه شأننا نحن ، وهو في الحق شأننا وشأنهم ، إذ ليست « المعرفة » ملكاً لشخص معين .

ونختتم كلمتنا هذه بتقديم شكرنا الجزيل إلى حضرات الذين أخلصوا « المعرفة » ، ولقينا منهم كل عون ، سواء أ كانوا من المشتركين الذين أدوا إليها حقوقها ، أم من الأساندة : الكتاب والأدباء والشعراء وقادة الرأي والفكر ، الذين ساهموا معنا بأوفر نصيب ، وقامت « المعرفة » على بحوثهم الفينة ورسالاتهم الرائعة .

وأخيراً فإنا في سبيل الفكرة والمبدأ أنشأنا « المعرفة » ، وفي سبيل الفكرة والمبدأ ضحينا ماضينا ، وفي سبيل الفكرة والمبدأ فضحى وسنضحى حتى آخر رمق من حياتنا ، مادامنا نعمل لما ندعو إليه من حق ويقين . وسنظل في المستقبل ، كما نحن الآن ، ندأب في حزم وعزم ، وفي قوة وفتوة ، وفي همة وشباب . لا نعرف السكّال ولا الملل ، حتى يتحقق مثلنا الأعلى ، أو قدم آخر رمق من حياتنا وأرواحنا قربانا على مذبح الحق المقدس ، فلما إلى الصدر وإما إلى القبر . وسنظل شعارنا دائماً : « اعرف نفسك بنفسك »

فأما حياة تبتت الميت في البلى وتنبت في تلك الرموس رفاتي

وإما ممات لا قيامة بعده ممات لعمري لم يقس بمات

وإلى اللقاء القريب إن شاء الله ...

فاتحة دروس

الفلسفة الإسلامية*

بقلم الأستاذ مصطفى عبد الرزاق

أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب

من المستشرقين من يريدون بالفلسفة الإسلامية الزعات اليونانية في التفكير الاسلامي. ويهدون لدرس هذه الفلسفة باستنباط خصائص تفصل بين المزاج العقلي السامي والمزاج العقلي الآري ...

فيقول (ريزان) مثلاً، في كتابه. عن ابن رشد ومذهبه: «إن خواص النفس السامية تنجلي في انسياق فطرتها إلى التوحيد من جهة الدين، وإلى البساطة في اللغة والصناعة والفن والمدنية؛ أما النفس الآرية فيميزها ميل فطري إلى التعدد والتعجام التأليف»
ويقول مؤلف حديث اسمه (مسيو لافي Lapié) في كتاب له عنوانه «المدنيات التونسية»: «إن النفس السامية تختلف في شعبيها العنليعين: اليهود والعرب. فالنفس اليهودية منساقفة بفطرتها إلى المستقبل، والنفس العربية منساقفة بفطرتها إلى الماضي، فهما متناقضتان، والنفس الأوروبية تختلف عنهما معاً»

ولا يرضى هذا الخبر ولا ذلك (مسيو جوتي Gauthier) أستاذ تاريخ الفلسفة الإسلامية في جامعة الجزائر، فهو يريد أن يميز بين الجنس السامي والجنس الآري بخصائص أخرى؛ فيقول في كتابه «المدخل إلى درس الفلسفة الإسلامية»

* Introduction à l'étude de la philosophie Musulmane

«في كل مظاهر النشاط الانساني من أدناها كسائل الطعام واللباس، إلى أعلاها كالنظم السياسية والاجتماعية، تنجلي في الجنس الآري من ناحية والجنس السامي معتبراً في أخلاص أنواعه — أي النوع العربي — نزعات أساسية متقابلة. العقل السامي يجمع بين الأشياء متناسبة وغير متناسبة مع تركها منفصلة من غير رباط يصلها، متفكلاً بينها بوثة مباغتة من غير تدرج. أما العقل الآري فعلى عكس ذلك يولف بين الأشياء بوسائط متدرجة لا يتخلى واحد إلى غير. إلا على سلم متداني الدرج، لا يكاد يحس تنقله».

ومنى ثم لهذا التريق من المستشرقين وضع الحدود الفاصلة في نظرهم بين العقل السامي والعقل

هذا البحث الجليل الشأن هو فاتحة دروس الفلسفة الإسلامية التي ألقاها الأستاذ الكبير السيد مصطفى عبد الرزاق، في كلية الآداب بالجامعة المصرية.

الآرى حتى لا تتلاقى منازعتهما ، ذهبوا يبينون أن الاسلام دين قوى فى ساميته جداً ، فلا يمكن تصور نظام دينى أشد منه معارضة لفلسفة اليونان القوية فى آريتها جداً . وكان أول واجب على الفلاسفة المسلمين أن يوفقوا بين هذين التيارين المتقابلين ، بحكم أنهم مسلمون متمسكون بدينهم ، وبحكم أنهم فلاسفة همهم أن يثبتوا مذاهب الفلسفة اليونانية .

ويقول مسيو جوتي : « إن الفلاسفة الاسلاميين لم يألوا جهداً فى القيام بواجبهم من هذه الناحية ، وقد أبدوا فى ممارسته — على ما فيه من دقة وعناء — خصباً منقطعاً النظير من مهارة وقاد وبعد نظر . ورأيهم فى ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال هو السائد على أنظارهم الفلسفية ، وهو معقد الطرافة فى هذه الفلسفة اليونانية الاسلامية . »

وبين الأستاذ بعد ذلك أن الفلسفة اليونانية هى التى سافت فلاسفة الاسلام إلى هذا الاتجاه ، وهى كانت مستمد عناصره ، وذلك بأن فكرة التوفيق بين الفلسفة والدين هى فكرة مزج واتصال ، وليس غير التفكير الآرى لمحاولة الاتصال بوسائط متدرجة فى سلسلة متتابعة بين ضدتين هما : الاسلام دين الفصل ، وفلسفة الوصل اليونانية .

ووراء هذه الطائفة من المستشرقين طائفة أخرى تقرر أن المراد بالفلسفة الاسلامية : النزعة اليونانية فى الحكمة الاسلامية ، مع اعتبار ما بذله مفكرو الاسلام من جهود عقلية مبهية على ما كان معروفًا فى عصورهم من معانى البحث العلمى لتحصيل صورة علمية عامة للكون ، أو جهود بذلت على الأقل لبحث مسائل متصلة بتصور شامل للعالم . وهى بهذا الاعتبار ينبغى أن تعتبر من الفلسفة .

هذا قول الأستاذ (هرتن) محرر الفصل الخاص بكلمة « فلسفة » فى دائرة المعارف

الاسلامية " Hoerta Insyclopedia De Islam "

وبعد أن قرر أن هذا التعريف ينطبق على علم الكلام " La théologie speculative " بين أن تقدير قيمة الفلسفة الاسلامية يتوقف على تعرف ما فى منهاج فلسفة أرسطاطاليس من يقص كلمته تلك الفلسفة الاسلامية . ثم بين أن من مميزات هذه الفلسفة أن رجالها مؤمنون إيماناً راسخاً بأن الاسلام هو أكمل ما أنزل به الوحي السامى . فالنبي فكشف له حجب الغيب عن حقائق ربانية لا يصل إليها العقل ثم يبلغها للناس . أما الفيلسوف فينتهى بعقله الضعيف إلى بعض تلك الحقائق من غير حيدة عن تمام الانسجام مع ما جاء به القرآن ، وفلاسفة الاسلام كما نأى عن السنة حجاج عن الدين .

ونأى بعد ذلك لمذاهب مؤلفى العرب فى معنى الفلسفة الاسلامية ، فنجد فيهم أمثال

« الشهرستاني » الذين يرون : أن فلاسفة الاسلام قد سلكوا كلهم طريقة أرسطاطاليس في جميع مذهب إليه ، وانفرد به ، سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأى أفلاطون والمتقدمين . أما ابن خلدون فيقول في المقدمة :

« اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأُمصار تحصيلًا وتعليمًا ، هي على صنفين : صنف طبيعي للانسان يهتدى إليه بفكره ، وصنف قلبي يأخذه من وضعه . والاول هي العلوم الحسكية الفلسفية ، وهي التي يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ، ويهتدى بمداركة البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره ويبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر . والثاني هي العلوم النقلية الوضعية ، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول ... »
ويقول ابن خلدون أيضاً :

« وأما العلوم العقلية التي هي منبعية للانسان من حيث إنه ذو فكر : فهي غير مختصة بجملة ، بل يوجه النظر فيها إلى أهل الملل كلهم ، ويستوون في مداركها ومباحثها ، وهي موجودة في النوع الانساني منذ كان همران الخليقة ، وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة . »
وبعد أن بين العلوم التي تشتمل عليها الفلسفة ، وقصدي لتاريخ الفلسفة قبل عهد الاسلام ، جاء الى عصر المأمون فذكر العناية باستخراج علوم اليونانيين وترجمتها ثم قال :
« وعكف عليها النظار من أهل الاسلام وحذقوا في فنونها وانتهت إلى الغاية أنظارهم فيها ، وخالقوا كثيراً من آراء المعلم الاول واختصوه بالرد والقبول لوقوف الشهرة عنده ، ودونوا في ذلك الدواوين ، وأدبروا على من تقدمهم في هذه العلوم »

وخلاصة رأى ابن خلدون : أن الفلسفة الإسلامية تقوم على آراء فلاسفة اليونان ، خصوصاً أرسطاطاليس ، مشروحاً غامضها ، مصححاً ما فيها من خطأ مكملًا نقصها .
وهذا الرأي غير بعيد من رأى الاستاذ هرتن ، غير أن ابن خلدون يرى أن هذه الفلسفة بعيدة عن الاسلام بمد كل فلسفة عن كل دين خصوصاً في قسم الالهيات وهو قسم عظيم من أقسام الفلسفة :

« لأن مسائل علم الكلام إنما هي عقائد متلقاة من التريعة كما نقلها السلف من غير رجوع فيها إلى العقل ولا تعويل عليه ، بمعنى أنها لا تثبت الآن ، فإن العقل معزول عن الشرع وأنظاره وما تحدث فيه المتكلمون من إقامة الحجج فليس بحثاً عن الحق فيها ، فالتعليل بالدليل بعد أن لم يكن معلوماً هو شأن الفلسفة ، بل إنما هو التماس حجة عقلية : تعضد عقائد الايمان ومذاهب

السلف فيها ، وتدفع شبه أهل البدع عنها الذين زعموا أن مداركهم فيها عقلية ، وذلك بعد أن تفرض صحيحة بالأدلة العقلية كما تلقاها السلف واعتقدوها ، وكثير ما بين المقامين : وذلك أن مدارك صاحب الشريعة أوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الأنظار العقلية ، فهي فوقها ومحيط بها لاستمدادها من الأنوار الإلهية ، فلا ندخل تحت قانون النظر الضعيف والمدارك المحاط بها ...»

ومن أجل اعتماد الفلسفة الإسلامية — كسكل فلسفة — على العقل وحده ، كانت غير شرعية ، وكانت في نظر الشرعيين — كالغزالي — مابين أبحاث مستغنى عنها لتكفل علوم الدين بمجاهات به ، وأبحاث ضارة غير نافعة من الوجهة الدينية ، ولم يسلم من الحرج الديني عند هؤلاء من أقسام الفلسفة إلا الرياضيات .

ولسنا نذكر فضل المستشرقين على الفلسفة الإسلامية ، فإن أبحاثهم الحافلة بفنون المعارف ودقائق الأنظار ، الآخذة بأسباب المناهج الحديثة في الدرس ، هي من أهم المراجع في دراستنا الناشئة ولا غنى لنا عنها .

اسكننا فلا حظ أن حكاية السامية والآرية ، التي يفتن بها بعضهم ، وهي شبيهة بحكاية الشعوبية وما إليها مما فتن الناس في عهد الاسلام حينما ، لا تعتمد — برغم عرضها في صورة البحث العلمي — على سناد علمي ، وإنما هي فروض مضطربة لا تخلو — عند التحجيس — من عصبية وهوى ؛ وقد ذكر الشهرستاني في كتاب «الملل والنحل» ما كان معروفاً في زمنه من النظريات الخاصة بأجناس العالم فقال :

« من الناس من قسم أهل العالم بحسب الأقاليم السبعة ، وأعطى أهل كل إقليم حظه من اختلاف الطبائع والأقسام التي تدل عليها الألوان والألسن . ومنهم من قسمهم بحسب الأقطار الأربعة ، التي هي الشرق والغرب والجنوب والشمال ، ووفر على كل قطر حقه من اختلاف الطبائع وتباين الشرائع . ومنهم من قسمهم بحسب الأمم فقال كبار الأمم أربعة : العرب والعجم والروم والهند ، ثم زواج بين أمة وأمة ، فذكر أن العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد ، وأكثر ميلهم إلى تترير خواص الأشياء ، والحكم بأحكام الماهيات والحقائق واستعمال الأمور الروحية ؛ والروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد ، وأكثر ميلهم إلى تترير طبائع الأشياء والحكم بأحكام الكميات والكيفيات واستعمال الأمور الجسمية » (١)

وبدل ذلك على أن هذا البحث العتيق لم ينته بالباحثين إلى اتفاق ؛ ولعله لن يزال متجدد

النظريات حتى يحده الله من نفوس البشر عصبية الأجناس والألوان .
ونلاحظ أيضاً أن وجهة المستشرقين في درس الفلسفة الإسلامية هي وجهة ضيقة، وأنهم
إنما يتعرفون نسبتها إلى الفلسفة اليونانية وأثر هذه الفلسفة فيها . وذلك يجعل البحث عن كيان
الفلسفة الإسلامية والإمام بأطرافها وتنبع نشأتها وأطوارها في المحل الثاني من عنايتهم .
أما الباحثون في الفلسفة الإسلامية من علماء الإسلام فهمهم أن يعرفوا نسبتها إلى العلوم
الشرعية ليدلوا على موضع التعارض ويردوه ؛ وليس هذا ولا ذاك مرمى بحثنا .
وجهة بحثنا في هذه البحوث هي أن نستخرج بواكر التفكير الفلسفي الذي يعتمد على
العقل وحده في الجماعة الإسلامية منذ نشأة الإسلام، وتتبع تطوره في عهوده المختلفة حين
انصل ببعض علوم الدين، وحين امتاز عنها ، مع اعتبار العوامل التي كان لها أثر في هذه التغيرات .
وإذا خفنا من أن تضيق عبارة الفلسفة الإسلامية بمعناها الاصطلاحي ، عن أن نضع
هذا البحث ، فقد يكون من الأخذ بأسباب الوضوح في البيان أن ندعو موضوع دراستنا :
النظر العقلي وأطواره في الإسلام .

مصطفى عبد الرزاق



من والد حزين الى ولد دفين

لعمري سائر مرسي شاكر الطططاوي

[قالها في رثاء ولده أحمد برهان شاكر، اثنوا في سن العشرين]

برهان ! أنهى كتاب العبد بحمله	صمت أراه على الآلام مستندي
فقد غنيت به عن شرح واقعة	كادت تنور على حلمي ومعتدي
لولا يقين وإيمان بطالعي	يوماً ألافك فيـه غير متدد
فما سئمت فراقاً أنت شارع	إلا لحكمة ماقررت من جلد
كم ذا أحسك طيفاً في مشاهدتي	ولا أمسك ضيفاً حل بين يدي
أودعت قلبي أرضاً كنت تسلكها	وعشت فيها بلا قلب ولا كبدي
وما زعت ثياب الموت بالية	إلا ارتديت لباس الغير من جدد
سبحان من شفع البلوى بطائفة	من الخلود تقيم الذكر في خلدي

(م - ٢)

في الشعر — عر والشعراء

لناسبة وفاة المرحومين: « حافظ » و « شوقي »

١ - هل أهرث موت الشعراء قرائاً ؟

٢ - ما يرى مستقبل الشعر والشعراء ؟

في العدد الماضي من هذه المجلة ، وضجنا هذا الاستفتاء الذي قمنا به منذ شهرين تقريباً ، والغرض منه التعرف إلى آراء كبار الكتاب والشعراء ، في هذا الموضوع الذي كان في الأصل يتضمن ثلاثة أسئلة ؛ فاقصر جميع الذين حادثننا على الجواب عن السؤالين الأولين ، أما السؤال الثالث وهو : من من شعرائنا الحاليين أجدر بزمامة الشعر ؟ فلم نعث له على جواب ؛ وهذا ما توجهنا به إلى القراء لاستفتائهم فيه (أنظر ص ١١٧٩) . ونحب أن نذكرهم بأننا نشرنا في الجزء الماضي آراء حضرات الأساتذة : إبراهيم عبد القادر المازني ، وألفولون الجليل ، وعلى الجارم ، ومحمد حسين هبكل ، ومحمد المرأوي . وفي هذا الجزء نشر آراء حضرات الأساتذة : طه حسين ، وخليل مطران ، وأحمد الإسكندري .

رأي الأستاذ الإسكندري

الأستاذ الشيخ أحمد الإسكندري ، من دهاقين الأدب العربي ، وفي الذروة من أعلامه الممدودين ، وهو نسيج وحده ، لأن له في دراساته أسلوباً ومنهجاً فريداً في نوعها ، وهو يجمع ، إلى هذا كله ، دقة البحث ، وحسن الترتيب ، وعميق الاستقراء ، وسلامة الذوق ، وصحة الاستنتاج . ثم هو ، به ، ذلك أيضاً ، من أئمة اللغة الذين يؤخذ برأيهم ، ويعتجج بأقوالهم ، ويوثق ببحوثهم ، ويكاد يرقى أكثر الأساتذة في مصر طلاباً ؛ بل لعلك تدهش ، حين تعلم ، أن أكثر الأساتذة المدروسين — الذين يراملونه بدار العلوم — من تلاميذه . لهذا حرصنا على تعرف رأيه الذي تقدمه إليك ملخصاً في ما يلي :

هل أهرت موت الشاعرين فراغاً ؟

أما أن موت الشاعرين أحدث فراغاً أو لم يحدث ، فسؤال يكاد يتفق أصحاب الرأي المنزه عن الهوى ، في أنه أحدث فراغاً ليس بالهين ولا باليسير . وأما مدى ذلك الفراغ فقد يكون من العسير التنبؤ به الآن ، وقد لا نستشعره إلا بعد عشر سنوات كاملات . على أنه يحسن بنا لفهم ذلك أن نتساءل أولاً عن مبلغ ما للشعر من منزلة في نفوس أهل هذا العصر ، وعما إذا كان يستطيع أن يحتل مكاناً بين ما يضطرم به هذا العصر من ماديّات ومعنويات لها مكائدها ومنزلتها .

أما أنا فأقول لك إن الشعر في ذاته فن جميل ، وكل ما هو فن ، هو في ذاته كمال ، وفي مقدور كل إنسان أن يدعه دون أن يحس نقصاً أو فراغاً البتة .

وليس أدل على هذا من أن مصر الحديثة لم تكن في حاجة مطلقاً إلى الشعر ولا إلى الشعراء ، وآية ذلك أن « محمد علي باشا » مفتي مصر الحديثة ، لم يكن يرى حاجة إلى الشعر ولا إلى الشعراء ، فلم يستعن بالشعر في توليد ملكه ، أو يستمد من الشعراء قوة في تدعيم حكمه ، وإنما كان كل همه موجهاً إلى خلق مصر كدولة مستقلة ، لها سيادتها وعظمتها ، فلم يجد بداً في القيام بنهضته القوية الوثابة من التسلح بسلح العلم ، ومن التحسك بمروة الدين ، فأرسل البعثات ونظم الجيوش وأقام الجسور ، وتناول كل مرافق الحياة ، واستعان بكل مستخرجات العلوم الكيميائية والطبيعية ، ومايمت إلى الأدب بسبب قوى ، ولم تر في تضاعيف ذلك كله أثراً للشعر ولا للشعراء ، فهل قصرت باع محمد علي عن بلوغ ما كان يحلم به لمصر الحديثة من شأو ؟ أو هل شعرت الأمة آنئذ بأن نعمة ما ينقصها ؟ الحق أن شيئاً من ذلك لم يكن ، والحق أن الشعر لم يكن ذلك عصره ، وإنما كان عصره في البداوة لا في عصور النعدين والحضارة .

ثم إن الشعر لم يخلق للعلم مطلقاً ، وليس مما يرتجل لتحقيق القواعد وتضمين الأوضاع ؛ وهو في نفسه خروج على النفس ، وتمرد على العرف ، وهو لا يكون بليغاً إلا حيث يخرج عن حد المألوف ، ولذلك يقال : « أبلغ الشعر أكذبه » .

والخلاصة أن مثل الشعر مثل الزخرفة في البيت سواء بسواء ، فأنت تستطيع أن تأوي إلى بيتك سواء أكان مزخرفاً أم غير مزخرف ، أو هو كالحلية تستطيع المرأة التجرد عنها ، دون أن يقلل هذا من رائع جمالها أو فتنتها عند صحيح النظر وسليبي الدوق .

والشعر من الشمور أو قل إنه من الأحاسيس أو من العاطفة ، فلا يتقيد بالعقل ولا يتعلق بأسباب المنطق ، ولا هو مما يقبل الحقائق .

مستقبل الشعر والشعراء

أما المستقبل فلنا أن نأمل فيه الخير كل الخير ، وأستطيع أن أصارحك القول بأن لدينا الآن بعض طلاب « دار العلوم » ممن يقولون الشعر ، وممن أقرأ لبعضهم شعراً ، فأراه — بالنسبة لبا كودة سنهم — مما يبشر بمستقبل حسن ، بل لا أكون مبالغاً إذا قلت لك : إنى أراه أروع من شعر « شوقي » ، فى بداية عهده بالشعر ، أيام كان فى مثل تلك السن فى مدرسة الحقوق . وقد صاحبت « شوقي » وأوقدت معه إلى بعض المؤتمرات ، كسؤتمر المستشرقين المنعقد فى أثينا عام ١٩١١ ، ثم حاصرتة وقرأت له جل ما أنشأ ، وعرفت له أخطاء كثيرة ، وأرى أن هذه الروايات وتلك القصص التى قام بها أخيراً ليست بذات خطر ، ولا بالنوع الجديد الذى كنا ننتظره ، ثم هى لا تتماشى مع النوع القصصى ولا الأوريت اللذين تفهمهما ، وإنما كانت من نوع خليط ، فأنت ترى البيت الواحد من الشعر يقطع ثلاث مقاطع أو أربعاً فى بعض الأحيان ، فيبدأ أحد أشخاص الرواية بقطع ، وينتفى آخر ، ويتبعه ثالث ، ثم يتلو رابع ، وهكذا حتى يتم البيت . وقد يكون صدر البيت من « المزج » بيناعجزة من « البحر الطويل » ، مما لا يتسق والموسيقى ، أو يتمنى والذوق السليم ، ولهذا كانت تنفر منه الأسماع .

على أنى لا أنكر أن « شوقي » تقدم بالشعر خطوات واسعة ، فقد حاول أن يتأثر المثنى وأبا فراس الحمدانى وأبا تمام وابن المعتز وأبا نواس وابن هانى وغيرهم من عيون الشعراء ، فوفق إلى حد بعيد ، وأجاد إجادة تقرب من السكال ؛ ثم خرج على الشعراء المعاصرين له أو الذين سبقوه بقليل ، فلم يشابههم فى النقد أو التقرىظ إلا غراراً ، وإلا ما كانت له ضرورة ملحة . ومع هذا فأنى أرى الظروف مواتية الآن لظهور الشعراء وبروز الشعر ، وارتفاعه إلى ما يقرب من سابق عهده فى سالف عصور الاسلام ، فقد بدأنا نرى معجبين من الأمة كثيرين يتأثرون الشعر ويتمصبون للشعراء .

بل أعتقد أن مؤهلات النبوغ الموجودة الآن ، تسمح بانبات شعراء مغاوير ، أكثر مما سمحت لشوقي وحافظ وصبرى والبارودى وأضرابهم ؛ فقد انتشر التعليم — ولا انتشار التعليم دخل فى ذلك ليس بالقليل — ، ولدينا جرائد ومجلات مختلفة تعنى بالشعر والشعراء ، ثم هناك كتب الأدب ودواوينه القديمة التى طبعت حديثاً ، والتى لم تكن مطبوعة من قبل لشوقي وحافظ ؛ وهذه سيكون لها أثرها فى تخرج شعراء فى المستقبل .

ولست أنكر — إلى هذا — أن روح الأمة غير مشبعة بروح الشعر العربى الفصيح رغم هذه الظاهرة : ظاهرة التشجيع التى تراها الآن ، وذلك بسبب تفتى الروح الغربى فى نفوس

أبنائها، وتقهقر مدينتنا الروحية. والشعر كالسائح لا يحل في غير البلد الذي ترتضيه روحه، فليعلم طلابه ذلك، وليتذكروا عهود العرب وآسواقهم ودواوينهم ولغتهم إن كانوا يريدون شعر العرب. ورأى في النهاية هو أن هذه النهضة التي تبشرنا بمستقبل حسن، ستكون باكورة موقعة لعهد زاهر في القريب إن شاء الله؛ فلنتنظر عشر سنوات كاملات.

رأى الدكتور طه حسين

الدكتور طه حسين زعيم المجددين دون منازع، وحامل لواء التفكير الحر غير مدافع، وقد يكون أكثر دلائلنا إنتاجاً وأثراً في بلاد العربية دون استثناء أو تخصيص، بل قد يكون أبعد كتابنا وأدبائنا ذبوع صيت ونباهة ذكر في الشرق والغرب. أما أسلوبه، وأما بحوثه، وأما بيانه، وأما مادته، وأما جولاته، وأما آرائه، وأما ما أعرف، وما لا أعرف من سحره الخلال، فأمر سارت بذكرها الركبان، وطارت بها الشهرة إلى أجواز الفضاء.

إزاء ذلك كله، لم يكن من بد من التحدث إليه في موضوع اليوم، وتعرف رأيه الذي تقدمه إليك في شيء من الابتزاز يسير، وفي شيء آخر من البسط قليل، بل في شيء لست أعرف إن كان حيرة أم تردداً، وإنما أعرف أن ما أقدمه إليك الآن، هو خلاصة ما وعته الذاكرة الضعيفة، فلينسب إليها التقصير، إن كان ثمة تقصير.

هل أمريت صوت الشاعر به فراغاً؟

الآن، في حيث لا اتهام بتعصب ولا غرض، وفي حيث لا وجود لمنافسة ولا منازعة، والآن بعد أن عرفه الناس ما تسألني عنه حق المعرفة، وبعد أن علم القاصي والداني، ما تريدني على التحدث إلى قرائك عنه، أقول إن الانصاف يقضي على أن أقرر لك ولقراء مجلتك أيضاً، أن كلا من الشاعرين أباً في ناحية، وأن كلا منهما أحسن في بعض قصائده، وأنهما معاً، ومع من سبهما بعد قصير، ومع بعض الشعراء الموجودين الآن، سواء أكانوا بمن في مصر أم في غير مصر من بلاد العربية عامة، قد استطاعوا جميعاً أن يردوا إلى الشعر العربي بعض شبابه في الدولة العباسية إلى حد محدود، كما استطاع الفقيد أن يحتفظ لمصر بزمامة الشعر. أريد أن أعترف بهذا في غير ما موارد ولا خفاء، وأريد أن أعترف أيضاً، وفي غير ما مرجدة ولا ضغينة أيضاً، أنها حاولا جهد طاقتهما أن يتكبرا، وأن يقلدا، وأن يجيدا في الابتكار، وأن يجيدا في التقليد، فأصابا بعض النجاح، وأخفقا بعض الاخفاق.

حاول « شوقي » أن يبتكر في باكورة شبابه ، أو قل حاول أن يجدد في مستهل حياته ، فكان يوفق بعض التوفيق حين يعمد إلى الصراحة ، ويفشل كل الفشل حين يلجأ إلى التستر والمداورة .

وحاول « حافظ » أن يحاكي شعر القدماء في بداءة عمره ، أو قل حاول التقليد في فجر شبابه ، فكان يوفق أغلب التوفيق حين يعمد إلى أسلوب القدماء وأخيلتهم ، ويفشل الفشل كله حين يلجأ إلى نفسه يستلهمها الخيال والفكرة ، وإلى حافظته يستعيرها الألفاظ القديمة والحديثة .

حاول كل منهما أن يسلك الطريق التي رسمها لنفسه في ضجوة العمر ، لكنهما أخفقا في النهاية ، أو قل إنهما استحالوا إلى الضد ، فسلك « شوقي » في نهايته ، طريق « حافظ » في بدايته ، واختلط « حافظ » في آخرته ، خطة « شوقي » في باكورته . وقد يكون إخفاق « حافظ » تجديداً أو بعض تجديد ، فيصح أن نسميه نجاحاً أو شبه نجاح . وقد يكون إخفاق « شوقي » تقليداً أو بعض تقليد ، فيجوز أن نسميه — بالرغم من أنه تقليد — نجاحاً أو شبه نجاح . ومع هذا هل أحدث موتها فراغاً ؟ ما أظن ذلك إن صح مجازاً بالذي يصح في عالم الخفائن ، ولو افترضنا صحته فلن نعدم من يسده ؛ ما دمتا نرى الشعر في حاله الراحنة بعيداً عن أن يمثل النفس المصرية ، أو يحقق ألماع الروح العربية ، أو يهتف بما للشرق من آمال وأحلام ، أو يمثل للشباب المثل العليا التي يجب أن تصور لأبناء الشعب وشبابه تصويراً دقيقاً يدفعهم إلى الاحساس بها والتأمل لها .

وقد يكون من الخير ، لو انتقل إلى « الثاني » لتفصيل ما أجملت في هذه النقطة .

مستقبل الشعر والشعراء

قد يكون الشعر في حياتنا الحاضرة مما لا ضرورة له ، بل أزعج أنه لم تعد له الضرورة التي كانت له في العصور السابقة ، ذلك أنه كان في تلك العصور الخالية من طبيعة الحياة ، باعتباره اللسان المعبر عما في الحياة من مختلف الألوان والمشاعر . ولهذا كان القدماء يقولون : « الشعر ديوان العرب » ، والحق أن الشعر في ذلك العصر البائد ، كان يصلح لأن يكون ديواناً لحياتهم الساذجة إلى حد بعيد ، لأنه كان يتناول جل أنواع حياتهم وأغراضهم ، وهي حياة محدودة ، وأغراض متواضعة .

ومع هذا ، ومع ما كان للشعر العربي من منزلة ومكانة ، فإنه لا يكتفى وحده مطلقاً لتعرف آثار العرب ؛ وبمكس هذا الشعر اليوناني ، فأنت تستطيع أن تلمس ما تبحث عنه من آثار العقل اليوناني ، والحياة اليونانية الفلسفية والروحية والفنية ، في الشعر اليوناني نفسه ، في « الألياذة » و « الأودسا » مثلاً .

لقد كان « هوميروس » يفهم الشعر اليوناني حق الفهم ، ولذلك كان يصور المعاني البديعة في اللفظ المختار الذي لا يند عنه السمع ، ومع هذا فلم يكن شعره ليخلد هذا الخلود لو لم يتناول أدق المواضع الانسانية ، وبصور دفين التزمات النفسانية أدق تصوير .

أما الآن ، وقد تغير فهمنا للحياة عن فهم العرب القدماء للحياة ، واتسعت أطلعنا ، وتعددت مطالبنا ، واختلفت أذواقنا ، وبلغت الانسانية في حاضرها هذا الشأ ، وقطع العقل البشري مرحلة كبيرة في سبيل التطور والرقى ، فقد أصبحنا في غنى عن الشعر ، وأصبح لا يوفينا حاجتنا ، وأصبحنا حين نود التماس هذه الحياة نزع إلى النثر ، وإلى كتاب النثر الجيدين .

وها هي ذي « حادثة البداري » ، هل تراني النفس وصفها وتحليلها من الشاعر أم من الكاتب ؟ لست أشك في أنا معاً ، وأنا وأنت ، نلتسها عند كتابنا الجيدين « كهيكل » أو « أضراب » هيكلي ممن ضربوا في النثر بسهم وافر .

وهذا دليل على أن النثر أخذ يحل محل الشعر ، لأن النثر صنو للعقل ، يتقدم بتقديمه ، وينحط بانحطاطه ؛ بعكس الشعر فإنه وحى العاطفة والخالط .

وتعال معي إلى الدولة العباسية ، فها هو ذا « الجاحظ » قد طرق كل فنون الشعر ، فتحدى المدح والهجاء والسخرية وما شابه ذلك مما اختص به الشعراء ، بل تحدى أهم مميزات الشعراء في النزول ؛ وهذا نفسه دليل على أن النثر الذي يستطيع التغلب على الشعر ، لأن العقل كما تغلب على الحياة فك من قيود الشعر .

ولقد قالوا قديماً « إن الشعر هو الكلام الموزون المقفى » ، وأنا أقول إن كل إنسان يستطيع أن يقول هذا الكلام الموزون المقفى ؛ ولكن ليس معنى هذا أنه يستطيع الآن أن يحدث في نفس الأثر الذي يحدثه الكاتب .

ثم مسألة أخرى أحب أن أعرض لها بشيء من التفكير يسير ؛ تلك هي وظيفة الشعر ؛ فأنا أزعك لك أنها تغيرت عن ذي قبل ، فأصبح من أنواع الترف لا من أنواع الضرورات كما كان عند القدماء ، وأنا وأنت نعلم أن مثل هذا النوع من الترف يعمل في الحياة أقل مما تعمل الضرورات .

ثم لا ننس أن للشعر صلة وثيقة بالموسيقى ؛ وأن له ذوقاً خاصاً يجب أن يلائمها ويتطور معها ، فهل ترى في شعرنا الحالي ما يلائم ذوقنا الموسيقي ؟ أكاد أشك في ذلك أكثر الشك ، بل أزعك أتى أشك في ذلك كل الشك . وها هي ذي الموسيقى تطورت ، بينما ترى الشعر جامداً أشد الجود ، اللهم إلا من بعض محاولات ضئيلة جداً ، والتطور ظاهرة القوة والحياة ، واية ذلك أن

الشعر الفرنسي تطور تطورات مختلفة من الناحية الموسيقية حينما أحس حاجته إلى التطور، فظل فتياً قوياً، وأصبح لدى الفرنسيين مذاهب مختلفة في تصور ألفاظ الشعر وأصواته، تقارب تصورنا لجور الشعر العربي وقوافيه، مما تواضع عليه العروضيون. وقد أراد «شوقي» أن يجدد في الوزن متمشياً مع الذوق الموسيقي فقال قصيدته التي مطلعها:

مال واحتجب وادعى الغضب
ليت هاجري يذكر السبب

وزعم أنه وزن فارسي استحدثه، ولكن علماء العروض لم يتركوا له هذه الدعوى دون أن يرجعوها إلى وزن عربي قديم.

والشعر لكي يكون صادقاً بليغاً يجب أن يتوفر فيه شرطان أو حاجتان كما يقول القدماء، وهما: المعنى واللفظ، وأنا أفهم المعنى على أنه الحال النفسية التي يجب أن يتحدثها الشاعر في نفس من يسمعه أو يقرؤه. أما اللفظ فليس هو الكلمات، وإنما المفروض فيه الصوت الذي يمس الأذن ويحدث فيها أثراً معيناً.

فن ناحية المعنى نلتبس المثل العليا، ومن ناحية اللفظ نلتبس الموسيقى، أو ما يرضى ذوقنا الموسيقي. وليس في شعرائنا من وفق إلى أن يحس هذه المثل أو تمثلها كما ينبغي، أو أرضى ذوقنا الموسيقي.

وفي اعتقادي أن ذلك راجع إلى أن ثقافتهم ثقافة ناقصة، فهم لم يقرأوا في الأدب أو الشعر أو الفلسفة الحديثة كثيراً، ولم يترودوا بالأراء العلمية المتبكرة، ولا بالمذاهب الاجتماعية المستحدثة، وإنما ثقافتهم ثقافة خاصة محدودة، لم يتعدوا نطاقها. فهم جميعاً، والمصرفون في التجديد أيضاً، أو الذين يزعمون أنفسهم مجددين، لا يزالون ينظرون إلى الشعر نظر القدماء إليه، فيعتمدون على الطبيعة ويحافظون على الوزن والقافية لا يبتغون عن ذلك حولا.

يقول أرسطو الشعر محاكاة، فيجب على من يحاكي شيئاً أن يعرفه، فهل لدينا من حاكم شعراء اليونان مثلاً؟ وهل منهم من جاءنا بما أقرأه أنا وأنت في «الليازة» مثلاً؟ أو ما قرأه لراسين وكورنيل وغيرها؟ وهل لدينا من سبق عصره، كبودليير مثلاً، أو المعري الذي نجد فيه العزاء، وغيرها من عظم حظهم من الثقافة؟

إن الحكمة التي كانت تقال في العصر الجاهلي فتعز لها نفس العرب، وتغزيرها قبائل على قبائل أخرى، لم تكن كافية لإرواء ظمأ العرب بمسد فتوحاتهم، ولذا رأيناهم يتجهون إلى الفلسفة اليونانية يلتمسون فيها مثلهم، وفي هذا دليل على صدق ما نقول، ثم هو دليل على أن اتعمق في البحث عن الأشياء لم يكن من طبيعة العرب في عصورهم الأولى.

والآن لكي نكون لنا حياة شعرية يجب أن تتطور الألفاظ والمعاني؛ والتطور أظهر

مظاهر الحياة ؛ وليس لدينا — بكل أسف — من هذا التطور شيء ، بل لا نكاد نحسه ، ولا نكاد نرى ذلك الشاعر الذي يستخرج لنا عواطف قد لانحسها نحن لبعيد غورها ؛ والنفس الانسانية أصح غوراً من أن يحسها أصحابها تمام الاحساس ؛ فكيف يكون عجبك حين تجد شاعراً كشف لك عن عاطفة غريبة عنك ، ومعنى بعيد عليك . لكل ما ذكرت أدنى أن الحاضر والمستقبل القريب لنتنر دون الشعر .

رأى الأستاذ خليل بك مطران

لعل ما سطره فلم الأديب النابغة الأستاذ أنطون بك الجليل ، خير ما يقال في « مطران » ، فأتت تجد فيه أبرز صورة تصور لك شخصية « مطران » الفذة وشاعريته الحساسة ، أدق تصوير . وهو ما نحرص على تقديمه إليك :

« نشأ تحت سماء سوريا بين أوديتها الخضراء ، وجبالها البيضاء ، بين آثار بعلبك ذات العظمة والجلال والبهاء . وترعرع وشب في وادي النيل ، بين آثار المدينة القديمة ، وصروحها العظيمة . عاش تارة في القرى والجبال ، ففشرب حب الطبيعة والفضيلة فأسمعنا الشعر زاهراً طامعاً ، وعاش طوراً في المدن فراحه ما فيها من الشمس والشفاء ، فألتي إلينا إنشاده مبكياً زاجراً . شعره يجمع الصور وملعب الخيال ، ونقسه كالصحيفة الحساسة ينطبع عليها كل ما يمر بها ، فهو شاعر الشعور والخيال ، وشاعر بعلبك والأهرام . وقد عرف أن يستفيد من لغات الآبانب دون تقليد ، وينهج نهج قدماء العرب دون تقييد ، فاحتفظ بصيغة العرب في التعبير ، وأدخل أساليب الأفرنج في التأليف والتفكير »

هذا رأى الأستاذ الجليل في « مطران » وهو رأى صائب ، وأما رأى « مطران » في موضوعنا فهو مازاه في مايل :

هل أصرت موت الشاعر به فراغاً ؟

إن التقيد بنظم العظمين ظلاً في كل حياتهما وفي مختلف مراحلهما ، وسيظلان حتى الأبد خالدين على مر الأيام والدهور ؛ بما أسديا إلى النهضة الفكرية الحديثة من فضل جهم ويد كريمة ؛ وسيظل اسمهما يترددان في أرجاء العالم العربي ، ما بقيت العربية وبقي الشعر ، لذلك نشعر بأن ما أحدثته موتهما في نفوسنا من ألم وحسرة بالغ الأثر ، فقد أدبا رسالتهما في الحياة بالقدر الذي إتاحت له لكل منهما ظروفه ، في أبلغ أداء وأصدق تعبير . ومن هذه الناحية نستطيع القول بأن موتهما أحدث في حياتنا الشعرية أثراً ليس بالهين ، وفراغاً ليس باليسير ؛ وإنا لنترجو أن نوفق إلى من يتلاه في عهد قريب .

لقد أحسن كل من الشعارين في أبواب خاصة ، كما أجاد كل منهما في مناح خاصة : وما من شك في أن لكل منهما ميزات وخصائص تختلف عن ميزات الآخر وخصائصه : وقد كانت لكل منهما ملابسات وظروف تخالف ملابسات الآخر وظروفه ، ثم كان لهذه الملابسات وتلك الظروف أثر في شعرها وتوجيه وجهه نراها كل الرضا حيناً ، وبعض الرضا حيناً آخر . وقد حاولا محاولات عدة لمعالجة الشعر الحديث ، وتناول أغراضه المتجددة ، وفنونه المتنوعة ، فكانت محاولتهما جد قليلة ، لأنهما لم يكونا واثقين منها ؛ ولأن النفوس لم تكن قد تهيأت لقبول هذه الآراء التي يدفعها إلينا الغرب دفعاً .

وأنت لو حاولت تلبيس القصائد الطوال في المعنى الواحد ، والفرض الواحد في المناسبات السياسية مثلاً ، فلن تظفر من ذلك بشيء يجدى أو يفيد ؛ وليس ذلك عيبهما وحدهما ؛ وإنما هو عيب الشعب أيضاً ، فقد كان يرضيه في نهضته السياسية مثلاً البيت الواحد ، فيصفق له ويتررب منه ويحمده أنشودة ومثلاً ، أما أغراض الشعر البعيدة المرمى ، السامية المغزى ، وأما استقرار التاريخ العام ، وتحليل الشخصيات البارزة تحليلًا دقيقاً ، وتناول أروع عواطف النفس بالتصوير والوصف ، وأما تصور المثل العليا ورسم الأوضاع الشعرية السامية ، فأشياء لم نعمل منها قليلاً ولا كثيراً ؛ وإذا كنت تظفر بشيء من هذا فإنما تظفر بالنادر الذي لا حكم له ولا يقاس عليه . ومرد ذلك إلى أننا لم نتشبع بالروح العربي الخلاق ، ولا بالروح الغربي الحديث في التصوير والوصف وسوق الآفاسيم ونحوها ، وبنقصنا في ذلك الروح الحربي الجري ، والروح القوي السليم ، والثروة الصافية من الألفاظ العربية الفصيحة .

ولذلك لا نجد في شعرنا ما يجده بارزاً في شعر الألمان أو الفرنسيين أو الانكليز من روح حربي أو روح قوي أو روح خلقي .

وما ذلك إلا لأننا وقفنا عند القديم غيب ، ثم تركنا الحياة وكل مافي الحياة من جديد ، وأخذنا نتمثل مثل القدماء من العرب ، ونتمخيل أخيلتهم ، ونستعير ألفاظهم وقوافيهم وأوزانهم ، من غير ما تجديد ولا تهذيب ولا تشذيب ؛ ومن غير ما فنر إلى الأمام ، بل نرجع إلى الوراء وننظر إلى الخلف ، ونذهب إلى جرير وإلى الفرزدق وإلى امرئ القيس وإلى لبيد وإلى أمثال هؤلاء وهؤلاء ممن بعدت بيننا وبينهم الحقب ، ودالت بيننا وبينهم دول .

وفي عصر الخديوي عباس مثلاً نرى الشعراء يتوجهون بشعرهم كله إليه يدعونه . ويترفعون إليه ، ويعبدون إليه المدح القديم في ألوان جديدة ، وقل أن يكون في القصيدة ما ينبي عما يدور هذا الغرض ، فكيف تكون من هذه الكلمات روحاً قوياً وثاباً يفي بالفرض المقصود ، حتى نعمل منه سمطاً تتألف منه درر الشعر وجواهره ؟

الحق أنا لم نعرف رسالة الشعر إلا إلى حد قليل ، والحق أن جمهورنا العربي أيضاً لم يفهم رسالة الشعر ؛ فشعراؤنا يحاولون جهد طاقتهم تعرف الرأي العام والناحية التي يتوجه إليها ، وهم يسمعون إلى إرضائه بالقدر اليسير ؛ لأن الرأي العام يكفيه جداً البيت الواحد تشير فيه إلى الدستور أو إلى الاستقلال أو إلى فرح الأمة أو حزنها ؛ وليس هذا فهماً للشعر ، ولا فهماً لرسالته . وقد يكون النثر قطع مرحلة أكبر من تلك التي قطعها الشعر ، بفضل توفر من الجهازة الأشغال المتضلعين من اللغة والعلوم ، أما الأكثر ومن عداهم ، فما زالوا في حاجة إلى التغذية العلمية والمعارف الهامة من لغات مختلفة وآداب متعددة وعلوم متباينة ، وهو ما لا بد منه للشاعر والكاتب ؛ وإني لأذكر أنا إلى عهد قريب لم تكن تعرف هذا الذي يستطيع وصف العرفة في شكلها الحديث ، فلما توفرت لدينا طائفة من الكتاب الذين وفقوا إلى ألفاظ وأساليب جديدة ، سواء أكان ذلك بالخلق أم بالابتكار أو بالترتيب والتركيب أو بالنحت والاشتقاق ؛ ولما أن ذاع هذا وكثر استعماله ، أصبح التلميذ الصغير قادراً على وصف العرفة وحتوياتها أدق وصف . واللغة العربية ضافية الثروة ، غنية الألفاظ ، كثيرة التراكيب ، وهي كفيلة بتحقيق رسالة الشعر لمن يحسن استعمالها ، ويفهم غريبها وقريبها ، ويضيف إلى علمه بها علماً يستحدثات الحياة من آداب وفنون في الأمم الأخرى . والخلاصة أنه متى وجد العقل الخلاق المبتكر ، والذهن الصافي الواعي ، فيبتكر جديداً مع بقاء الأصل السليم في اللغة على ما كان عليه من فصاحة وبلاغة ، استطاعنا الوصول بالشعر إلى درجة قد تصبح لواحد منا الطمع في الحصول على جائزة « نوبل » التي لم ينلها شاعر من شعرائنا حتى الآن .

عبد العزيز

والله ما رأى القارىء

فيمه هو أمي برعامة الشعر

أرسل إلينا رأيك حراً صريحاً ، موضعاً اسم شاعر واحد يقع عليه اختيارك . ويجب أن يصلنا الرد داخل مطروف بعنوان « المعرفة » ، ومكتوباً عليه عبارة « الشعر والشعراء » . وستنضم هذه المظاريف في يوم ٦ أبريل سنة ١٩٣٣ ، بمعرفة لجنة خاصة مكونة من كبار رجال الأدب واللغة والنقد والتعليم وأعلام الكتاب المعروفين . وستعلن نتيجة الآراء جميعاً ، وعدد الأصوات التي حازها كل شاعر بالترتيب ، مصحوبة بصورة الشاعر الذي نال أكثرية الأصوات ، في العدد الأول من السنة الثالثة « للمعرفة » الذي يصدر في أول مايو سنة ١٩٣٣

حرية التفكير في الشرق

[كتبت لجريدة « الجامعة الإسلامية » كبرى صحف فلسطين]

ومرافقة الى باب العرب

حينما وفد على رسول « الجامعة الإسلامية » الغراء ، الزميل الفاضل الأستاذ محي الدين رضا ، بسألتني في نبل وأدب ، أن أكتب له - في الحال - فصلاً عن تاريخ الفلسفة الإسلامية ، أو الفرق الصوفية وتطوراتها ، أو في ما يزعم أو يظن أنني غفصت فيه ، واقف نفسي على دراسته ، لم يكن من أمري - وأنا الذي يقدر هذا الطرف الصحفي الدقيق - إلا أن أضحك ملء فمي ، لهذا المطلب العسير ، يطلب في مثل تلك السرعة ، وفي أدق ساعات عملي الصحفي ضيقاً وحرَجاً أيضاً ؛ لكنني لم أعدم مخرجاً من هذا المأزق الذي لا يجدي فيه الاعتذار ، فاقبلت سائلاً بعد أن كنت مستولاً ، ومطالباً بعد إذ كنت مطلوباً ، فقلت : وهل ترى الكاتب يستطيع أن يكون حراً ، آمن النفس ، مطمئن البال إلى ما يريد أن يكتب ، صادقاً في تأدية ما يطلب إليه من حق ودين ، حيال مخالفته في الرأي أو مناهضه في الفكرة ؟

أحسب أن الكاتب في الشرق عامة ، وفي الشرق العربي خاصة ، ما يزال يرسف في أغلال من عبودية الفكر ، ويخطو في قيود من حديد الأوضاع والتقاليد ، بل ما يزال أبعد كتاب العالم أجمع ، عن التمتع بهذه الميزة السامية ، وتمتلك هذا الحق المكتسب بالنسبة للشرق بما في طبيعته الشرقية الروحية من نزوع إلى الحق والخير والجمال .

وهأنذا أسمعك تبدد وهمي هذا بما تظنه من حق ، فترغم أن علة ذلك راجعة إلى استعمار الغرب للشرق لحسب ؛ وأنه يوم يبيد الاستعمار تعود إلى العقول حريتها وطمأنينتها ، وأنا إذا كنت لا أنكر ما لهذه الحجة من قيمة ، إلا أنني لا أنلنها وحدها كافية لتعليل ما نرسف فيه من استعباد وتأخر وجود ، لأن بعض دويلات أوروبا - في القديم والحديث - لم يمنعها احتلال دول أخرى لها ، من الحرية الفكرية التي كانت سبباً - وأي سبب - في زوال الاحتلال ، ولماذا نذهب بعيداً وهماهي ذي ه تركيا الحديثة ه يصح اتخاذها دليلاً على ما قدمت وإن كنا نخالفها نحن العرب المخلص في كثير مما اتهمت إليه حالها الراهنة ؟

وانقصر بحثنا الآن على الشرق العربي وهو ما اصطلاح على أنه منبت الاسلام ومنبعه ، فإذا صح هذا الذي يزعمون - وهو صحيح لا يحتمل جدلاً ولا مناقشة - صح لنا أن نتساءل : أي شطري العالم أحق بحرية الرأي والتفكير ؟

أهو الشرق أم الغرب؟

أما أنا فأزعم أن الشرق أحق بهذه الدعوى وأجدر، لأنها منه نبقت ، وفي ظل دينه السائد فيه طاشت ونمت . بينما كان الغرب يعيش في ظلام دامس ، وفي ظل من التفكير تقيل ، فلم يكن يسمح لإنسان أباً كانت صفته ، أن يضمر ، فضلاً عن أن يعلن ، رأياً يخالف المجتمع ، أو يباين العصر الذي يعيش فيه . وقد كانت كلمة « المهرطقة » وهي « الكفر » تخرج من فم رجل الكنيسة ، كافية لترح الملايين به الآلاف في أحماق السجون ، إن لم تودي بأرواح الكثيرين . فكم من دماء أهرقت ، وأرواح أزهدت ، وأعراض انتهكت ، وجرائم ارتكبت ، باسم الدين تارة ، وباسم الدفاع عن الدين تارة أخرى !

في هذه المصور المظلمة التي كانت يحدث فيها ذلك الاضطهاد لأسى ما في الوجود من كائنات، جاء الاسلام باسطاً سلطان العقل بأوسع معانيه ، داعياً إلى دين الله بالحجة والمنطق ، مطالباً بالبرهان والدليل ، حاثاً على تقديس الحرية الفكرية ، والآخذ بالعقل إذا ما تعارض العقل والنقل ؛ فكان ذلك أول دين سماوى نادى بتخليص العقل البشرى من القيود والأغلال، وكان من خير هذا المبدأ الحق الجديد ، أن هزم المسلمون — وكانوا أقل في العدد والعدة — دولتى الرومان والفرس ، وقد كانا يفتقمان العالم كله اقتساماً ، ويحكمانه بالسيف والمدفع ، والباطل باسم الحق ، والظلم باسم القانون ، والوثنية باسم الدين ، ويخضعانه لطاقتين اثنتين لا ثالث لهما : رجال الدين ، ورجال الحكم أو الملك . وإذن فلم يكن عجباً أن يبلغ الاسلام في أقل من المائتين عاماً ، ما لم يبلغه قيامرة الرومان ، وملوك أنوشروان ، في مئتين من السنين .

أجل إنه لم يكن عجباً أن نرى هذه الدولة الفتية ، دولة الاسلام الناشئة ، دولة العرب الساذجة ، تلمر طفرة واحدة من قبائل رحل لا تؤلف دولة صغيرة ، لتزعم العالم كله من شرقه إلى غربيه ، ولتبتسط سلطانها على المشرقين ، حتى صبح هارون الرشيد أن يقول — وقد أمطرت السماء — : امطري حيث شئت يائنى خراجك . فهل ترى التاريخ يعكس الآية فيصبح العرب أذلة صاغرين ، بعد أن كانوا أعزة سائدين ؟ وقصيح آية الرشيد آية الانكباب الآن ، الذين لا تقرب الشمس عن إمبراطوريتهم كما يدعون ؟

الحق أنا في محنة طال عليها العهد ، حتى حجب إليها الزكون إلى ربوعنا المباحة ، والاستقرار في قوسنا الملتاعة ؛ وما نحن أولاء نتجرع الكأس حتى الثمالة ، وتتجشأ الصاب والمقلم ، على متى ياشيبه العرب ، وحتى ميامعشر الشرقيين ، وماذا أتم فاعلون ياسلالة محمد بن عبد الله ؟ لقد سئمتنا الذل والموان ، وأقننا الاستعباد والاستعمار ، فهل لم يئس الأولان بعد لتصحوا من هذا الرقاد ؟ إن ذلك في مقدوركم أتم ، وفي أيديكم وحكمكم ، فاعملوا على حرية الفكر ،

ونادوا باستقلال العقل ، وأعبدوا إليه سلطانه ، فهو والله قوام دينكم ، عليه قامت دعوته ، وبه استقامت زعامته ، ومن قال بغير ذلك ممن يلبسون مسوح الوعاظرياء ، ويقشجون بوشاح الدين ظلماء ، فهو غير مخلص في ما يدعى ، إنما هو للدين عدو ، وبه متاجر مساوم ، وللمستعمر مبشر وعضد . إن التاريخ في مختلف مراحلها ، لم يتحدث عن عصر من عصور الاسلام الزاهية ، دون أن يقرنه بالعدل والمساواة والحرية ، وينعته باحترام العقل ، والرجوع إلى المنطق ، والاعتماد على الفكر . ولنا في ذلك أسوة برسول الله ومجابهته وأئمة دينه وتابعيه ممن كانوا يبرأون إلى الله من كل عمل يخالف روح الاسلام السمح ، وشريعة التوحيد الخالصة من القيود والتعقيد .

وبعد فليكن الشرق شرقاً ، والغرب غرباً ، فسيعود الشرق قريباً إلى سابق أيامه الزاهية ، وماضي عصوره الذهبية ، ليهدية إلى سبيل العلم الصحيح ، كما هداه من قبل إلى الدين القويم ؛ ووثقته بتصور عليه نصرين : نصراً في العلم ونصراً في الدين . ووثقته أيضاً بنظر متدار الخلق في قول « جون كريستوفر مارلو » أحد نقاد الانكليز في القرن السادس عشر ، الذي يقول :

« الشرق والغرب يساويان في الميزان الجغرافي - تمام المساواة - الشمال والجنوب . تخالف تقاليد الشرق تقاليد الغرب ، كما تخالف أجواء الشرق أجواء الغرب ؛ وفي اختلاف الأجواء اختلاف البيئة ، وفي اختلاف البيئة اختلاف الذوق ؛ وفي اختلاف الذوق اختلاف التقدير ؛ ومن هنا يختلف التقدير والنظر إلى لباب الأشياء ، لأن الهادي إلى ذلك إنما هو الذوق والاحساس بالجمال قبل كل شيء . وفي اعتقادي أن ذلك الذي ينادي بفكرة العالمية مشعوذ أكثر منه رسول تفكير »

وبعد ، فتلک خواطر سرية ، نرجو أن تكون باعثاً - لمن لديهم سعة من الوقت والتفكير - لبحث الموضوع من نواحيه العملية والدينية والفلسفية المختلفة ؛ ولعل ما لبنا من حق الزمالة على زميلنا العالم الجليل السيد الفاروقي ، يشفع لنا في هذه الكلمة السريعة ، التي أردنا بها الاجال لا التفصيل والسلام

الاسلامبولي

لانس

تسديد قيمة الاشتراك

نرسل اليك ماحو المعرفة

انري أسرنا اليه في أول هذا العدد

أسرار النفس وعلاقتها بالتنفس

عند الهنود

بقلم الأستاذ محمد فريد ومهرى بك

الهند بيئة الأسرار النفسية من أقدم الأزمان ، فقد انهمك مفكروها وحكاؤها من أبعاد
العهود التاريخية ، في اكتناء سر النفس واستخدام قواها ، فوضعوا لذلك الأساليب الكثيرة ،
ووصلوا منه إلى ما لا يتخيله المتخيلون ، وصلوا إلى عرفان الغيوب ، والتحيّاح في بقاع الأرض
بالجسم المثالي للروح ، بينما يكون الجسد ساكناً في مكانه ، والبقاء تحت الأرض شهوراً بلا هواء ،
وغير ذلك مما لا يحصى . كل ذلك من استخدامهم قوى أرواحهم ومعرفتهم بوسائل ذلك .
تدعى الطائفة التي تجد من قديم الزمان في التمثل في هذه المعرفة باليوغى (yugis) ، وقد
عنى اليوم كثير من علماء أوروبا بدراسة المذاهب التي تصدر على أيديها ، وكتبوا في ذلك أسفاراً .
ونحن نرى أن تلخص لقراء « المعرفة » ما قرأناه فيها :

إن كلمة يوغى مشتقة من الكلمة السنسكريتية (يوغ) التي معناها « ارتباطها معا » ،
والظاهر أنه يصعب تحليل تسميتهم بهذا الاسم أو إطلاقه على مجموع تعاليم عالية . وقد عليها
الباحثون تحليلات مختلفة أقربها للدواب هي التي تذهب إلى تصوير اليوغى بصورة المرتبط
بالجهود التي يقصد بها إخضاع الجسد والروح لسلطان الإرادة .
والعلم اليوغى ينقسم إلى فروع عدة ، أولها : العلم بكيفية التسلط على الجسم . وآخرها :
العلم بالوسائل للوصول إلى أعلى الكمالات العقلية . وإنا لن نغس هذا العلم إلا
من المنافع اليوغية إلا في ما هو ضرورى لدراسة علم النفس .

إن بالهند مذاهب عظيمة لعلوم اليوغى ، من أتباعها القسم الأكبر من الرجال المدبرين لشئون
البلاد ، وإن الفلسفة اليوغية هي القاعدة الحيوية لملايين من الناس هناك ، ولكن التعاليم
اليوغية السامية تتأثر بها بعض العقول العالية ، ويكتفى السواد الأعظم بما يبق من فضلات موائدهم .
وقد بدأت الأصول الغربية تنتشر في الشرق ، فأصبحت التعاليم التي كانت محسنة لدى
العدد القليل من המתأزمين معروضة أمام كل من أراد أن يدرك أسرارها .

وقد اهتم اليوغيون الهنود في كل زمان بعلم النفس غاية الاهتمام ، لأسباب ستبدو للقارىء .
وقد بحث رجال من علماء الغرب هذا العلم ، ولكننا نظن أنه كان من حظ أحدهم وهو « بواسون

دولاريغير « أن وفق لإعطاء القارىء الغربى الأصول الأساسية لعلم التنفس اليوغى والأساليب العملية لأنواعها التى يحرم عليها اليوغيون .

يقول اليوغيون: إن الانسان يتنفس لا ليعيش كما يتفق ، ولكن ليحصل على حيوية عظيمة ويكسب جسمه مقاومة كبيرة ضد الأمراض ، وليستطيع أن يبلل أمد وجوده على الأرض . وقد ذهب اليوغيون إلى أبعد من هذا ، فقالوا : ليس نتيجة التنفس أن يحقق الانسان صحته الجسدية غصب ، ولكن يجب أن تكون نتيجة تكميل خصائصه العقلية أيضاً . وقد تأسست مذاهب فلسفية فى الشرق على علم التنفس وحده ، بحيث لو أدرك مرادها الغرييون ويطبقوها على ما لديهم لأحدثوا بها الثرائب .

وإن أهل هذه الطائفة يراقبون أنفسهم مراقبة دقيقة ، ويذهبون فى أدائها مذاهب شتى ، لتكون ثمرتها التكميل الروحانى .

فاليوغى يحدث من الأعمال الرياضية التنفسية ما يجعله حاكماً على جسمه ، ويستطيع بإرادته أن يرسل إلى كل عضو من أعضائه سيالاً قوياً من قوة حيوية يسميها « البرانا » ، فهو يعرف كل ما يعرفه الغرييون عن التنفس ، ويزيد علمه العلم بأن الهواء يحتوى على شيء غير الأوكسجين والنيتروجين ، يفعل فى الجسم غير ما يفعله الأوكسجين من الامتزاج بالدم ، وذلك الشيء هو « البرانا » الذى يحمله الغرييون . وهو يعرف وغليغة هذا العنصر الحيوى فى الجسم ، ويعرف كيف يستفيد منه .

يعرف اليوغى أن الانسان بالتنفس المرتب يوافق الذبذبات الطبيعية للهوى ، فيساعد بذلك على تكميل خصائصه الكامنة فيه ، ويعرف أنه بترتيب تنفسه لا يتنلب على الأمراض غصب ، ولكنه يخلص أيضاً من المخاوف والأوهام ، ومن جميع الاتعالات السافلة .

فلنرجع الآن إلى « البرانا Brana » التى يعتبرها اليوغى الأصل الأصيل فى الإيصال إلى أكل الحالات الحيوية والعقلية التى تقول الفلسفة الهندية إنها منبعثة فى كل شيء على درجات متفاوتة حتى فى الجمادات ، فهي إذن سيال عام سار فى كل شيء . ويقولون لا يجوز الاشتباه بين البرانا والايغو Ego ، فإن الأولى هى الأصل الحيوى ، ولكن الثانية هى روح الله المنبثة فى كل روح آدمية . فالايغو تستخدم البرانا للظهور بمظهرها المعروف ، فإذا خرجت الروح من الجثمان خرجت البرانا من سلطانها ، وبقيت مقادير صغيرة منها فى كل ذرة من ذرات البدن لتسمح لها بالدخول فى مركبات جديدة . وما زاد من تلك البرانا تلحق بمسودعها العام الذى تنزلت منه . ولما تكون البرانا تحت تصرف الأيغو ، يسود الوثام بين ذرات الجسم ، ويكون مجموعها تحت سلطان الأيغو .

وما الكهرياء والقوة الجاذبة والقوة للدبرة للكواكب والحياة الحيوانية لإمقار مختلف

لذلك البرانا المألثة لا تكون . وهي وإن كانت في كل ذرة من ذرات المادة إلا أن مستقرها الهواء وإن لم تكن من مركباته الكيميائية . والحيوانات والنباتات تستنشقها مع الهواء ، فإن لم توجد فيه هلكت الكائنات وعمدت الحياة ، فهي تصعب الأوكسجين في دخولها في الأجسام ، ولكنها ليست منه في شيء لأنها توجد حيث لا يوجد الهواء . ونحن باستنشاقنا للهواء نستنشق معه الأصل الحيوي العام فستزيد منه الحياة والقوة . وكما كان الهواء قديماً كان مقدار البرانا فيه أكثر ، ولذلك تحسن الصحة حيث يكون الهواء أكثر نقاءً .

فاذا أتقنا فن التنفس ، استطعنا أن نخزن مقداراً كبيراً من البرانا في غنا وصر أكثرنا العصبية لنستخدمه عند الضرورة . وإننا نستطيع أن نخزن هذه البرانا كما نخزن البطارية الكهربائية مقداراً من الكهرباء . وإن أكثر رجال العلوم الخفية ، لاعة لا يمارون أعمالهم بإخراقة لله مادة إلا معرفتهم هذا السر واستخدامهم للبرانا التي يخزنونها في أجسادهم .

واليوغيون الهنود يملكون أنهم بوساطة التنفس — على أساليب خاصة — يتصلون بالمستودع العام للبرانا فيأخذون منه المقدار الذي يحتاجون إليه منها . فيتوصلون بذلك إلى تقوية جميع أجزاء أجسامهم حتى المخ الذي يثرون فيه قواه السكامة فيكتسب بذلك قوة تسمية عظيمة . فالذي يستطيع أن يستمد من هذه البرانا — سواء أعلم بذلك أم لم يعلم — تشرق عليه القوة والحياة فيسلط بهما على غيره ، بل يستطيع أن يمد غيره بهذه القوة فيرد عليهم صحتهم الضائعة ؛ وما حوادث الشفاء ، التي تصدر على أيدي الممطسين ، إلا بسبب ما لديهم من البرانا المخزنة ؛ وأكثرهم من رجال الغرب يجهل علة هذه القدرة فيه .

وإن علماء الغرب لعدم وجودهم أثراً للبرانا في تحليلاتهم الكيميائية عمدوا إلى إنكارها ، ولكن الأطباء منهم ينصحون مرضاهم بالذهاب لبعض الأماكن ، تحقيقاً منهم بأن في هوائها قوة على مدافعة الأدوية غير نقاء الهواء .

وكما أن الدم يمتص الأوكسجين ويستخدمه لتقوية الأعضاء ، كذلك يمتص الجسم البرانا من الهواء ويستخدمها في تقوية مجموعته العصبية .

وبما أن كل فكر نفعي ، وكل عمل نفعي ، وكل جهد إرادي نفعي ، وكل حركة عضلية تؤديها لا يمكن حدوثها إلا بفقد تكايد القوة العصبية ، فنحن إذاً في حاجة شديدة إلى تجديد ذلك الأصل الحيوي فينا وهو البرانا . وإذا تقرر أن مستودعها الهواء أدر كُنّا أن نأهس أنفسنا على قاعدة حكيمه من أوجب الواجبات .

محمد فريد وجدي

(م - ٣)

التربية في الأسرة

بقلم الأستاذ أحمد فهمي العمروسي بك

وقفنا بك في العدد الماضي من « المدركة » عند واجب الأم في مدة الحمل ؛ وفي هذا العدد يحذر بنا أن نتساءل : ألا يجب على الأم في هذا الطرف العجيب - الذي تفرس فيه بذور الغرائز ، وأصول الاستعدادات والميول في نفس الطفل - أن تعتزل الحياة الاجتماعية العامة ، بعض الشيء ، فلا تقيد بتلك الزيارات الطويلة المملة للأقارب والأباعد ؟ ألا يجب عليها ألا تصرف في غشيان دور الخيالة والتمثيل ، وأن تقتصد في التأنق والتجمل ، إذا كان فيهما ما يضيق على الجنين الخناق في مسكنه ومضجعه ، فتعوق بذلك حركة الدورة الدموية فيه ، وتوقف نموه بعض الشيء ؟

وأول واجب عليها ، إذا رزقت طفلاً ، أن تغذية بلبنها ، إذا كانت صحيحة معافاة ، لأن لبنها هو الغذاء الطبيعي الوحيد ، الذي يناسب بنية طفلها وحاجاته ، وهو الذي يقيه الأمراض التي تهدده ؛ أما إذا وكلت أمر إرضاعه إلى مرضعة أجنبية ، فإنت أفل ما يقال في هذا ، إن إدخال لبن أجنبي في الأسرة ، هو إدخال دم أجنبي فيها ، وبالتالي إدخال وراثته أجنبية فيها ؛ ذلك أن الناس لا يهتمون إلا بلبس المرضعة وغذائها . دون أن يعنوا بقياس درجة ذكائها ، وتبين مبادئها وأخلاقها ، مما يؤثر تأثيراً كبيراً في نفس الطفل وعقليته . يقول هيرت سبنسر ، في أهمية الغذاء واختيار الأغذية ، ومعرفة القيمة الغذائية لكل طعام ، والوقوف على أسرارها هضما ، وأسهلها تحملاً بالبنية ، وأنسبها لتركيب الأجسام ، مع مراعاة البيئة التي يعيش فيها الإنسان ، والأعمال اليومية التي تفرض عليه : « إن الأمم ذات السيادة والسيطرة ، هي التي تعرف كيف تتغذى » .

إن هذا القول ، وإن كان فيه شيء ، من المبالغة المقصودة ؛ إلا أن التاريخ والتجربة يؤيدانه إلى مدى بعيد ، وقد أجريت تجارب في بعض مدارس فرنسا حديثاً ، أسفرت عن أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين نوع الغذاء والأخلاق ، إذ شهدوا أن درجة تقدم التلاميذ ونجاحهم في الدرس ، وخصوعهم للنظام ، كانت تنمو وتطارد بالمراد الغذاء المنظم ، الذي كان يقدم لهم ؛ أما السير على غير هدى في اختيار الغذاء وتحديد كميته للأطفال والرجال ، فينشأ عنه انتشار أمراض المعدة ، واضطراب الجهاز الهضمي ، وقد شوهد أنها أكثر انتشاراً في الطبقات الغنية منها في الفقيرة .

والهواء النقي غذاء ضروري للطفل ، كاللبن وغيره من الأطعمة الأخرى سواء بسواء ؛ فقد يستغنى الإنسان ، عن الأكل والشرب ، ساعات وأياماً ، ولكنه لا يستطيع بحال أن يستغنى عن استنشاق الهواء بضع دقائق ؛ فيجب على الأبوين أن يعنيا برعاية مطلقهما كل يوم في المنزهات ، حيث يوجد الهواء الطلق ، والشمس ، والخضرة ، وأن يباشرا ذلك بنفسهما كما يفعل الإنجليز ، خاصتهم وعامتهم .

والقاري يعرف بلاشك مقدار الضرر الذي يلحق بالطفل إذا وكل أمره إلى الخادومات ، فقد رأينهم مراراً وتكراراً يتركن الطفل في عربته يبكي ويش تحت أشعة الشمس الحارقة ، يستغيث ولا يفت ؛ بينما تلهو الخادم ، بالحادثة مع الرجال من الخدم وغيرهم ، ثم هي بعد ذلك تأتي وتوسعه شتماً وسباً ولكما أحياناً .

ولكي نتبين مبلغ عناية الإنجليز بكل ماله علاقة بتربية أطفالهم ، أذكر لك فقرة من كتاب « التربية في إنجلترا » تأليف الكاتب الفرنسي « مسيودي كويرتين » ، عن الأميرة الإنجليزية : « يرزق الإنجليز عادة جمّاً غفيراً من الأولاد يجهشون متتابعين ، فيعني بوضعهم في حجرة منعزلة خاصة بهم تجري عليهم فيها أحكام التربية في سنتهم الأولى وتسمى بالمرنى Nursery . والعوامل الأساسية التي يجب أن تتوافر في المرنى ثلاثة : الأم ، المرئية ، الهواء . وقد وصف الشاعر الشهير « راسكين » المرنى الراق ذاكراً عهد ملوكته فقال : إنه حجرة في الطبقة الأولى من المنزل فسيحة الأرجاء ، متجددة الهواء ، وفيرة الضوء ، تامة النظافة ، غاية في السذاجة ، ينام فيها الطفل ويأكل ويرنع ويلعب ، لا يخشى كسراً لآنية ثمينة ، أو إقلاق راحة أمه المريضة ، أو التهويل على أبيه المتكسب على عمله ، بها حوض كبير يستحمون فيه كل صباح بالماء البارد ليزدادوا قوة ونشاطاً ؛ وبراعي في لباسهم السذاجة والسمة والنومة ، إذ ليس الغرض منه الزينة والتباهي بجمال الثياب ، بل الغرض الوقاية من البرد والمطر والهواء مع تمتع الأعضاء بالحركة الحرة والجري واللعب على ما يشتهي الأطفال . وهم يأكلون معاً في مواعيد مقرر ، وطعامهم غير متأنق فيه ولا متكلف ، ويخرجون كل يوم للتريض صيفاً وشتاء ، مستنفدين الساعات في الجري والوثب والطفر وتسلق الأشجار والتدحرج على الأعشاب ، متحملين في ذلك تبعاً لأعمالهم ، وعليهم وحدهم يقع الضرر من عدم إعمال الروية والتبصر في عواقب الأمور قبل الشروع فيها » . ثم يقول : « وبينما الطفل الإنجليزي يشب في المرنى على مبادئ الديموقراطية الصحيحة يعيش فيه كفرد من أفراد المجتمع له ماله وعليه ما عليهم لاسلطاني له على أحد من إخوته ولو كان أصغر منه سناً ، نجد الطفل الفرنسي يعيش في حضن أمه ملازماً لها ملازمة الظل للعود ، ويجلس على المائدة مع أمه وأبيه وإخوته متى استطاع الجلوس فيهموس عليهم ببيكاته ، ويوسمهم من تدله وكبريائه ، والسكل خاضع لأوامره ومنفذ لرغائبه ، فعجيب ألا يشب هذا الطفل على حب الذات وقلة الاكتراث للتبعات » .

وإذا انتهى طور الطائفة الأولى في المربي ، انتقل الأولاد منه إلى مدرسة هي في نظر الانجليز أهم المدارس شعماً ، وأنجعها في نفوس الغنى أثراً ، ألا وهي الأسرة . كثير من الأمم يعتقدون أن الظاهر كله في معالجة أبنائهم بالذهاب إلى المدرسة ، ظانين أنها خير مكان ينضى فيه الطفل شطراً وافرأ من عمره . أما الرأي العام في إنجلترا ، فلا يذهب مذهبه ، ولا يريد أن ينتهج مسلكاً يناقض النوااميس الطبيعية وبديهييات المنطق .

يقول الانجليز : كيف يمكن أن يكون بيت الانسان أقل البيئات ملاءمة لأولاده ، ومعاشرته والديه أقل فائدة من معاشرته الغرباء ؟ ألا إن الانجليز يعدون عيباً وعاراً ، ألا أن يكون الإنسان هو المدرس الأول لأبنائه ، وألا تكون بيوتهم مجهزة بكل أداة صالحة للاعداد الكامل للطفل من وجهتي التربية العقلية والبدنية . والغرض الذي ترمى اليه الأسرة الانجليزية من تربية أبنائها في هذه السن ، والذي يجب أن يكون غرض كل أسرة من الأمم الأخرى ، هو أن يشب الأطفال أصحاء البنية ، أقوياء الأجسام ، وأن يتعودوا - بالمران والدربة - العادات الحسنة - والأخلاق القويمة ؛ وعلى ذلك تنحصر مهمة الأسرة في التربية البدنية والعقلية لاغير ، أما التربية العقلية فتأتي بعد ذلك ، لأن العقل لا يظهر إلا في سن متقدمة .

لذلك كان يقول المربي الانجليزي «توماس أرنولد» : «إن التعميل بالأطفال إلى طلب العلم وشحن قراحتهم بمسائل علمية لا يفهمونها ، قد يؤدي بغضارتهم وفقرتهم ، ويقتضى فيهم سرعة البادوة ونور البديهة ، ولن يلاقى الأطفال في حياتهم الأولى وبالأشراً عليهم من سبق حقولهم لأبدانهم» . وكان هو هو ناظر لاحتى المدارس يرتفع ويلعب مع تلاميذه الصغار ويخرج معهم يترامون جميعاً بكرات الثلج ، ويسبحون في الماء ، يتسابقون في الجذف بالزوارق ، وكان يقول : «إننا نرى إلى خدمة الجسم وتقويته إلى أقصى حد مستطاع ، لا للتباهي به أو استخدامه في قضاء ما رُب شخصية ، بل لغرض أسمى وأرفع ، هو حماية الضعيف ونصرة العدل في العالم أجمع ، وفتح الدنيا ووراثتها الأرض ومن عليها» . ثم يقول : «وحيث إننا نريد أن نذهب أنفسنا لخير الإنسانية ، فأول ما نعرضه على أنفسنا هو أن نكون أعزاء الجوانب أقوياء المواضع» .

وفي هذا كان يقول «عروة بن الزبير» من ألف وثلاثمائة سنة لولده : «يا بني العبوا في المروءة لا تكون إلا بعد اللعب» ، والمروءة هي القيام بما فوق الواجب ، كالنجدة للمستغيث ، وحماية الضعيف وإلى القاريء . سوفاً من أمريكاً في هذا الصدد . يقول «أميرسون» : يجب على الانسان أن يكون حيواناً قوياً ، إذا شاء أن يكون النجاح حليفه في هذه الحياة ، والأمة التي تريد أن تثبتوا مقعد صدق بين الأمم الراقية يجب أن تتألف من أفراد كالطيوان بأساً وقوة والواقع أن سلامة النفوس تتوقف إلى حد بعيد على صحة الأجسام ، فمن النادر جداً أن

نجد ذكاء متوقفاً في جسم غامد . والملاحظات اليومية تدل على أن التردد في الأعمال من شأن ضفاف الأجسام ، أما الأقوياء الأصحاء فهم موطن الجرأة ، والاقدام ، والنبات .
ويشاهد في مجال الأخلاق كذلك أن الحلم ، ومطية القلب ، ورعاية الصدر ، لا تكون إلا حبث تكون الصحة ، أما ضعف الجسم واضمحلال البدن فلهما مدعاة لسرعة الغضب وضيق الصدر ، ومبعثة للغلام والجور في كثير من الأحيان .
تقف عند هذا القدر من التربية ، البدنية لنقول كلمة ختامية في التربية الخلقية ، وهي لاقتل عن الأولى خطراً واعتباراً .

التربية الخلقية

إن الولد الصغير يتأثر منذ الولادة بالبيئة التي يعيش فيها ، وينظر إلى ما حوله من الأشياء نظرة المتحير المندهرش الذي يحل فيها كل شيء ويريد أن يقف منها على كل شيء .
والذي يساعد على تأثره بالبيئة المحيطة ، مروته العظيمة وقابليته السريعة لانطباع صور الأشياء في ذهنه وبقائها فيه زمناً طويلاً .

ومخ الطفل في سنيه الأولى يحفظ عدداً عظيماً جداً من الألفاظ والمعارف بسرعة مذهلة ، ثم هو يقلد تقليداً محكماً (وأتوماتيكياً) كل ما يصدر عن والديه والمحيطين به ؛ فإبتساماته الأولى وإشاراته الأولى محاكاة وتقليد ليس غير ؛ وكذلك الحال عندما يمشي الولد مشية أبيه ويتكلم بألفاظه وعباراته ، وكذلك البفت تلبس مثل أمها وتمشي مشيتها وتنطق بلغتها ، وحتى إذا كان في نطقها بعض العيوب فإنها تنقله عنها .

وبالاختصار نقول : إن مخ الطفل في هذه السن الصغيرة يشبه في سرعة النفاذ صور المرئيات الآلة الميكانيكية المسجلة ؛ بل هو يتحدى أعظم تلك الآلات سرعة ودقة ، ففيه تنطبع الأقوال والحركات والإشارات كلها كما هي بلا تغيير ولا تبديل ، وبدون تمييز بين الخبيث والطيب ، والصالح والطالح .

فواجب الوالدين والأهل إزاء هذه الآلة المسجلة البديعة أن يتخيروا أحسن ما عندهم من الألفاظ والمعارف التي يتكلمون بها أمام الأطفال ، ويعتقوا بالألا يقع نظركم إلا على النماذج الحسنة والمثل الصالحة .

وانذكر لقراء « المعرفة » على سبيل التمثيل حالتين هامتين :

الأولى : يجب على الأهل أن يحتنبوا ما استطاعوا المنازعات والخصومات الزوجية أمام الأطفال ، فإنها تنفس في أذهان الأطفال ويبقى أثرها فيها مدى الحياة ، بخلاف الزوجين فإنهما لا يلبثان أن ينسيا كل ما وقع من هذا القليل بينهما لكثرة مشاغلها ، ولأن الحياة الزوجية لا تخلو منها .
الثانية : قد يبيح الإنسان لنفسه في منزله أن يتكلم بألفاظ وعبارات لا يستطيع أن يتكلم

بها في المجتمع، فإذا خلاز وجهه قد تناول مثل أسير الناس بشئ من الدم والقدح، كما هو المشاهد في كثير من الأحيان، فإذا قيل ذلك أمام الأولاد الصغار، غرس في قلوبهم أقيح العيوب وأشنع العادات، كالغيبية والحسد والحقد وما إلى ذلك.

هذا هو الشق السلبى من التربية الخلقية في الأسرة؛ إلا أنه يمكن أن يمتنع الوالدان عن ارتكاب مثل تلك المفوات لتكوين بيئة الأسرة بيئة صالحة لتنشئة الأطفال تنشئة حسنة.

والشق الثانى إيجابى: ويجب على الوالدين إزاه أن يبتا فى قلوب أبنائهما بعض الفضائل الخلقية الأساسية التى تقوم حائلاً منيعاً أمام رغائب النفس فتمنعها من السقوط فى شهواتها. وتلك الفضائل هى بمثابة الضابط الذى ينظم أحوال النفس، كما أن المجموع المعبى فى الجسم هو الضابط الذى ينظم حركات أعضائه المختلفة ويوزع عليها جهوده، كل عضو بنسبة العمل الذى يؤديه للمجموع.

وإن طبيعة الطفل نفسها هى التى نعلى علينا نوع الفضائل الخلقية التى يجب أن نعى بشهافيه، ونشها فى ذهنه نشأ يبنى فيه مدى الحياة.

إننا إذا تأملنا تلك الطبيعة، ودققنا النظر فى أطوارها وأحوالها، لا نلبث أن نتبين فيها خصتين بارزتين:

الأولى: عدم الاستقرار، وسرعة التنقل من فكرة إلى فكرة، ومن عاطفة إلى عاطفة، ومن صمل إلى آخر، دون مناسبة أو رابطة؛ فتراه ينفب ويرضى. ويضحك ويبكى على التوالى، بسرعة مذهشة، وبلا داع، أو لداع نافة لا يذكر.

وهذا الرنى، وهذا الطيش، كانا من أهم مميزات الإنسانية فى طورها الأول. ولا زالا ظاهرين فى الأمم المتأخرة التى لا تزال فى أحط درجات الحضارة والعمران. فترى الرجل منهم يتبرج بسرعة البرق لأقل الأسباب وأوهاها، ثم لا يلبث أن يهدأ ويسكن لكلمة بسيطة توجه إليه. فبينما هو عدو مبین، إذا به صديق حميم؛ وتلك حال يعرفها السائحون والكاشفون، وكثيراً ما يستغلونها لذلك، وإنجاح مشروعاتهم فى تلك البلاد. وقد قطعت الإنسانية شوطاً بعيداً فى هذه السبيل، وظلت أجيالاً وقروناً حتى انتقلت من الخفة والطيش إلى الرزانة والاستقرار، اللذين نشاهدما الآن فى أفراد الأمم الراقية.

هذه هى سبيل الأمم فى التدرج فى الرقى، وتريد التربية أن تتدرج بالطفل فى هذه السبيل؛ ولكن على أن تقطع فى بضع سنين الأدوار التى قطعتها الإنسانية فى عدة قرون.

وعلاج الأطفال فى هذه النقطة يسير لا يحتاج إلى عناء كبير؛ ذلك أنه يوجد فى الطفل — بجانب نزقة وخفته — ميل كبير إلى التعود السريع، فتراه إذا أتى عملاً جلة مرات يأنفه ويعتاده

وبوالب عليه بدفة مدحشة ، لدرجة أنه يغضب إذا اضطر للمعدول عنه . فإذا أجلسه إلى المائدة في محل معين أياماً متتالية فإنه يسرع إليه ويجلس فيه من تلقاء نفسه ، وإذا اعتدى عليه أحد من إخوته وانزعج منه فإنه يغضب وينادر حجره الأكل ، وكذلك يتمرد الأكل بأدوات مائدة معينة ، ويجب ألا يخدمه إلا الخادم الذي اعتاد أن يخدمه ، وهكذا .

الخلاصة الثانية : ميله الفطري إلى تجاوز الحد في كل شيء وبلوغ الغاية في كل مأرب ؛ فإذا أحب شيئاً ، فإنه يذهب فيه إلى أبعد مدى - إلى درجة النهم - وإذا منع عنه فإنه يغضب ويبكي ويتمرغ على الأرض ، كما يقول « دارون » ، ويضرب وجهه يديه ، ويدفع كل ما يعترضه من الأشياء في طريقه ، حتى ليخيل للإنسان أنه إذا تركه وشأنه على هذه الحال يموت غيظاً وكداً .
فالترية الحقة تحتم وضع حد لهذه العواطف النائرة ، التي إذا لم يكبح جماحها في الأطفال منذ الصغر ، ألقت بهم في هاوية سحيقة لا منقذ لهم منها .

ولقد صور الشاعر الألماني العظيم (جوته) - منذ مائة عام تقريباً - مقدار تلك العواطف للإنسان إذا لم نعد... في شخصية (فاوست) الذي يحدثنا التاريخ عنه بأنه رجل عاش في القرن السادس عشر للميلاد ، وكان مثلاً بارزاً لاتعطش الزائد إلى ملاذ الحياة جميعاً ، والانهماك فيها ، وبلغ أقصى الغايات في كل ما يريد من علم وفنوذ واستمتاع ، فكانت عاقبة هذا الشره غير المحدود ، أن عاش ماول حياته يعاني أشد الآلام ، ويقاسى أمر الأحزان ، وفصلته مشهورة معروفة وهي تبسط كل ما أجهلناه .

وفد توصل علماء النفس في هذا العصر - بعد البحث والتنقيب والتجريب - إلى معالجة هذه الخصلة في الأطفال ، وفردوا أن الطفل في سنه الأولى يكون في حال عقلية شبيهة بعقلية النائم بطريق الأغواء أو الإيهام المغناطيسي .

التدريب المغناطيسي

كننا نعرف أنه يشترط لنجاح التنويم المغناطيسي شرطان أساسيان :
الأول : أن النائم يكون في حالة تبعية تامة للنوم ، فتراد كأن إرادته قد سلبت ، وكأن عقله قد ألقى ، وخلا من كل فكرة ، وكأنه قد أصبح في عزلة تامة عن الوسط المحيط به ، فلا يرى إلا شخص النائم ، ولا يسمع إلا كلامه ، وعلى ذلك فكل فكرة يوحى بها إليه ، تدخل ذهنه فلا تجد فيه فكرة أخرى تتنازعها وتعارضها ، فيطيعها وينفذها بالفعل .

الشرط الثاني : يجب على النائم أن يوحى إلى النائم الأفكار بصيغة الأمر « إني أريد » وأن يشعره بأن أمره نافذ لا محالة ، وأن واجبه أن يطيع ويمتثل لهذا الأمر ، أما إذا خاطبه بنبر صيغة الأمر الحاسمة ، بأن شرع يناقشه في الفكرة الموحى بها ، فقد زالت كل سلطة له عليه . وهذا الشرطان متوفران في الطفل في علاقته مع المربي والوالدين .

ولأنه في هذه السن الصغيرة ، في حالة تبعية لمربيته ولوالديه ، شبيهة بتبعية النائم للنوم

السابقة الذكر ، فإن ذهن الطفل ، وإن لم يكن خاليًا من كل نقش (Tableau Rose) ، إلا أن ما فيه من ميول وغرائز وتصورات شيء ، يميز لا يستغنى عن أية حائل دون دخول الأفكار الجديدة فيه ، ولذلك كان الطفل مريع التأثير بالقذوة والمثل ، سهل الانقياد ، شديد الميل إلى التقليد والمحاكاة .
الثاني : لأنه إذا خاطبه المرئي بصيغة الأمر ، فإنه يمثل أوامره ويطيع نصائحه بلا تردد ولا توان . والتجارب البسيطة الآتية تؤيد ذلك كل التأيد :

إذا وقت أمام طفل عمره سنتان ونصف سنة ، وقد شرع في أكل قطعة من الخبز ، وقلت له بصوت عال وبدون إبداء أى سبب : « الآن قد شبع الطفل » : والحال أنه لم يتناول إلا القصة الأولى فإنه يلتصق بقطعة الخبز الباقية على المائدة وينفض يده منها ، ويظهر أنه قد شبع تمامًا .
وقد أمكن بالطريقة عينها إقناع أطفال في سن الرابعة بأن الألم الذي يشكون منه عقب وقوعهم على الأرض - مثلاً - قد زال تمامًا ، وأن مابه من عطش زائد قد أطفئ ، وزال كذلك ؛ كل ذلك بشرط أن يكون الكلام الموجه إليهم في هذا الصدد بصيغة الأمر القاطعة ، من غير إزجاج الطفل لايقاع الرعب في نفسه .

بهذه الطرق الحكيمية ، والأساليب العامية الصحيحة ، يجب أن نأخذ النشء من بدء حياتهم حتى يشبوا على ضبط أنفسهم بأنفسهم ، ويتعودوا إيقاف كل رغبة من رغباتها عند حد معين ، فلا يطلقون العنان لواحدة منها ، حتى تتمدى منورها وتجاوز حدها ، فتضر بالجموع ضرراً قد يورده موارد الخسران والهلاك : غياة الفرد كحياة الأمة ، توازن قوى يحتوى بعضها بعضاً ، ويدفع بعضها بعضاً ، فإذا اختل هذا التوازن أعقبه الهلاك والفناء .

يقول مسيو أميل دوركين في كتابه « التربية الخلقية » : إن أمة لا تفرح بالكن ، ولا تنذوق جماله ، أمة متوحشة ، ولكنها من جهة أخرى ، إذا لم تشغل إلا بالكن خاصة ، مهملة بذلك شئونها الحيوية الجديدة الأخرى ، بشرها بأن عمرها قصير وأيامها محدودة .

وقصارى القول أن النشاط الإنسانى يجب أن يخضع في جميع نواحيه لنظام خاص ، وأن تقف كل ناحية منه عند حد معين ، وغاية محدودة ؛ فكما أن الإنسان إذا أراد أن يضنى ، ألم الجوع مثلاً ، أخذ مقداراً معيناً من الغذاء ، كذلك الحال في المعتقدات ، فإن الاجتهاد في تحصيل العلم إلى أقصى مدى ، يضر أولاً بالجموع العصبية ذاته ، كما يضر بقوة الإرادة التي تأخذ طبعاً في الضمور والاضمحلال ، كلما غلا العقل وتوغل في كسب العلم .

إن جهود الفرد محدودة ، كما أن جهود الأمة محدودة ، فيجب إذا أراد كلاهما أن يعيش عيشة منقاه ، أن توزع تلك الجهود على ضرورات الحياة المختلفة ، كل بنسبة أهميتها .

أحمد فهمى العروسى

هل التاريخ علم؟

بفلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

إن انتشار الكذب السريع في المدونات على أنواعها - ولا سيما كان من قبيل الدعايات في الصحف - والسيارة ، والكتب المأجورة ، والاعلانات العلمية في ظاهرها ، التجارية في باطنها - كل ذلك أحدث في قلوب أهل الجيل الحاضر - حتى الدهماء من الناس - شكاً في صحة التاريخ من حيث هو تاريخ .

فإننا صدقنا مثلاً كل ما كتبه الأدباء من المقيمين في المملكة العثمانية ، على العهد الحميدي عن السلطان عبد الحميد ، خصوصاً في الترس الساعية ، كيوم ولادته أو يوم جلوسه لقلنا : إنه كان رسول الرحمة تفضلت به العناية لا تقاذ البشر من برائن الظلم وأنياب الشر ، وإن فضله العميم في هذا المضمار لم يكن دون فضله في تنوير عقول الناس وتزويد النفس الحديث بالعلم والحق ، مما يصغر أمامه العصر الذهبي على عهد العباسيين ، ويتضاءل عند خليفة بارز كالخليفة عبد الله المأمون !

وعلى العكس من ذلك لو صدقنا كل ما كتبه خصوم هذا السلطان ، ممن قاوموا الاستبداد وصارعوا الاستبداد ، لقلنا إنه كان سواداً أبلاب أرسل للقضاء على الأبدان والأرواح والعقول في وقت واحد ، وإثبات النطاق الذي أقيم الذي أقامه حول « بلدز » من الحراس والجواسيس ، لدليل قاطع على ما يخامر نفسه من الهواجس التي عو أعلم الناس بأسبابها ، فالتأنيب خائف ، والجراسيس مرابا نقية تنعكس عليها صور الذين يستخدمونهم .

وحدث لي - رجعت إلى النورة في شهر أغسطس من سنة ١٩٥٥ - في دمشق - وأنا في الحافلة بما أوهمتها من سفرى مغرباً ، في حين كانت تتوقعه إلى الشرق ، فلما وصلت - وأنا في طريق إلى جبل الدروز - إلى مأمن في غوطة دمشق ، أقمت فيه يوماً أو يومين ، تناولت بعض الصحف اليومية ، فإذا فيها بالعنوان الكبير « القبض على الدكتور شهبندر » ، وتحت هذا العنوان قرأت التفاصيل : كيف امتدى إلى رجال الأمن في (الزبداني) ! وكيف سافوني إلى (دمشق) ! وأودعوني دائرة الشرطة ! فكان الناس يذهبون لرؤيتي ، فلا يجدون لحسن حظي وسوء حظ سيارتى ، إلا أنها هي المقبوض عليها ، والمودعة في السجن وهن التحقيق ليقرر لصوص الاستعمار ابتلاعها حتى من غير حكم صادر من محكمة ولو تلقيناً .

وحسب الدعايات الكاذبة احتقاراً أن يصبح الدعاة المأجورون الذين يروجون الباطل سبباً

في شك الناس في صحة الحق ، فمن أحق بالاحتقار ياترى ممن يسبل على شمس المستنيرين حجاباً كنيافاً من الأكاذيب والأضاليل ؟

وللحكمة الطبيعية اعتراضات علمية وجبيلة على التاريخ ، خلاصتها أنهم ينكرون عليه أن يدعى « علماً » ، لما تعودوه من حصر هذه الكلمة في الموضوعات التي يقتلونها بحذني غارهم وحقول بحارهم ، وإذا هم لم يتمكنوا من إعادة هذه الموضوعات وتكريرها بأحوالها وملاساتها في الوقت الذي يختارونه ، فهم على أقل تقدير يضبطون أوقاتها أو يستطيعون مشاهدتها بدم بارد بعيد - جهد الطائفة - عن المؤثرات الخاصة والصبغات المفروضة ، كما هي الحال في مشاهدة الكسوف والخسوف ؛ أما التاريخ فهو - في نظرهم - فن من الفنون مزوج دائماً وأبداً بالعوامل النفسانية المنفعلة والمواقف المضطربة ، شأن سائر الروايات والأخبار والآصيص فتكتسب هذه من الشوائب في جولانها في صدور الرواة وخروجها من أفواههم ، ما يكتسبه ماء النيل من الكدورات في سيله في الوديان من منبعه إلى مصبه .

فلا عجب والحالة هذه أن يعرف اللورد (اكنن) العلم بأنه : ضم مجموعة كبيرة من حقائق متشابهة تحت وحدة مؤلفة من إطلاق قبلى أو قاعدة عامة أو دستور شامل ، مما يمكننا أن نتنبأ بالتأكد عن تكرار الحوادث المتماثلة في الأحوال المعروضة . وبسبب هذا التعريف الرياضى الدقيق أو ماشابه من التعاريف الحسادة المانعة . لا يمد التاريخ علماً ، وذلك :

(أولاً) لأن المفروض - حتى في التاريخ نفسه - دع عنك العقائد والأديان والأخلاق - أن للإنسان جزءاً اختيارياً أو إرادة تعمل من نفسها وبوحياها ، تحصر هذه الإرادة في دستور على ثابت لا يتغير ولا يتبدل كدساتير الجاذبية والحرارة والكهربائية والنور - ينفذ على فكرة الاختيار قضاءً مبرماً ، ويذهب بما يدعيه الإنسان من حرية في العمل - وما يقع عليه بسببها من تبعات مسؤولة ، إذ يجعله آلة ميكانيكية تعمل بمحرك خارجى ليس إلا .

(ثانياً) لأن الظواهر التي بنى عليها التاريخ في كثير من الأحيان ، ليست أكيدة إن درجة يستطيع أن يعتمد عليها العالم المحقق باطمئنان ؛ فاقول القراء الكرام مثلاً ، في أن هنالك بين أساطين أهل العلم في ديار الغرب - أمثال « دافيد فريد ربح شتراوس الألمانى » وأشياءه من المعاصرين - من ينكرون بحسب السيد المسيح ، أو على أقل تقدير ، من ينكرون وجود شخصية تاريخية تنطبق عليها هذه الأوصاف المذكورة في الانجيل من رؤية الخرداق في السماء ، وعمل المعجزات على الأرض ، وسكوت التاريخ المعاصر عن ذلك بتماماً ؛

إن هذا العقل العلمى لم يجد في ما تنازع من الأخبار الممكنة والمستحيلة منفذاً إلى الاطمئنان ، بل ضرب بالجميع عرض الحائط ، وأنكر وجوداً مقدساً يسجد له في عصرنا هذا مئات الملايين من أرقى شعوب الأرض .

(ثالثاً) لأن الظواهر التاريخية المدونة قد انتقلت وأكل الدهر عليها وشرب ، فليس في المقدور استعادتها لمراقبتها من جديد . وأما الذين شاهدوها ووصفوها أو تفلوا خبرها من الأنواء ودونود كما سمعوه ، فلم يكونوا مزودين بالعلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وخصوصاً بعلم النفس ، فيتمكنوا من فهم الأسباب الطبيعية والبواعث الداخلية لتفسير الحوادث والمجريات .

وعلاوة على ذلك فالحوادث التاريخية التي تجري في يومنا هذا ، ليس في طاقتنا — في أغلب الأحيان — أن نشاهدها مباشرة ، بل نحن مضطرون أيضاً إلى الاعتماد على رواية الآخرين لها ؛ وحسب القارىء أن يأخذ كتابين لمؤلفين معاصرين ، عن رحلة إلى قطر من الأقطار ، ليقرأ العجب العجيب من التناقض في الوصف والحكم والاستحسان والاستهجان .

(رابعاً) لأن التاريخ ليس حقل تجارب ، ولا المجتمع البشرى مخبراً أو معملآ ؛ فلا يمكننا — والحالة هذه — عمل التجارب التي هي — في الحق — أساس العلوم الحاضرة ؛ على أننا قد نستفيد بالمشترعين من أهل التهور ، وبالمفكرين من أهل الإصلاح عما يحدثونه . وهاهناذان : روسيا وتركيا غيران كبيران ، يقوم فيهما « ستالين » و « مصطفى كمال » بتجارب اجتماعية وسياسية واقتصادية من الطراز الأول من الانقلابات التي تشبه التجارب العلمية في نتائجها .

(خامساً) لأن كل حادثة تاريخية هي فذة بعد ذاتها أو نتيجة وحدها ، فليس من المتيسر مشاهدة أمثالها في نفس الظروف والملابسات التي أحاطت بها . وعلينا أن نقبل بكل تحفظ ما جرى بحرى الأمثال من قولنا « التاريخ يعيد نفسه » ؛ فقد يصح هذا بالصورة الجملة المبهمة ، وأما عند التعمق والتدقيق بالصورة المنفصلة ، فالتاريخ وحيد دهره .

(سادساً) لأن ظواهر التاريخ معقدة تعقيداً كبيراً ، وليس بين المؤرخين — كما قال الأستاذ (هرنشو) — اتفاق على ماهو مهم أو ماهو نافع ، ولأن عنصر « الصدفة » — وهو ما يحدث عرضاً — كثير الوقوع .

فلهذه الأسباب وماسبقها من أن حوادث التاريخ فذة لا تتكرر ، لا يمكننا أن نصنف هذه الحوادث ، فنضعها في أبواب خاصة ، كل باب منها يشمل الحوادث المتأثلة في نوعها ، وهذا التصنيف أو التوبيي — كما هو معلوم — هو الأساس الذي تبنى عليه القواعد الكلية الشاملة والاستنتاجات الصحيحة ، والدساتير العلمية المضبوطة ، فحينما لا يوجد تصنيف لا يوجد استنتاج ؛ فلا جرم أن يكون التنبؤ عما سيجرى من الحوادث التاريخية ، كما يتنبأ الفلكي عن الكسوف والخسوف مثلاً ، ليس في حيز الامكان .

هذا بالاجمال هو رأى القائلين بالطريقة العلمية وتعذر تطبيقها فى الشئون التاريخية. ولكن « العلم » - والحق يقال - أوسع من أن يوضع فى هذا الخلاء الضيق ؛ وأملنى حرية من أن يقيد بهذه السلاسل الذهبية الخلافة التى يريد الطبيعيون التخلص أن يضعوها فى عنقه ؛ ومع كل احترامنا لعرفهم الاستقرائية البديعة ، وتقديرنا للنتائج الباهرة التى تفضلوا على الناس بها ؛ فكلية « العلم » يجوز أن تطلق أيضاً على كل مجموعة من ملاحظات صحيحة تقبل التنظيم تحت إشراف العين البصيرة النقاداة من غير تعصب يحول دون رؤيتها الحقائق الواقعة . فللاستناد (توماس هكسلى) : « إتنى أفهم بكلمة العلم جميع المعرفة التى تستند إلى التعليل والاثبات »

ودرس التاريخ على هذا النمط من جمع الحقائق وتنظيمها وعرضها للنقد وتصنيفها من آثار التعصب القديم ، قد أتى بكثير من الثمرات الياقة فى تنوير الأذهان ورفع المستوى التثقيفى ، وخولنا ، بعض الأحيان وضع الدساتير العلمية الصادقة ؛ كقولنا « متى كان الشعب مستاءً منكراً ، واستنطاق زعمائوه أن يزعموا فى قلبه الأمل بالإصلاح العاجل ، فإنه ينور فى وجه حكومته عند أول فرصة سانحة »

وقد زاد فى ترسيخ قدم « التاريخ » صلته بعلم الاجتماع وارتباطه بنتائجها ، وعلمنا أن نلاحظ هنا الفرق بين هذين العلمين ؛ فالمورخ الخلق بهذا الاسم يرى تعليل الطريقة الاجتماعية التى يسير بمقتضاها المجتمع فى الماضى ، فى حين يرى الاجتماعى تعليلها فى الحاضر . ويجمع المؤرخ الحوادث التى حدثت ، ويسعى ليفسر بها ما يمرض أمامه من الشئون الاجتماعية ؛ ولكنه عند جمعها يعرضها على علم الاجتماع أيضاً ، ليدركها ويحيط بكنهها ؛ فهو إذا مضى إلى التسلح به فى فهم الحقائق الماضية ، بيد أن هدفه فى الماضى دائماً حيث يرى كنوز المجتمع غنابة ، وأما الاجتماعى فيرى هذه الكنوز فى الحاضر ، فلاجرم أنه يجعله قبلته ، ولا يهتم من الماضى إلا ما كان متعلقاً بالحوادث التى يمر أمام عينيه .

وكما نثره التاريخ عن حصر سعيه فى الأفراد - من أسراء ورؤساء إلى آخره - ، ولم يذكر من شأنهم إلا ما يستدل به على حالة المجتمع الذى عاشوا فيه باعتبارهم فهرستاً له ، وكما أغض فى وصف « التاريخ الطبيعى » للجمعية البشرية ، فوصف حكومتها ، وطريقة بنائها ، والقواعد التى تسير عليها ، والمفاسد التى تنخر عظمها ، والتعصبات التى تعمي بصرها ، والاتصالات التى تدغمها ، ثم وصف الحكومة الدينية ، وبين قوة سلطانها وعلاقتها الرسمية بالدولة ، وشرح العقائد التى تدبى بها وتشرها فى الشعب ، وتضللها الناس من أجلها ، وكيف كانت ترسل الناس إلى أعماق السجون ، أو إلى سدد المشاق من أجل ترهات لم تحجج فى ما يبعد عن التبرؤ منها

ثم حلل الأوضاع الاقتصادية والمالية والصناعية والتجارية وحروب القبائل وسيطرة روس الأموال، وما إلى العادات الاجتماعية التي أفرها العرف، وإلى الروابط « العائلية » التي أبدتها الشريعة على فواضعها، ثم عرج على الفنون الجميلة، وهي معيار ذوق الأمة، فأعطاهما حقهما من الإيضاح... إن المؤرخ كلما أفاض في مثل هذه الشؤون العامة التي تسيطر على حياة الأمة، كان أقرب إلى الاتساق الاستقرائي والاعتدال العلمي، وأبعد عن مواقع الخطأ الناشئ عن الشذوذ الفردي، والجلوح الوهمي الذي لا ضابط له؛ وأما أولئك « المؤرخون » الذين وقفوا « توارخهم » على جمع أخبار الملوك باعتبارهم ملوكا فقط، فذكروا ما كان لهم من السراري والحظايا والأبناء والأحفاد والقصور والخيال والاستطبالات وما إلى ذلك من الأخبار التافهة فأحر بهم أن يدعوا حقايق روايات وكتاب أقاصيص وجذاب عوام! قال المستر (هربرت سنيسر) في فصل عنده عن التاريخ بعد آية في الأحكام:

« إن ما يتألف منه التاريخ الخلق بهذا الاسم محذوف أكثره من المدونة الكتب المعروفة في هذا الموضوع، وفي السنين الأخيرة فقط أخذ المؤرخون يزودونا بمقدار صالح من الملاحظات القيمة. وكما كان الملك في العصر الخالية الكل في الكل، وكان الشعب كية مهمة، كذلك كانت أعمال الملك تملأ في التواريخ الصورة المتجلية، وكانت الحياة القوية من ورائها رقعة أو رمنية (رمنية) قائمة للون ليس إلا. ولم يأخذ المؤرخون في الاشتغال بمظاهر التقدم الاجتماعي إلا في هذا العصر، إذ أصبحت سعادة الأمم - لا سعادة الأمراء - الفكرة المائدة »
ونحن إذا ما اهتمنا بفرد من الأفراد البارزين، وأوسعنا له مجالا في مدوناتنا الحاضرة، فانما نفعل ذلك لما لهذا الفرد من الخصائص والأعمال التي تجعل حياته عنوان العصر الذي عاش فيه، والأمة التي نشأ في أركانها، ولكن ما أقل هؤلاء الأفراد في جميع الأعصار والأمصار! عبد الرحمن شهبندر

أيها المشرك!

إن « المعرفة » لتفخر كل الفخر، بأنها بحجة المتقنين والعظماء، وبأن مشتركها من خاصة العلماء والأدباء في جميع أنحاء الشرق العربي.
لذلك يهمها أن تحافظ على سمعتهم الأدبية، من اتهامهم بعدم تقدير المشاق الصحفية، وما نبذل في سبيل « المعرفة » من مال وجهد.
فهل أدبت واجبك نحوها؟ وهل سددت اشتراكك؟ تذكر قليلا، وتفضل بشكورا بتسديد ما عليك إن لم تكن سددته.

مارستانات مصر في العصر الإسلامي

بقلم الدكتور أحمد عيسى بك

من عرف من الأطباء بخرمة بيمارستانه الأحمر به طولون

- ١ — محمد بن عبدون الجيلي العذري، رحل إلى المشرق سنة ٣٤٧ هـ، ودخل البصرة وإلى مدينة فسطاط مصر، وقد بمرمارستانها ومهر بالطب ورجع إلى الأندلس سنة ٣٦٠ هـ. وخدم بالطب المستنصر بالله والمؤيد بالله، وكان قبل أن يتطبب مؤدباً بالحساب والهندسة، قال القاضي صاعد^(١) «وأخبرني أبو عثمان سعيد بن البغوش الظليلي: أنه لم يلق في قرطبة أيام طلبه من يلحق بمحمد بن عبدون الجيلي في صناعة الطب وله من الكتب كتاب التفسير».
- ٢ — سعيد^(٢) بن نوفل طبيب نصراني كان في خدمة أحمد بن طولون.
- ٣ — شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المصري، مدرس الأطباء بجامع ابن طولون، كان فاضلاً له نظم مات في شوال سنة ٧٧٦ هـ.

٤ — المارستان الأسفل^(٣) (بالفسطاط) أو بيمارستانه لأفندي الفخيري

بناه الخازن الذي عمر المقياس بالاهراء، عمره وعمر الميضأتين المرسومة إحداهما لتفصيل الموتى والسقاية، والأحمالين للمروفين بجماس بوراق، وأجرى الماء إلى الحمامين والميضأة من البحر التي في الصاغة، وذلك في سنة ٣٤٦ هـ. قال القاضي: «إن الأخشيدي أمير مصر حبس جميع ما بناه من قيسارية ودور وحواليات على المارستان الأسفل والميضأتين والسقايتين وأكفان الموتى»، وذكر شيوخ المصريين المؤرخين أن هذا المارستان كان فيه من الأزيار الصبني الكبار والبراني والقصور النحاس والهواوين والطشوت وغير ذلك ما يساوي ثلاثة آلاف دينار، ونقل إليه من المارستان الأعلى الذي بناه ابن طولون أضعاف ذلك، وليس به الآن (قول ابن دقاق) شراب ولا دواء يلتصقه فقير، وإنما يطبخ فيه في السنة (كلمة غير مفهومة في الأصل) يسير، أكثر الضعفاء لا يسلمون إليه، ثم بطل ذلك. وقال تقي الدين المقرئ: هذا المارستان بناه كافور الأخشيدي وهو قائم بتدبير دولة الأمير أبي القاسم أنوچور بن محمد الأخشيدي بمدينة مصر في سنة ست وأربعين وثلاثمائة (٩٥٧ م).

١ راجع «المرآة» عدد يناير سنة ١٩٣٣ وما قبله.

(١) طبقات الامم ص ٨١ طبع بيروت (٢) حسن الخاضعة للسيوطي ص ٣١١ ج ١ (٣) لا تنص

٥ - بیمارستان الفساحين

قال القاضي محي الدين عبدالقاهر^(١): بلغني أن بیمارستان كان أولا بالفساحين، يعني المكان المعروف الآن باخراطين، على القرب من الجامع الأزهر. وهناك كانت دارالضرب بناها مؤمنون ابن البغاث وزير الأمر بأحكام الله قبالة بیمارستان. قال تقي الدين المقرئ^(٢) في كلامه عن دُوب خربة صالح: هذا الدُوب على يسرة من سلك من أول الخراطين إلى الجامع الأزهر. كان موضعه في القديم مارستانا ثم صار مساكن وعرف بخربة صالح وفيه سوق الصناديقين، وقال عن سوق الصناديقين: إنه نجاة المدرسة السيوفية، كان موضعه القديم من جملة المارستان.

٦ - بیمارستان السقطيين

كان هذا المارستان في سوق السقطيين خارج باب زويلة بجوار دار التفاح، قال ابن أبي أصيبعة^(٣): وكان أبو الحجاج يكحل في بیمارستان بالقاهرة، غير الموضع الذي صار حيفند بالقاهرة بیمارستانا، وهو من جملة القصر، أي غير بیمارستان صلاح الدين يوسف، وكان بیمارستان في ذلك الوقت في السقطيين أسفل القاهرة.

ومن خدم في هذا المارستان شهاب الدين أبو الحجاج يوسف الكحال، كان يكحل في بیمارستان بالقاهرة، وكان بیمارستان في ذلك الوقت في السقطيين أسفل القاهرة. وذلك يطابق زمن ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب للديار المصرية، أي قريبا من سنة ٥٦٧هـ ١١٧١م.

٧ - بیمارستان الاناصري أو بیمارستان صلاح الدين

لما ملك^(٤) السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الديار المصرية (٥٦٧ - ١١٧١ م) استولى على القصر^(٥)، كان في القصر قاعة بناها العزيز بن المنز في سنة ٥٣٨٤هـ ٩٩٤م، خربها السلطان صلاح الدين بیمارستانا، وهو بیمارستان العتيق الذي داخل القصر، وهو باق على هيئته إلى الآن^(٦)، أي إلى زمن المؤلف، ويقال إن فيها ملجأ لا يدخلها غل، وإن ذلك هو السبب الموجب لجمعها بیمارستانا. قال القاضي محي الدين بن عبد القاهر: ولقد سألت المباشرين بالبیرستان المذكور عن ذلك في سنة ٦٥٧هـ فقالوا صحيح.

قال أبو السرور البكري^(٧) عند كلامه على المارستان: قصر أولاد الشيخ من جملة القصر

(١) صبح الاعشى ص ٣٦٩ ج ٣ (٢) المقرئ ص ٤٠ ج ٢ (٣) عيون الانباء ص ٢٤٧ ج ٢
(٤) صبح الاعشى ص ٣٦٩ ج ٣ (٥) هو قصر الخلاء الفاطميين، وسيأتي الكلام عليه بعد (٦) المتوفى
أبو العباس الفافشندي سنة ٨٢١هـ ١٤١٨م (٧) مخطوطات الازهار في الخطط والاناير: مخطوط
بدار الكتب

الكبير، وكان قاعة فسكنها الوزير صاحب معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه، وفي أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب، فعرف به المارستان العتيق. قال القاضي الفاضل في متجددات سنة ٥٧٧ هـ ١١٨١ م: أمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بفتح مارستان للمرضى والضعفاء فاختار مكاناً بالقصر، وأفرده برسمه من حلة الرباع الديوانية مشاهرة، بطنها مائة دينار وغلات جهلتها، واستخدم له أطباء وكحالين وجراحين وشارفاً وعاملاً وخداماً، ووجد الناس به رفقاً وبه قنعاً. وقال ابن عبد الظاهر: كان المارستان قاعة بناها العزيز بالله سنة ٣٨٤ هـ ٩٩٤ م، وقيل إن القرائن مكتوب على حيطانها، ومن خواصها أنه لا يدخلها نمل لطعم بها، ولما قيل ذلك لصلاح الدين يوسف بن أيوب، قال هذا يصلح أن يكون مارستاناً، وسألت مباشره عن ذلك فقالوا صحيح.

قال أبو الحسين محمد بن جبير ^(١) الرحالة الأندلسي الكبير، عند زيارته لمدينة القاهرة سنة ٥٧٨ هـ ١١٨٢ م، وذلك في زمن السلطان صلاح الدين: «وما شاهدناه من مناخر هذا السلطان المارستان الذي بمدينة القاهرة، وهو قصر من القصور الرائقة حسناً واتساعاً، أبرزه لهذه الفضيلة تأجراً واحتراماً، وعين قيماً من أهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير ومكنه من استعمال الأشربة وإقامتها على اختلاف أنواعها ووضعت في مقاصير ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسب، وبين يدي ذلك القيم خدمة يشكفون بتفقد أحوال المرضى بكرة وعشية، فيقابلون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم، وبإزالة هذا الموضع موضع منتجع للنساء المرضى، ولهن أيضاً من يكفلن، ويتصل بالموضعين المذكورين موضع آخر منسج القناء فيه مقاصير عليها شبايك من الحديد اتخذت محال للجانين، ولهن أيضاً من يتفقد في كل يوم أحوالهم ويقابلها بما يصلح لها، والسلطات يتطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال ويؤكد في الاعتناء بها والمثابرة عليها غاية التأكيد». وقال على مبارك باشا ^(٢): لما تولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب السلطنة، وفرق أماكن قصر الخلافة على أمرائه ليسكنوا فيها، جعل موضعاً منه مارستاناً وهو المارستان المشهور بالعتيق، وجعل باباً من حارة ملحوخية، وهي حارة قائد القواد قديماً، وموضعه الآن الدار المعروفة بدار غمري الحصري مع ما جاورها من الدور، كما وجدنا ذلك في حجج الأملاك، وهو بآخر الحارة من جهة بابها الصغير الذي هو من جهة قصر الشوك، وأصل هذا الباب أحد أبواب القصر الكبير الشرقي، وكان يسمى باب قصر الشوك، ويدخل منه إلى المارستان العتيق.

أحمد عيسى

٣ - مملكة الحيرة في أيامها الأخيرة*

بقلم الأستاذ يوسف بك غنيم

وزير مالية العراق الأسبق

وفي زوال دولة المناذرة قال ابن بقلية : (١)

أبعد المنذرين أرى سواماً مندوح بالخوارج والسدير
وبعد فوارس التسمان أرض قلوفاً بين مرة والحفير
فصرنا بعد هلك أبي قبيس كجرب المعز في اليوم المطير
تقسمنا القبائل بعد معد علانية كأيثار الجزور
وكنا لا يرام لنا حريم فنحن كضرة الفرع الفخور
تؤدي الخرج بعد خراج كسرى وخرج من قريظة والنضير
كذلك الدهر دولته سجال فيوم من مساء أو سدور

وقال القعقاع بن صمر في أيام فتح الحيرة : (٢)

سقى الله فتى بالمرات مقيمة وأخرى بأبجاج النجاف الكوارف
فنحن وملكنا بالكواظم همرماً وبالني قرني قارن بالجوارف
ويوم أحطنا بالقصور تنابعت على «الحيرة» الروحاء إحدى المصارف
حططنا منها وقد كاد عرشهم يميل به فعل الجبان الخالف
رمينا عليهم بالقبول وقد رأوا غبوق المنايا حول تلك الخارف
صبيحة قالوا نحن قوم تستزلوا إلى الريف من أرض العريب المقائف

كان الدهاقين يترصدون بخالد ، وينظرون ما يصنع أهل الحيرة ، فلما استقام ما بين أهل الحيرة وبين خالد واستقاموا له ، أتته دهاقين الملقاطين وصالحوه . (٣)

واتخذ خالد بن الوليد الحيرة منزله سنة ، وهو يصعد ويصوب قبل خروجه إلى الشام (٤) ، وكان أبو بكر قد عهد إلى خالد أن يأتي العراق من أسفل منها ، وإلى عياض أن يأتيه من فوقها ، وأيهما سبق إلى الحيرة ، فهو أمير على الحيرة ؛ وكان في الفاتحين المسلمين

* راجع « المروة » عددى ديسمبر ١٩٣٢ ويناير سنة ١٩٣٣

(١) الطبري ١ : ١٣٠ (٢) الطبري ٤ : ١٥ (٣) كذلك ص ١٧ (٤) كذلك ص ١٨

قد اتخذوا الحيرة قاعدة حربية في فتح العراق ؛ وبعد فتح الحيرة ، فتح المسلمون الأنبار وعين التمر ؛ وبعد سفر خالد إلى الشام ، أقام المثنى بن حارث الشيباني بالحيرة مع عمرو بن حزم الأنصاري ، ووضع المسلحة ، وأذكى العيون ؛ واستقام أمر فارس . بعد مسير خالد من الحيرة بقليل ، وذلك سنة ثلاث عشرة ، على شهر رزان بن اردشير بن شهر يارسابور ، فوجه إلى المثنى جنسداً عظيماً عليهم هرمز جاذويه ، خرج المثنى من الحيرة نحوه ، وكانت الغلبة للعرب ؛ وعلم المثنى موقفه وأن لا قدرة له على الدأب في الجهاد بلا نجدة ، فذهب إلى المدينة وبين موقفه إلى أبي بكر - وكان على فراش الموت - فطلب أبو بكر إلى عمر بن الخطاب أن يبعث نجدة إلى بلاد فارس ^(١).

لما ولي عمر بن الخطاب لم يكن همه إلا العراق ؛ فعقد لأبي عبيد بن مسعود على جيش وأمره بالمسير إلى العراق ، ومعه المثنى بن حارث ، وعمرو بن حزم ، وسليط بن قيس ، فساروا حتى نزلوا النعلبية ، وعقد أبو عبيد الجراح جسراً ، وعبر بمن معه على كره من مشورة سليط والمثنى ؛ وزحف عليهم المعجم ، فرشقوهم بالنشاب حتى كثرت في المسلمين الجراحات ، وقتل في هذه الواقعة أبو عبيد ^(٢) ، فرجع الباقر مادين نحو الجسر ، والمثنى يقاتل من وراءهم لجميعهم حتى عبروا جميعاً ، وعبر المثنى في آخرهم ، وقطعوا الجسر ، وكتب إلى عمر بما جرى من المحاربة ، وكتب إليه عمر أن يقيم إلى أن يأتيه المدد ، وكانت هذه الواقعة في رمضان سنة ١٣ هجرية ؛ ثم أرسل عمر بن الخطاب جيشاً وولى عليه جرير بن عبد الله البجلي ، فسار حتى وافى النعلبية ، ثم سار حتى نزل دير هند ، فبلغ ذلك أزميدخت ملكة المعجم ، فأمرت أن ينتدب من مقاتليها اثنا عشر ألف فارس ، فالتدبوا ووات عليهم مهران بن مهرويه عظيم المرازبة ، فسار بالجيش حتى وافى الحيرة ، فتقاتل الفريقان وانجلى المعركة عن قتل مهران وانهمزام المعجم لاحقين بالمسدائن ؛ وكانت هذه الواقعة سبب خلع أزميدخت وتمليك غلام اسمه يزديجرد من عقب كسرى بن هرمز ؛ فاستجاش يزديجرد جنوده من آفاق مملكته ^(٣) وأشغل جيش المسلمين . فكتب المسلمون إلى عمر بن الخطاب بما ينتظرون من أهل السواد ، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد ، من كان له عهد ومن لم يكن له عهد ، وخرج المسلمون من بين المعجم . وأرسل عمر بن الخطاب جيشاً إلى العراق ، في سنة ١٤ بقيادة سعد بن أبي وقاص ، ومات المثنى قبل وصول سعد ، واستخلفه بشير بن الخصاصية ^(٤) وكان الأزمرد بن الأراذبة دعا قابوس بن قابوس بن المنذر وبغته إلى

(١) ابن الأثير ٢ : ١٧٤ . والاختيار الطوال ١١٢ (٢) ابن العبري ١٧١ (٣) الطبري ٤ : ٨١ (٤) ابن

الانبي ٢ : ١٨٨ و ١٩٠ .

القادسية ، وقال له ادع العرب فأتت علي بن أجادك ، وكني كما كان أبائك ، فقتل القادسية وكان بكري بن وائل يمثل ما كان النعمان يكتبهم مقاربة ووعيداً ، وأشغل جيش المسلمين ، فجاءه المعنى ابن حارثة الشيباني - أخو المنثري - فأثامه ومن معه . (١)

وقتل في هذه السنة عبد الله بن سنان ، والنعمان بن قبيصة الطائي - وهو ابن عم قبيصة ابن إلياس الطائي صاحب الحيرة - وكان النعمان على رابطة الفرس في قصر ابن مقاتل (٢) ، وأغار في هذه المطاوى العرب على الحيرة ، فلاقوا قرب الصين زفاف أخت أزد مرد بن أزازبة مرزبان الحيرة ، إلى صاحب الصين ، فنهبوا ونهبوا بنت أزازبة وغيرها من النساء . (٣) وفصاري الكلام فقد ثبتت أقدام المسلمين في الحيرة والكوفة ، وفي سواد العراق بانتصارهم على الفرس في واقعة القادسية .

وأجل عمر (رض) من دومة جندل اكيدر الملك السكوني الكندي - فيمن أجل من نخالي دين الإسلام - إلى الحيرة ، فقتل في موضع منها ، قرب عين القمر ، وبني به منازل وسماها دومة ، وقيل دوما باسم حصنه بوادي القرى ، وكان قائماً يعرف في زمن يافوت الحموي إلا أنه خراب . (٤)

وروي الواقدي (٥) عن فتح الخوارج ، وقتل النعمان المغرور بن المنذر (٦) وفتح الحيرة والقادسية على يد سعد بن أبي وقاص ما ملخصه : قدم العراق سعد بن أبي وقاص ، في ثلاثين ألف فارس من بجيلة والنخع وشيبان وربيعة وأخلاط العرب ، وما من قدم المراق منهم إلا بأهله وولده ، فارتحل من الرحبة إلى الحيرة البيضاء ، وكان هناك جيش النعمان بن المنذر ، وقد ضرب خيامه والسرادات إلى ظاهرها ، وقد أضاف إليه جميع العرب ، وهم من العراق في ثمانين ألفاً ، وقد أقام عليهم النعمان النعم والخلع ووعدهم من الملك كسرى بكل جميل ، وقام يخطب فيهم ، فبينما هو كذلك إذ جاء عمه إلياس (٧) وهو صاحب الحرس ، وأخبره بقدم رسول قائد جيش المسلمين ، وكان هذا الرسول سعد بن أبي عبيد القادري ، فعرض الرسول إحدى الثلاث : الإسلام ، أو الجزية ، أو الحرب . وبعد المناوذة أجابه النعمان : ليس بيننا إلا السيف ، فأخبر الرسول سعد بن أبي وقاص بالجواب ، ثم تلاقت جيوش الفريقين واشتد القتال بين جيش سعد وبين جيش النعمان بن المنذر فأصيب

(١) الطبري ٤ : ٨٨ (٢) ابن الأثير ٢ : ١٩ (٣) الطبري ٤ : ٩٩ (٤) معجم البلدان في المادة «دومة الجندل»

(٥) فتح الشام ٢ : ١٢٠ وما بعدها (٦) لأنظر أن النعمان بن المنذر كان في الحيرة في هذه الواقعة لأن قتله قبل هذه الواقعة على رواية المؤرخين ، ومن المحتمل أن النعمان بن قبيصة الطائي هو القاتل في هذه المعركة كما مر بنا خلا عن الطبري (٧) هكذا ورد هذا الاسم وربما هو إلياس.

النعمان بسنان وتجنبدل ، ولما رآه جنود الحيرة ولوا الإِدبار يريدون القادسية نحو جيش الفرس وفيه رستم بن اسفنديار ، واحتوى سعد بن أبي وقاص على قصر الخورنق والسدير ، وترك جميع ما أخذه في الحيرة .

ولما رأى جيش الفرس فلول جيش النعمان ملك العرب ، واستخبروا عن أخذ الخورنق والسدير والحيرة تلبلوا ، فوقف رستم بينهم خطيباً يشجعهم على القتال ، وأقبل عليه في هذه التضاعيف أبو موسى الأشعري ، موقفاً من سعد إلى الفرس ، فعرض عليهم الشهادة أو الجزية أو الحرب ، وهرب في ذلك الليل من عساكر الفرس إلى المسلمين ، فطلبهم الفرس فرفض العرب إرجاعهم ، ثم تحاربت جيوش المسلمين والفرس طيلة النهار ، ومنى جيش الفرس بالخسائر والاندحار ، وفي وقعة أعقبت ذلك اليوم قتل رستم وانتهت هذه الحرب ، بانتصار المسلمين ، وفتحهم القادسية ، وهرب الفرس إلى المدائن مولين الإِدبار ، واستولى الفاتحون على أموالهم .

ولما بعث عمر بن الخطاب إلى سعد بأن يمضي إلى المدائن ، أمره أن يخلف النساء والأولاد في الحيرة ، وعندهم من الجند جماعة ، وأن يجعل لهم شركة في كل مقيم ^(١) .

ويظهر مما ذكرنا أن ليس لأهل السواد عهد إلا الحيرة وليس وباقيها ، فلذلك يقال : لا يصح يسم أرض السواد دون الجبل لأنها في المسلمين عامة إلا أراضي بني صلوبا وأرض الحيرة ^(٢) .

٧ : بقايا النخمين وملكهم في الإسلام

لم ينحصر مجد النخمين وملكهم بالحيرة وما والاها من ديار العراق أو ما جاورها من البلاد العربية في الجاهلية كما بينا في تاريخهم ، ولم يندثر عزهم بزوال دولتهم عند الفتح الإسلامي ، بل نرى منهم أمراء في الأندلس ، وفي الإسلام ؛ قال النويري ^(٣) : وقد كان للنخمين ملك بالحيرة من العراق ، وكان لبقاياهم ملك بأشبيلية من الأندلس ؛ وهي دولة بني العباد ، وأول من ملك منهم القاضي محمد بن اسماعيل بن قريش بن عباد ، وقد ذكر القاضي في خطط مصر أنهم حذبوا فتح مصر ، واختلطوا بهم ، ومن خالفهم جذام ، وقال الجذاني : وبصعيد مصر قوم منهم مساكنهم بالبر الشرق .

وأورد ابن خلكان ^(٤) نسب المعتقد صاحب قرطبة وأشبيلية وما والاها من جزيرة الأندلس كما يأتي : هو المعتقد على الله أنه القاسم محمد بن المعتض بالله أبي عمر

(١) الرازي : فتوح الشام ٢ : ١٢٧ . نفيه هنا إلى أن روايات الحديثين عن فتح العراق تتباين في تفصيلها والوقوع باختلاف الرواة ، وقد اتفقنا أنها ما اعتقدناه أقرب من غير إلى الحقيقة (٢) مجمع البذل : المادة «سواد» (٣) نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ٣٣٢ (٤) وفيات الأعيان ٢ : ٤٠٩ وما بعدها

وعباد بن الظاهر ، المؤيد بالله أبي القاسم محمد قاضي أشبيلية بن أبي الوليد اسماعيل بن قريش ابن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطف بن نعيم اللخمي ، من ولد النعمان ابن المنذر ، آخر ملوك الحيرة . وفي المعتمد هذا وفي أبيه يقول أحد الشعراء :

من بني المنذرين وهو اقتساب زاد في غرهم بنو عباد
فتية لم تلد سواها المعالي والمصالي قليلة الأولاد

وكان بدء أمرهم في بلاد الأندلس أن نعيمًا وابنته عطفًا أول من دخل إليها من بلاد المنرق ؛ وهما من أهل العريش ، القرية القديمة الفاصلة بين الشام والديار المصرية ، في أول الرمل من جهة الشام ، وأقاما فيها مستوطنين بقرية قرب تومين من إقليم طشانة ، من أرض أشبيلية ، وأمتد لعطف عمود النسب من الولد ، إلى الظاهر محمد بن اسماعيل القاضي ، فهو أول من نبغ منهم في تلك البلاد وتقدم بأشبيلية إلى أن ولي القضاء بها ، فأحسن السياسة فرمته القلوب ، وولاه الناس عليهم عوضًا عن يحيى بن علي بن محمود الحسن المعروف بالمستمل في سنة ٤١٤ هجرية ، وعلى رواية أخرى سنة ٤٢٤ ؛ ولما مات محمد القاضي سنة ٤٣٣ هجرية ، عقبه ابنه عباد ، ومات عباد سنة ٤٦١ ؛ وقام بالملكة بعده ابنه المعتمد على الله أبو القاسم ، وكان المعتمد هذا يدفع الضريبة للادفونش . وحارب أبو يعقوب يوسف بن تاشفين - صاحب مراکش - المعتمد هذا سنة ٤٨٣ هجرية ، وانتصر عليه ، وقتل المأمون بن المعتمد ، الذي كان ينوب عن أبيه في قرطبة ، وابنه الآخر نائبه في رندة . وأمر صاحب مراکش المعتمد وقيده وجعله مع أهله في سفينة ، فتألم المعتمد من قيوده وقال :

نبتت من ظل عز البنود بذل الحديد وقفل النبود
وكان حديد سناناً ذليلاً وعضباً رقيقاً صقيلاً الحديد
وقد صار ذاك وذا أدهماً يعض بساقى عض الأسود

وقال ابن لبانة قصيدة في تكة المعتمد منها :

تبكي السماء بدمع رايح غادي على البهاليل من أبناء عباد
ومن بقايا اللخمين الأمير ظهير الدين الذي أقامه السلطان نور الدين - ملك مصر
والشام أميراً على سنح لبنان سنة ٥٥٦ هجرية - وفوضه على القنيطرة وروج صيدا
والدامور ، وأمدّه بالمال والسلاح لمحاربة الأفرنج . ويذكر أن الأمير ظهير الدين هذا من
أعقاب أحد أولاد النعمان بن المنذر ، الذي سار بعد قتل أبيه إلى لبنان يتبائل من العرب
فنهبت الامارة لأعقابه ؛ ومن تلك السلالة الأمير بدر الدين محمد المتوفى سنة ٧٩٨ هجرية .
هذا آخر ما نعرفه عن سيادة اللخمين وسلطانهم في مختلف الأدوار ، ومتباين الأقطار ؛
فسبحان من يهب الملك من يشاء ، ويترعه ممن يشاء ، والله ملك السموات والأرض
[بغداد] يوسف فنيمة

أسلوب التفكير في الأزهر

ومنزلة من تطور الفكر البشري

بقلم الاستاذ أحمد توفيق عياد

المدرس باليسية فرانسيه

استعرضنا في المقالين السابقين^(١) أهم المدارس التي نشأت في الغرب ، وكان لها أثر إما أثر في تطور الفكر الأوروبي ، و انتهينا من الكلام عن الأفلاطونية الحديثة وأثرها في العرب بوجه عام ، وأثرها في التصوف الاسلامي بوجه خاص ؛ وبعد الأفلاطونية الحديثة لم يظهر في أوروبا تفكير مجدد ، وتولاها على العموم عصر مظلم ليس فيه مجال للبحث والتفكير العميق ، إلى أن أنشأ (شربان) مدارس تتابع الرجوع إلى الفلسفة اليونانية ؛ ولهذا المدارس تنسب تسمية العصر بالمدرسي . وبينما كانت أوروبا في غيابة هذا الظلام الدامس إلا أن القرون الوسطى ، كانت العرب في أرق عصر من عصورها الذهبية ؛ فبعد اختلاطهم بالأمم المختلفة ذات الحضارة والنظم السياسية والادارية في الشام والعراق ومصر - ولاسيما بعد خلوطهم في الأندلس واستقرارهم فيها - أخذوا في الاهتمام والعناية بالعلوم الفلسفية وسائر العلوم : من طب ، وفلك ، ورياضة ، وتاريخ ، وأدب ؛ وقلوا أكثر الكتب المعروفة لديهم فيها ؛ ولم يقف عملهم عند حد النقل ، بل بدأ العقل العربي بكل تطور الفكر الانساني ؛ او مترج الدين بالفلسفة كثيراً ، وظهر كثير من الأفاذا الذين على عقولهم تنقل هذا التطور « كالكندي » وهو أسبق فلاسفة المسلمين ، وهو عربي الأصل دون سواء من فلاسفة العرب ، و يليه « أبو نصر الفارابي » و « ابن سينا » و « الغزالي » وهو إمام التصوف . وظهر منهم في الأندلس « المجريطي » و « ابن باجة » و « ابن رشد » وغيرهم ؛ وقد ألفوا المؤلفات الضافية في فروع الفلسفة والعلوم ، مما اتخذه الغربيون أساساً لفلسفتهم في أوائل نهضتهم ، وظل العرب كذلك قروناً في نهضتهم هذه ، وانتقل إليهم علم اليونان وعلم القرس وغيرهم ، حتى أتى عصر النهضة وإحياء العلوم ، فاستمد الغربيون حلهم وفلسفتهم من العرب الذين أخذوا من ذلك الوقت - الذي بدأ الغرب فيه بثمنش -

في التأخر والاضمحلال ، وصار شأن التفكير عند الأمة الإسلامية - في عصور الاضمحلال هذه ، منذ أواخر القرن الثامن الهجري إلى قبيل عصرنا الحاضر - شأن التفكير عند الغربيين طوال القرون الوسطى ، وأصبح منذ ذلك الوقت يمتاز الأزهر وغيره من المدارس الإسلامية بما كانت تمتاز به القرون الوسطى عند الغربيين من مميزات ؛ فكان التعليم في الغالب دينياً خاضعاً كل الخضوع للآراء والمعتقدات الدينية ، وكان التعليم لفظياً كله وليس للعقل فيه نصيب ، لأن التلميذ كان مضطراً إلى قبول ما يعرض عليه كأنه عقيدة مسلم بها ، فهو وتعليم تحكى لأعمال فيه لتتقد وإعمال الفكر ، وعود الناس الميل إلى الأمور الجردة المعنوية ، والاستدلال الشكوى العقيم من مقدمات مفروضة عدم التفكير فيها وتمحيصها ؛ والتفكير كان استقبالياً كله أساسه القياس المنطقي ، والاعتماد على الحفظ والاستظهار ، لا على الملاحظة والملاحظة ؛ وأوضح خصائص هذا العصر عند الغربيين إخضاع الفلسفة لللاهوت ولم يكن الدين والفلسفة طريقتين يوصلان إلى الحق ؛ فالفلسفة هي الدين والدين هو الفلسفة ؛ وكانت وظائف المشتغلين بالفلسفة هي الشرح والتعليق والتعليل للفلسفة القديمة أو لآراء الدين ، ولم تكن هناك حرية في البحث لقوة السلطة الدينية التي عملت على تحديد سلامة العقل بحدود الدين ، فما أقره الدين لا يفكر فيه العقل أو يسلم به ، وكل هذه الخصائص ، هي يمينها خصائص الفلسفة الإسلامية ؛ فانه لما انحلت درجة الاشتغال بالعلوم الإسلامية وضعف شأنها ، وكان العلماء المتقدمون قد استرفوا الكلام فيها بمؤلفاتهم ومصنفاتهم المتعددة ، لم يجد العلماء المتأخرون لأظهار فضلهم في التفسير وإقشار ذكرهم بالتأليف ؛ إلا أن يعمدوا إلى ما بين أيديهم من المؤلفات والمصنفات ، فوضعوا عليها الشروح والتفاسير ، وجاء من بعدهم طبق من أهل العلم دون طبقتهم فخذوا حذوهم واقتصرت هممتهم على شرح ما وضعوه من تلك الشروح وهي الحواشي ، ثم جاء من بعدهم كذلك من اشتغل بوضع الشروح على تلك وهي التقارير ، ثم غطى كل ذلك مقون الكتب ، وقضاة الباب تحت التشويع ، واستحكم التعقيد بذلك وتغلب الابهام ، فوفقت الأذهان في ارتباطك ، والمقول في تشوييع ، وتعدت النقاط الفوائد على الطلاب من وراء الاشتغال بها ؛ وساءت بذلك حالة التعليم ، وضاعت الأعمار والأوقات بغير مائل ، (١)

وكانت كل أبحاثهم دائرة حول الأمور الميتافيزيقية دون أن يكون لهم إلمام بالشؤون الطبيعية ، وكانوا بمنزل نام عن الحياة الواقعية وما يجري فيها ، وكانت حقائقهم شكلية ؛ أما النتائج المادية التي يصلون إليها بعد التجربة والبحث فلم يكونوا يعرفونها ؛ وكان تفكيرهم

(١) رسالة يرم عن الأزهر من ٥٥

محصوراً في دائرة واحدة ، يلف حولها ولا يتعداها ؛ وكان مجهودهم الفكري منصرفاً إلى مناقشات لفظية ، لا تؤدي إلى نتيجة عملية لها اتصال بالحياة أو بالعالم الخارجي ؛ وينقاشون في الألفاظ والتعاريف مناقشة ملوثة من غير جدوى ، وطريقتهم المتبعة هي الطريقة الحوارية بالسؤال والجواب ، لا لأجل التعليم الصحيح والتربية العقلية ، وإنما ليجرد التلقين والاستظهار ؛ « ومن حفظ المتنون فقد حاز الفنون » .

وكان القياس المنطقي الآلة الكبرى في المحاجة والجدال ، مقدماته المعتقدات الدينية الاستبدادية ؛ وبحال تفكيرهم لم يكن مجال خلق وابتكار ، ولكنه تفكير في دائرة محدودة ؛ وتفكير أشبه ما يكون بالشعوذة العقلية ، والفلسفة والآداب لم تكن سوى وسيلة خلدمة لتلغيات الدين السائدة ؛ وكان الاهتمام منصرفاً إلى الجدل نفسه لا إلى النتيجة التي قد تؤدي إليها المقدمات ؛ فالغاية هي الافتناع وإلزام الخصم بالحجة ، لا الوصول إلى الحقيقة .

هذه هي الحالة العقلية التي كان يشترك الشرق فيها في عصور اضطلاله - وما زلنا نشي تحت وطأتها - مع الغرب في عصر القرون الوسطى . ولقد جذبت عوامل كثيرة في الغرب حملتهم على الخلاص من هذا الجمود العقلي ، وانتهجوا لذلك سبيلاً لا بد أن نسير وراءه إذا أردنا أن نتخلص من هذه العبودية الفكرية التي نرتطم فيها ؛ ووسيلة النجاة تتأخص في شيء واحد ، هو تغيير أسلوب التفكير في الأزهر ، وتكوينه التكوين العلمي الحديث ، وسلوكه طريق البحث العلمي الحديث في تفكيره ؛ وهذا ما وصل إليه الغربيون بعد جهاد طويل دام قروناً ، ضمن لهم التوفيق في النهاية وحرية الفكر ، وسداد الرأي .

فإذا استطاع الفكر الأزهرى ألا يثق في شيء من غير اختبار على ضوء المنطق الصحيح ، وألا يتقبل حقيقة من الحقائق دون أن يوزنها بميزان المنطق ، وإذا استطاع أن يتخطا من الأغلاط والأوهام التي يمرض لها الفكر بطبيعته بسبب الوراثية ، أو بسبب التكوين الطبيعي للفرد ، أو بسبب اللغة وأصليها ، وإذا استطاع أن يكون جريئاً يهجم على الآراء والعقائد يبحث فيها ويهضمها ويمثلها دون أن يتردد في ذلك من غير ما مبرر ، وإذا استطاع أن يشك في كل شيء حتى في أمس الأمور بعقائده وآرائه ونزعاته الموروثة ، ليصل من وراء هذا الشك إلى يقين ثابت يدعمه المنطق الصحيح ، وإيمان وطيد لا يأتيه الباطل ؛ دون أن يخاف الزيف والزلل في شجاعته هذه ، وإذا استطاع أن ينهج هذه السبيل في دراسته للأشياء ، وفي تمحيصه للحقائق ، وذلك بجميع الوقائع المتعلقة بالموضوع بما يرتبها ويؤثرها ، ثم يتناولها وافته واقعاً بالبحث والتحصيل والدحض ، ثم يستنتج منها ما يهديه إليه عقله وتفكيره... إذا استطاع الفكر الأزهرى هذا ، انتقل الأزهر من صبغته القديمة التي تجعله إلى القرون الوسطى أقرب [البقية على الصفحة ١٢١٦]

ماذا ينبغي أن يقرأ طفلك؟

بقلم المربية الكبيرة الآنسة زينب الحكيم
خريجة جامعة لندن

موضوعنا هذا من أهم ما يجب أن نشغل عقولنا بالتفكير فيه ، فظراً لأهميته بالنسبة لكل مخلوق إنساني بوجه عام ، وبالنسبة لما نلاحظه من نقص ظاهر في حال أطفالنا وطلاب العلم في بلادنا ، وبعذارسنا المصرية بوجه خاص .

وربما يسهل علينا البحث إذا نحن حللنا عناصر الموضوع بالاختصار ، بحيث يظهر أمامنا المبدأ الذي يجب أن نبتدىء منه ، والغاية التي ننتهي إليها .

والآن يمكننا أن نقول : إن أداة القراءة هي اللغة التي ميزت الإنسان عن الحيوانات الأعجم ، واعتبرت مبدأ للذكاء الإنساني .

وقد ابتدأ الإنسان تأليفها برموز تعبر عما يحول بخاطره ، وتدلل على ما يحيط به من أشياء كثيرة ؛ لذلك نجد أن الطفل حائش في وسط حلفتين هما الماضي والحاضر ، يبني عليهما حلقة ثالثة هي المستقبل ، وهو يبني هذا المستقبل بتفكيره الخاص وتجاربه .

وبحث إن اللغة أو « أداة التعبير » أو الشيء الذي يقرأ يرتبط بما يأتي :

١ — بما يحيط بنا من أشياء .

٢ — بحركاتنا .

٣ — يتكون منه تراكيب وجمل .

فاللغة تشبه الأمة : فكما أن للأمة سياسة وطقماً ، كذلك الحال مع اللغة : فلها قواعد ، وأسلوب ، لا يجيدها الإنسان إلا بالقراءة .

فكيف نساخر الطفل على القراءة وماذا ينبغي أن يقرأ ؟

فيل الجواب عن هذا السؤال نقول :

إن علم النفس حاول أن يقسم أطوار نمو الطفل فأظهر أن كل طور يختلف عن الآخر . ونحن نعرف أن القراءة تتطلب : ١ — حصر فكر — ٢ — تشوقاً — ٣ — انتباهاً — ٤ — غرضاً .

وقد أثبت علم النفس أيضاً أن الأربع حالات السابقة الذكر التي تتطلبها القراءة ، بل نعمل على إنمائها في الطفل ، توجد في آخر طور الطمولة (من ٧ - ٩) أو إلى ١٢ في الحالات الشاذة .

واسكى فصل إلى الأربع مبرات المتقدمة يجب أن نوضح حاجتنا الماسة إلى القراءة ، والغرض الذى نفعلمها من أجله . فمثلا نحن فى حاجة إلى قراءة الخطابات ، والتقارير ، والمذكرات وأخبار العالم ؛ كما أن القراءة تكسب ملكة الاقتدار على الخطابة والتحرير ، وفوق ذلك فإنها أكبر واسطة يصل بها الانسان إلى أغزر ينابيع العلم ؛ هذا عدا فوائدها فى إثناء قوى الطفل العقلية و تكوين شخصيته وأفكاره .

إذن : فإذا ينبغي أن يقرأ الطفل وهو دون السابعة ؟

١ - يمكننى بمطالبتة بقراءة ما يكتب من كلمات بسيطة أو جمل . والفرض الأساسى من القراءة فى هذه المرحلة هو مساعدة الطفل على تعلم النطق الصحيح أثناء القراءة ، كذلك المواقف وغيرها ، بحيث يستطيع فهم وقراءة كتابات الغير فى المستقبل .

٢ - أن تحكى له الأم أو المربية قصصاً بسيطة جداً أو أغاني قصيرة سهلة تتمشى مع عقليةته وبيئته ، وأن تحبب إليه التقرب من باقى أطفال بلده ، وأطفال الأجناس الأخرى . مثل حكاية (علة الشكلاطة) وهى :

« أحضر والد إلى ولديه : فريد ومنير ، صندوقين من (الشكلاطة) عند عودته إلى المنزل فى المساء ، فشكراه - شأن الأطفال المؤدبين - وأخذ كل منهما صندوقه واحتفظ به ؛ وفى سبيحة اليوم الثانى أخرج فريد صندوقه وطلب إلى والدته والدة وجميع أولاد عمه الحاضرين أن يشاركوه فى أكله ، فشكر له الجميع ضيقه وأحبوه لسكره وحبهم له ؛ فأما منير أخوه فإنه حفظ جميع ما فى الصندوق لنفسه ، فلم يشكره أحد على ذلك ، وعرف بينهم بالبخل وحب نفسه فقط ؛ وطبعاً إذا كان مع أولاد آخرين (شكلاطة) أو (بلى) أو (كور) أو أى من ألعاب الجميلة ، فسيعاملون كل واحد بما يستحق ، فيكون نصيب فريد الاشتراك فى كل شئ مع الأطفال ، أما منير فيكون نصيبه الحرمان والافتراء » .

كذلك نرى له حكايات تحببه فى الطير وباقى أنواع الحيوان ، مثل حكاية « إحسان والعصفور » وحكاية « البويرة » و « الثلاث ديب » وحكاية « مراعاة شعور الغير » وسأقدم الآن حكاية « إحسان والعصفور » ومضمونها الشفقة بالطائر :

« كانت إحسان مرة عائدة إلى المنزل من المدرسة ، فرأت فى الطريق ثلاثة أولاد يرمون بالحصى عصفوراً ضعيفاً ، كان قد أصيب بضربة من طبل شرير شقى فى أحد جناحيه اللذين يطير بهما ؛ لذلك لم يتمكن من الطيران - كمادته - فانتهر الأطفال الثلاثة الأشقياء الفرصة وماكسوه أيضاً ، فنهتهم إحسان عن ذلك وقالت : حرام عليكم ، ماذا فعل لكم هذا الطائر

المسكين ؟ اتركوه في سلام ودعوني آخذه أنا لأعلمه وأدفعه ؟ فضحكوا منها واستمروا في معاكسته ، ولكنها تغلب عليهم وأخذت العصفور إلى منزلها بعد أن نصحت الأطفال ثانية بالشفقة بالطيور ، لأنها مخلوقات مثلهم تحس وتألم ، ومن يؤذيها يؤذي الله . أما العصفور المسكين فأت بعد يومين لما حل به من الألم ؛ فأنبهكم إلى أن هؤلاء الأطفال فساد القلوب لمعاكستهم هذا العصفور الصغير حتى سببوا موته ؛ وإذا كان لم يؤذي أحد منهم ، لكان بنى عشه على الشجر في حداثتهم ، وكان يسليهم بسامع صوته مبكراً كل صباح ؛ لأنه طائر نشيط مثل الطفل الشاطر الذي يصبح مبكراً ليذهب إلى مدرسته في الميعاد ؛ وأيضاً لو عاملنا الطيور كلها - مثل بس العصفور - (بل أيضاً الحمام والفراخ والغراب) بلطف ، لكان لنا أصدقاء كثير منها في الحديقة وفي المنزل ؛ وإحسان كانت بنتاً صغيرة حلوة ؛ لأنها كانت تحب الطيور - واقطعت أيضاً - وكانت لها كلبة صغيرة عمرها ماعذبتها ولا بخلت عليها بأكلها أبداً ، فذلك كانت أمها وأبوها يحبوها خالص .

ومن الحكايات التي تقال لبث روح « مراعاة المرضى » أو المحافظة على شعور الغير :
« ذهب شفيق إلى المدرسة في الصباح عالماً بأن والدته المحبوبة مريضة جداً ، فلما عاد من المدرسة نسي هذا كله ، وأقفل الباب وراءه بقوة أزعجتها ، ثم دخل عليها حجرة النوم وهو يخطب برجلية ، ولما وجدها راقدة في الفراش تذكر أنها مريضة ، فسألها بصوت مرتفع عن حالتها ، التي كانت وفئت سيئة جداً من تأثير خبط الباب وخشونة أقواله وحركاته ، فزعل والدته العزيزة بعدم المحافظة عليها ومراعاة شعورها ، بعكس الطفل الخلو عبدالفتاح ، فإنه مرة ترك والدته مريضة ، وحضر إلى المدرسة التي كان يحبها كثيراً ، ولكنه لم يقدر على البقاء طويلاً اليوم بالمدرسة دون أن يسأل عن والدته ، فأخذ إذناً بأن يعود إلى المنزل لمدة قصيرة ، ثم يرجع لدروسه ، فسمحت له المدرسة بذلك ، ولما ذهب لوالدته دخل عليها بكل أدب ولطف وسألها عن صحتها باهتمام ومحبة ، ثم استأذنها ليعود إلى المدرسة بقية اليوم ، فمرت منه لائحة وكذلك مرت منه المدرسة ، وحكى حكايته لباقي الأطفال فصفقوا له طويلاً وشكروه على خنوعه ولطفه . »
أما حكاية الدبب الثلاث : قطعة على لسان الحيوان ، وهي من النوع الطويل ، وبها تكرار محبوب ومفيد ؛ وسأقتصر على ذكر فصل قصير من فصولها :

خرج مرة الثلاث دبب للرياضة قبل تناول القطور ، ولما عادت إلى المنزل لاحظت أن غريباً دخل فيه ، وغير بعض معالمه ، فلما استعدت لتناول الطعام ، قالت الدبة الكبيرة (من جلس على الكرسي بتاعي ؟) ، فقالت المتوسطة (من جلس على الكرسي بتاعي ؟) ، وقالت الصغيرة (من جلس على الكرسي بتاعي ؟) ، ثم قالت الدبة الكبيرة (من أكل ثلثي ؟) ، فقالت المتوسطة (من أكل

بلمعتى ؟) ، ثم قالت الدبة الصغيرة (من أكل أكلى بلمعتى وأكل أكلى كله ؟) .
 هنا يسمع الطفل نبرات أصوات مختلفة ؛ كذلك يعرف أسماء أشياء عديدة مثل ، الملعقة
 والكروى ، ويعرف أن ما يبيع الفرد لا يصبح أن يعتدى عليه غيره بدون إذن . . . الخ
 والأمثلة كثيرة من هذا القبيل ، نكتفى منها بما تقدم نظراً لضيق المجال .
 أما الأغاني فتكون بنفس الروح مثل :

كل وزه تسبح في المياه	تسبح في المياه
دهوسها في الماء	أرجلها في الهواء
أبي وأمي الغالية	أصبحنا في عافية
تقيناك لكما	فنامسرة وخافية
إحداها على فسي	وفي فؤادي الثانية
صباح الخير بأبني	صباح الخير بأبي
أقبل منكماً بدأ	أعيش بفضلها زمني

ويلاحظ أن تكون القصص والأغاني مما يشبع غريزة حب الاستطلاع في الطفل لأنها
 أساس المعرفة عنده .

والحكايات أهم ما يعبر عن خاطر الطفل ؛ بل هي أهم ما يشغى غلبه بالنسبة لكل ما يريد أن
 يستوضحه أو يعرفه عن العالم الغريب المحيط به ؛ ويلاحظ فيها بعض التكرار غير المذل لبعض
 كلمات أو جمل ؛ كما ينبغي أن تقدر قيمة الخيال في الطفل ؛ لأن الخيال هو أن يستعيد الشخص
 في ذهنه بعض تجاربه السابقة كما رآها أو سمعها أو في أية صورة أخرى يكتفيها كما يريد ،
 ونحن نريد أن يكون كل ما يستعيدة الطفل جميلاً طيباً ، وحقاً من الشر ، بريئاً من الانحطاط ؛
 بحيث يرقى ويساعد ما يأتي به من فعال وأقوال ، ويدعوه إلى التفكير قبل القول والعمل ؛
 كما يهذب تصوره غير المحدود ، وخياله الاختراعي المهوش أو المبالغ فيه .

وبما أن الطفل يسعى بفطرته الطبيعية لكشف أسرار بيئته بنفسه ؛ فهو يكون عقله
 بتجاربه الخاصة ويبنى شخصيته جزءاً جزءاً ، معتمداً على نفسه ؛ لذلك كانت الطريقة المثلى
 لتحقيق الأغراض المتقدمة ، هي قراءة أمثال الحكايات المشار إليها سابقاً . غير أن الطفل قبل
 سن السابعة لا يستطيع عمل ذلك منفرداً ؛ لذلك كان محتماً أن تلقى عليه ؛ وهذا الإلقاء نوع
 من القراءة بالنسبة للصغير الذي يريد الكلام ولا يستطيع التعبير ؛ فهو في الحقيقة يفرج عن نفسه
 هذه الضائقة بهذا النوع من القراءة ، حتى يقدر على عمل ذلك بنفسه ؛ كما أنه يمتدح مع النطق
 الصحيح ، وأسلوب الإلقاء الحسن ، إلى غير ذلك .

وهنا تحجب العناية التامة باختيار القصص والرواة ؛ فليس سوء اختيار ما يلقى على الطفل ، أو الخلل في انتقاء الرواة بالمشكلة البسيطة ، لأن كل شيء من حسن أو قبح يجدي في الطفل أرضاً خصبة ينمو فيها ؛ وليس من الهين نزع الزرع منها بعد ذلك . ولا نفس قوة التقليد في الطفل ؛ ولنذكر دائماً أنها أول خطوة في سبيل التطور ؛ وهذه ظاهرة تراها عين كل أم وكل مربية عند الطفل .

ماذا يقرأ الطفل في سن السابعة حتى الثامنة عشرة ؟

جدير بالذكر هنا أن نشير إلى بعض مميزات الطفل في سن السابعة ، حتى يكون ما نرشده إلى قراءته ملائماً لحالته ؛ فالطفل في هذه المرحلة يظهر أطوار العصور الغابرة ؛ بما فيها من توحش ؛ (يلاحظ الأمهات في المنازل أن الطفل الكبير يضرب أخوته أو أخاه الصغير بلا سبب ، كما يلاحظ أن الطفل يمك بعضاً يضرب بها الأرض أو أي شيء يصادفه ، مظهرًا منتهى القسوة والخشونة في فعلته ، أو أن يضرب بدميته الأرض فتتكسر أو تنسخ ، مع شدة إعزازه لها) . لهذا يجب أن تشبع ميوله بحكايات مهذبة من هذا القبيل ، مثل حكايات جغرافية عن الهنود الحمر وغيرهم ، أو حكايات خرافية مثل « روبنسن كروزو » وبعض سير الأنبياء ببساطة واختصار ؛ وحكاية الطفلين في الغابة ، وبعض فصول من قصة عنتره ؛ كذلك تروى حكايات تحبب للطفل الصدق في القول وحسن معاملة الغير ؛ مثل حكاية « سندرلا » ، (وسندرلا هذه ، كانت بطلة الحكاية المسماة باسمها ؛ وكانت ابنة أب أساءت معاملتها امرأة أبيها وبناتها ؛ فكانت (سندرلا) المسكينة تقابل ، إساءة آتيا بصبر وثبات ، وقد جعل الله لها من يساعدها ويعطف عليها ، وكانت آخرتها أن تزوجت بأمير عظيم . أما أخواتها القساة فخرموا كل شيء حسن . وهذه الحكاية تتضمن أشياء كثيرة اجتماعية وخلفية ، ثم هي في نفس الوقت ذات أسلوب شائق .

كذلك يشجع الطفل على قراءة كتب خاصة في موضوعات خاصة : (فتلا يدرس الأطفال موضوع « صنع السكر » ، فيمكن للطفل - الذي قرأ لنفسه شيئاً متعلقاً بهذا الدرس - أن يقرأه لباقي تلاميذ فصله من نفس الكتاب أو من الكتب التي تصفحها ؛ وفي دروس الجغرافية والتاريخ مثلاً تتبع نفس الطريقة ؛ ولا مانع من السماح لمن يرغب من الأطفال ، أن يقرأ حكاية حقيقية أو خرافية أو ملحمة أدبية أو ما شاكل ذلك ، بمناسبة تدخل هذه الدروس وأعمالها ، وكذلك في دروس اللغة العربية ، والحساب ، فإنه يمكن للطفل أن يقرأ أو يحكي - بمناسبة ، بعض ما قرأ لنفسه ، مما يتعلق بالحساب ، أو بالعربي ، كالأمثلة الآتية :

١ - اختصمت سيدتان مرة - إلى سليمان الحكيم - على طفل ، وادعت كل منهما أنه

ولدها ، واقتضت حكمة سيدنا سليمان ، أن يقسم جسم الطفل نصفين ، حتى تأخذ كل سيدة منهما نصيبها منه ؛ فما كان من الأم الحقيقية إلا أن تنازلت عن نصيبها فيه حرصاً على سلامته ؛ فعرف سيدنا سليمان أن السيدة الثانية كانت مدعية ، فخرمها إياه وعاقبها ؛ أما السيدة الأولى فقد أخذت ابنها وذهبت به في سلام ، جزاء صدقها .

٢- وفي دروس الحساب يقال مثل الآتي : -

سأل مرة رجل طفله الصغير - الملحق بروضة أطفال ما - قائلاً : « خمسة وخمسة يبقوا كام ياتونو ؟ قال عشرة بابابا ، فقبله والده . وسأله : عشرة وعشرة يبقوا كام ؟ فقال لعشرين بابابا ! ففرح أبوه جد الفرح وحمله بين ذراعيه مداعباً . وسأله مرة ثالثة : وعشرين وعشرين يبقوا كام ، قال ببقوا مليم ... !! » .

بهذه القشجيمات النافعة وأمثالها ، يفتح مجال القراءة أمام الطفل ، خصوصاً بعد شعوره بقيمة ذلك وضرورته له في حياته العملية ؛ وأيضاً سيتنبه لأن يبحث دائماً وباستمرار ليجد مادة يقرأ عنها ، ولو بمناسبة مثل : جمع الجواميع المختلفة ، من ريش طيور ، وطلوابع بريد ، وأنواع حبوب ... الخ ؛ فهو ينشوق لمعرفة أصل كل نوع ، ويتشجع على قراءة القصص المتعلقة بالأمم الأخرى ، ليقف على أحوالهم في أوقات فراغهم وعملهم .

وحينما يتجه ميل الطفل الحقيقي إلى القراءة النافعة ، فهو يظل يقلب دائماً بين الكتب حتى يجد ضالته من كل نوع ، ويشعر بأن القدرة على إيجاد جواب لسؤال - يحول بخامله عن طريق القراءة - مكسب عظيم ، لأنه أتى عن طريق التجارب الشخصية .

ويجدر بنا هنا أن نلاحظ ، أن الأطفال في أواخر المرحلة الثالثة من دراسته (أواخر طور الطفولة ٨ -) يفرزون من قراءة الحكايات المتضمنة لكثير من أحوالهم المعاشية ، والمتكررة يومياً تحت حواسهم وتجاربهم ، بعكس المرحلتين السابقتين ، فإن الطفل يتحول ولعه إلى قراءة حكايات الفروسية ، مهما يكن نوعها ، ويجب أيضاً القصص المسلية والمضحكة والتاريخية ، والمتعلقة بالتجارة ، والسيارات الجغرافية ، والخيال الواسع ، وإلى كل ما يتعلق ببنيته بوجه عام .

لذلك تدخل هنا الحكايات الخرافية بدورها ؛ وهذه المسألة مشكلة لنا عودة إليها في المستقبل ، ونشير الآن فقط إلى بعض أمثلة من الخرافات يصح أن يقرأها الطفل :

١- حكاية « رفسن » Persefony or Child Roleend

٢ - بعض الخرافات المصرية القديمة مثل قصة « هورس » .

٣ - بعض حكايات ألف ليلة وليلة مثل : الساحح البرى والبحرى ، ومثل عترة .

٤ - بعض قصص « هومير » مثل قصص عباد الشمس . Sun Flower Nurssisus
وسأحكى الآن حكاية « برسن » باختصار .

عاش فى غابر الزمان ملك اسمه ادميتس Admetus ؛ وكانت أخلاق هذا الملك شاذة وغير حميدة
بما سبب بغض الناس له ، ولكن زوجته أليسيتس Alcsita كانت مضحية لأجله لحسن أخلاقها
حداد طباعها ، حتى إنها كانت لا تهاب الموت فى سبيله مطلقاً ؛ وقد ماتت فعلاً وصار المنزل فى
وجيل وحزن شديد .

وفى نك الأثناء حضر زائر غريب إلى منزل الملك ، ونادى الملكة طالباً إليها إحساناً ؛
وطبعاً كان الزائر لا يعلم بموت الملكة أليسيتس لأنه غريب ، فلما عرف الحقيقة حزنى حزناً
شديداً ، وشعر بحجل عظيم ؛ لأن أخلاقه حسنة وكل أصدقائه يعترفون بذلك .
وصار يلوم نفسه على عدم حرصه وعلى عدم تفكيره فى عواقب الأمور ؛ وكان هذا
الزائر « Hercule » هركيليز ، الملك المعروف برقة الطباع وطيب الأخلاق ؛ لذلك عزم على
أن يعمل عملاً طيباً ، بحيث يمحو ما وقع فيه من خفاخلقى ؛ وانصرف إلى حيث أتى .

وفى ذات يوم حضر (هركيليز) إلى الملك (أدميتس) بقصد الزيارة ، وكانت تصحبه سيدة
مقنعة ، فلما استقر الجميع بالجلوس ، عرض هركيليز على الملك أن يتزوج بالسيدة المقنعة ؛
فأبى الملك ذلك قائلاً : « إنه وعد زوجته ، ألا يتزوج من بعدها أحداً مطلقاً » ، حينئذ رفع هركيليز
القناع عن وجه المرأة ، فاذا بها (أليسيتس) التى عادت إلى الحياة بعد الموت بواسطة (هركيليز) ،
لأنها ضحت من أجل زوجها ، ففرح الملك كثيراً وعاش مع الملكة فى سرور ، وشكرا هركيليز .

بعد كل ما تقدم بقى علينا أن نتكلم باختصار أيضاً عن :

الفراة عمر الطفل

١ - إن ما يظهر عند الطفل من تلعم (أى اللثة) أو فففة Stammering يرجع
معظم السبب فيه ، إلى الضغط على الطفل بالقراءة فى سن مبكرة (أى فى سن ٤ - ٥ - ٦ مثلاً)
وهذا بلا ريب يجب أن يلام عليه الآباء دون المدارس ، لأن الوالدين يظهران شغفاً
شديداً بسرعة تعلم طفلهما القراءة من أول يوم يذهب فيه إلى روضة الأطفال ، ولو كان
فى الثالثة من عمره ؛ فالمدارس - رغبة منها فى إرضاء الآباء - تضطر الأطفال اضطراراً إلى
القراءة ، فينشأ عندهم هذا المرض المريب .

٢ - في كل الحالات - ما عدا الشاذة منها بسبب عدم القدرة الطبيعية على القراءة ، أو عادة تحريك العينين غير الصحيحة أثناء القراءة - ، فإنه يمكن العمل على إصلاحها بتشجيع الطفل - برفق - على استمرار القراءة مع السرعة أيضاً ؛ وعادة القراءة بسرعة لا تلبث أن تصبح عادة شائعة بين التلاميذ خصوصاً إذا كانوا متدربين لما يقرأون .

٣ - وجد في أمريكا بعد عمل إحصاء دقيق أن بعض التلاميذ من بنات وبينين بلغ عدد الكتب التي قرأوها في السنة الأولى من ٢٠ إلى ٣٠ كتاباً .

ومتوسط الأغلبية قرأوا من ٨ إلى ١٢ كتاباً، وكانوا يختارون الكتب بأنفسهم من مجموعة كبيرة وضعت في حجرة دراستهم ؛ وكان اختيارهم بمطلق الحرية مع إرشاد غير مباشر من المربين لحسب . ولا يفوتنا أن نذكر أن الكتب التي تقع تحت أيدي هؤلاء التلاميذ كلها جيدة الإخراج ، متنوعة المواضيع والدرجات .

٤ - وفي حالة الأطفال الذين تختلف قدرتهم على القراءة - أي الذين لا تتعادل قواهم - فإنه يصعب استعمال كثير من الكتب المتنوعة معهم ؛ لذلك يحسن الاكتفاء بعدد محدود من الكتب في موضوعها ، وإنما تختلف في السهولة والصعوبة ، بحيث يستطيع كل طفل الحصول على المساعدة والتشجيع اللائمين لحالته .

زيغ الحكيم

المنشورية في ريفس الأطفال

أسلوب التفكير في الأزهر

[بقية المنشور على الصفحة ١٢٠٨]

منها إلى صيغة حديثة تتفق وحياتنا الجديدة في « القرن العشرين » ؛ وبهذا نستطيع أن نهجم على آثار أسلافنا الجليلة ، ونبحث منها هذا الفيض الروحي الذي يشهت عليه العالم الغربي ليروي به ظمأه ، بعد أن أعطشته المادة ، وغدا يتلمس روحانية الشرق وإلهامه ووجهه الصادق الأمين . وبهذا تكون الجامعة الأزهرية جامعة عصرية دينية ، تبحث في علوم المتقدمين وآثارهم ، وتحفل مكانها اللائق بها في تيار المدينة الحديثة ، ويستطيع الأزهر أن يؤدي واجبه الحق في المحافظة على الدين الإسلامي الخفيف ، وتدعيمه وصياغته من السنة السوء ، ومساعدته على التطور والارتقاء .

أحمد توفيق عباد

صفحات في الأدب الألماني

اتحاد شعراء جوتنجن

زوبعة ودفع

Sturm und Drang

بقلم الدكتور علي مظهر

كانت لتلك الآراء والأفكار الحديثة التي أذاعها الأقطاب الأربعة للشعر^(١)، أثراً قوياً في نفوس الشبيبة الألمانية ، ولذلك أحدثت رجة هائلة عند الألمان في الأدب والفنون ؛ فما جاءت سنة ١٧٧٠ م حتى رأينا البذور التي غرسها كل من : كلوبشتوك ، وفيلاند ، ولسنج ، وهردر ، قد أنبتت نباتاً حسناً مزدهراً ؛ (جوته) ومن عاصره أو جاء بعده ، وكانت تلك الآراء قد اختمرت في نفوسهم ، وملكيت عليهم حواسهم وشعورهم ؛ ويعرف ذلك العصر في الأدب الألماني ، بعصر الزوبعة والدفع ؛ وأعلن الشباب الحرب على ما كان بعصر الإيضاح من آراء تافهة ، وما ساد الأفهام من برود ؛ وكانت آراءه (روسو) قد وصلتهم فنادوا معه : هيا إلى الطبيعة ، ولندع للقلب وللميول ما لها من حق في أن تظهر ما بها ؛ وقد كان كلوبشتوك أول من تغنى بالحب والصداقة ؛ وأعجب بعض الشباب الذين كانوا يدرسون في جامعة (جوتنجن) في أوائل سنة ١٧٧٠ ، بما كان يقول ذلك الشاعر ، وما كان يتغنى به ؛ وكونوا لهم جماعة عرفت (باتحاد شعراء جوتنجن) ، وكان جملهم قادراً على فرض الشعر الفني . نذكر من بينهم ، سيدين من أسرة شتولبرج . وكان أثر تلك الحركة كبيراً في شعر المأسى ؛ وقد علمنا ما كان من لسنج ، وما كان من تقده اللاذع للمأسى الفرنسية التي شايع فيها كاتبوها الأدب القديم ؛ وما كان من تفضيله شكسبير ؛ فدعا كل ذلك الشباب المتحمسين إلى طرح كل القوانين المخطرة المقيدة للشعر والأدب ، وجعلهم ذلك أيضاً يتأدون بالتحرد من تلك القيود والمخطورات ، فنلاحظ عليهم أنهم لم يفهموا شكسبير فهماً صحيحاً صادقاً لا ملأفه لنفسه الحربية في (المسكان) و (الزمان) ، وكان يتخذ كتاب المأسى المحدثون في ذلك العصر مثلاً يحتذونه ، لأنه كان يحسن ويحيد عن كل تلك التيوذ الفنية ، وكان لا يعني بها ويوفق في ذلك ، بل إن أولئك الشباب الذين تدفعهم تلك آراء الحديثة وتحركهم ، كانوا يرجون أن يبذل شكسبير في طريقته ، وأن يفرق هو في آرائه ، حتى رأوا أن لا يتقيدوا بالقيود الشعرية

(١) لسنج وكلوبشتوك وفيلاند وهردر ، وقد كتبنا عنهم في الأعداد السابقة ج ٦ و ٧ و ٨ و ٩ من

« المراجعة » السنة الثانية .

المعروفة ، ولا أن يراعوها ؛ فعمدوا إلى النثر وفضلوه على الشعر ، وكانوا يعتبرون أن شكسبير أحسن قدوة لهم في وصف الآلام الانسانية وشهواتها وميوها ، وقد دفعهم نزق الشباب إلى تخير المواضيع التي قوامها المناظر الوحشية والميول القوية الحادة والقواجم الغضبية ، مثل قتل الأمانال وهجر الحبيب وخداعه وخصام أخوين أحب كل منهما نفس الفتاة التي يحبها الآخر ؛ وكانوا يفضلون أمثال تلك المواد لكتابتهم . كما كانوا يرغبون أن يأتوا بشيء جديد مما يحدث في الحياة اليومية المنقول عنها ؛ وأنت ترى (هردر) قد حمل اللواء لشيعته تلك الآراء ورأيت ما كان منه من ميل إلى الشعر الأول ، وإلى أغاني الشعب ، وما كان من رأيه في هوميرو وشكسبير وأنها شاعرا الفطرة ، وكبير تأثير هردر على جوته عندما التقيا في شتراسبورج فإنه ألف (جوتز فون بلشنجن) و (آلام الشاب فرتر) متأثراً بآراء وتعاليم هردر .

شيلز فيج

وقد تقدم تلك الطبقة من شعراء (الزوبعة والدفع) رجل ولد سنة ١٧٣٧ في مقاطعة (شيلز فيج) بمعنى به (هاينريش فيلهلم فون جرستنبرج) ، وقد عين وكيلاً للحكومة الدانمارك في مدينة لوبك سنة ١٧٧٥ ، وتوفي بالوتافى سنة ١٨٢٣ . وترى أثر شعر كلوبشتوك ظاهراً في بعض قصائده ، كما أنه ألف كتاباً أسماه (محاولة على مؤلفات شكسبير وعبقريته) ، فتراه نبذ كل القيود والمخطورات في المآسى ، وقال إن (العمل) فيها شيء ثانوى ، وإن شكسبير أراد أن يصور روح الانسان في كل ناحية من نواحي تذلها وحركاتها ، وألف مأساة سماها (أوجولينو) سنة ١٧٦٨ .

راينهولدتر

ومن أمثال جرستنبرج ، رجل آخر اسمه (ياكوب ميكايل راينهولدتر) المولود سنة ١٧٥١ في (ليفلاندا) ، وكان صديقاً لجوته لما كان في شتراسبورج ، وتوفي سنة ١٧٩٢ بجوار موسكو بحول العقل معوزاً في أشد حالات الفقر والفاقة ، لما كان له من شهوات وميول وحشية لم يتمكن من كبحها والتغلب عليها . وقد ألف بعض المآسى التي لا قيمة لها ، وألف كتاباً أسماه (ملاحظات على التمثيل) .

كلنجر

ونذكر أيضاً (مكسيميليان كلنجر) ولد سنة ١٧٥٢ في مدينة فركنفورت الواقعة على الماين من أبوين فقيرين ، ولكنه ما زال يعمل ويجد حتى أصبح (فريقاً) ، ثم عين مراقباً في جامعة دوربورت ، وكان صديقاً لجوته في شبابه . وقد ألف رواية تمثيلية أسماها (زوبعة ودفع) سنة ١٧٧٥ . وقد عرف العصر الذي ظهرت فيه بهذا الاسم تبعاً لها ، وقد ذاع اسمه لما ألف طاعته المسماة (التوأمان) ، وقد نال بذلك جائزة مسرحية ، وكتب غير ذلك عدة مآسى متفاوت قيمتها ، نذكر منها (الحبل) و (اللاعبين الملقين) و (ميديا) ، وهى من خير

ما كتب . وقد كتب بعض الروايات والقصص أيضاً؛ نذكر منها (حياة فوست وأفعاله وذهابه إلى النار) وغيرها ثم نذكر :

مولر

فريدريش مولر ويدعى عادة مولر المصور، ولد سنة ١٧٤٩ وتوفي بروما سنة ١٨٢٥ وكان مصور بلاط ملك بافاريا . ولا يمكن لأحد أن يخس قدره ؛ فقد كتب (فوست) وهو الموضوع الذي كان يلقه قراءته في ذلك العصر ، وروايته الخيلية (جولو وجينوفينا) و (نبوي) ، وله بعض أغاني وأناشيد على حياة الرعاة .

شوبارت

ثم كريستيان فريدريش دانييل شوبارت أصله من الشواب ، ولد سنة ١٧٣٩ في كورتية لمباخ؛ وتوفي في شتوتجارت سنة ١٧٩١ وله قصائد في حب الحرية وغير ذلك من المواضيع، وقد كان تلك القصائد : ولما كان له في الحياة من مكان وخضر ، أكبر الأثر في نفس (شلر) لما كان في سن الشباب .

اتحاد شعراء جوتنجن

قد رأينا ما كان من اتحاد شعراء ليبتزج واتحاد شعراء هالا . والآن نرى بعضاً من الشعراء والأدباء قد أسسوا لهم مجعاً يجمعهم في مدينة جوتنجن سنة ١٧٧٢ ، وكان جلهم من شباب الشعراء ، نذكر منهم كريستيان بوا (المتوفي سنة ١٨٠٦) ، وفريدريش فيلهلم جوتز (المتوفي سنة ١٧٩٧) ، وغيرها كانوا يحبون بكلوبشتوك كما كانوا يميلون عن شعر فيلاند الخبيث وعجونه ؛ وكانوا يطلقون على مجعهم (اتحاد شعراء جوتنجن) أو (اتحاد الحديثة) ؛ ولم يكن يستعمل أعضاؤه سوى لفظي : (الاتحاد) أو (الغابة) ؛ والسبب في هذه التسمية أن الذين كانوا يحرقون (تقويم عرائس الشعر والأدب) أمثال بوس وهولتي وملر وثلاثة رفقاء لهم آخرون اجتمعوا في غابة بلوط ، وكونوا لهم اتحاد صداقة ومحبة ، كما أن الشاعر كلوبشتوك كان يطلق على الشعر الوطني لفظ غابة البلوط ، كما كان يطلق لفظ (بارناس) تل على الشعر غير الألماني ، وسرعان ما شطت الديار بين أعضاء ذلك الاتحاد ولكنهم تمسكوا بهروته الوثقى . وظل ذلك التقويم الذي كان يصدره كل من بوا وبوس صحيفة اتحادهم .

بيرجر

ومن خيارهم نذكر الشاعر جوتفريد أو جوست بيرجر ، ولد سنة ١٧٤٧ ، وقد ذهب إلى جوتنجن ليتم تعليمه ، وتعرف هناك ببوا وقد ساعده بنفذه ليجد له عملاً بمحكمة قسم (التنجلايشن) ، ولكنه سرعان ما ترك هذه الوظيفة وعين للتدريس بجامعة جوتنجن . وقد صار أستاذاً بها فيما بعد . وكانت حياته الخاصة مملوءة بالتعاب والمشاكل ، فانه لم يوفق في زواجه مراراً ، وغلبته الأحزان والهموم فأت سنة ١٧٩٤ ، وهو لم ير من نعيم الحياة خبراً ، وقضى ممدماً من المال ، عدا حملات شديدة حملها عليه شلر في شعره حتى حمل الناس على الشك في منزلته الشعرية . وهو الذي قدم للألمان ذلك النوع من القصص الشعرية المعروف بالأغاني

(Ballad) . وخبر آثاره قصة شعرية أسماها (لينوره) ، نشرت في (تقويم عرائس الشعر والأدب) الذي صدر في جوتنجن سنة ١٧٧٤ ، وكانت قصة شعبية يعرفها الناس في اسكوتلندة والسويد والنرويج والدانمارك وفي شمال ووسط ألمانيا . وبذكر الشاعر عندما ذكر بعض الأغاني الشعرية والقصص الخيالية ، كما أنه أنسى وألم تفتت منها الحياة ، مستمدة روحها من الشعب . وله أناشيد ومقطوعات شعرية ، كما أنه ترجم (سياحات عجيبة وغامضة موشها وزن) ، وكانت قد ظهرت لأول مرة باللغة الإنجليزية في لندن سنة ١٧٨٦ . وكان كاتبها ألمانيا يدعى رودلف ابريش راضيه ، أمين دار كتب كاسل ، ومفتش دار آثارها السابق .

موس

ثم يوهان هاينريش موس : وقد ولد سنة ١٧٥١ في مقاطعة مكلنبرج . كان روح الاتحاد الأنف الذكر في الواقع ، وكان أبوه يستأجر الأرض واشتد به العوز وشب الولد فقيراً فسكفه بعض أصحابه ، وقد أدخل مدرسة نويينديبورج ، وسهل عليه (بوا) الالتحاق بجامعة جوتنجن ، ولبت هناك حتى أسس ذلك الاتحاد سنة ١٧٧٢ ، وقد باحث صديقه ثم أصبح مدير المدرسة ، ثم انتقل إلى غيرها . حيث كان صديقه ليوبولد فوشتون لبرج يقيم ، وكان عمله هناك يبدأ أضعف صحته : فذهب إلى (بينا) ، وتركها لما غضب عليه جوتنه غضبته وذهب إلى هيدلبرج ، وهناك قضى سنة ١٨٢٦ بعد أن أصبح مستشاراً لبلاط بادن .

كانت أخلاق موس كغيره من سكان شمال ألمانيا ، وقد جمع إلى ما كان له من عقل وصين شيئاً من الصلابة تؤدي إلى الشدة والحذر في بعض الأحيان ، ولكنه كان مليب القلب لطيفاً مع أصحابه شديداً مع أعدائه ، وكان يميل إلى الشعر الغنائي ، وكان يجيد في نوع قصائده عن الرعاة ، وكان يجيد فيها وصف حياة سكان ألمانيا الشمالية ، كما كان يدعو فيها إلى الحياة المنزلية الوادعة الساكنة وإلى سعادة الأسرة ، ولم يكن ليأبى بخيال مبدع أو مثل عليها يخلقها من عنده ، ولكنه كان يصف أشخاصاً ذوي جد واستقامة ، وذوي خشونة كما ترى ذلك في الواقع المحسوس .

وكان أميناً في قتل ما يريد أن يصفه للناس ، منوسماً في ذلك حتى في الدقائق الصغيرة لأصغر الأعمال ، كما ترى ذلك في قصيدته الشهيرة (لوزة) التي نشرها سنة ١٧٩٥ . وقد ترجم موس عن اللغات الأجنبية ، وقد خدم بذلك اللغة والشعر خدمات جليلة . فتراه يتسامح كل التسامح في التريش ، كما نه بحث ألقافاً جديدة في اللغة وأوجد لها ، أخذ جزءاً منها عن كثرة اللغة الألمانية القديمة ، وعن إنجيل لوتر ، كما استعار تعابير من لهجة الألمان الشماليين كانت قد تنوسيت . وكان يجهد في المحافظة على الأصل واللب بكل ما أوتيته من قوة إذا قل إلى الألمانية . ولك أن تلمه مؤسس فن الترجمة فيها ، فقد ترجم (الأوديسي) سنة ١٧٨١ ، وترجم (الالبادة) ، كما قل عن : فرجيل ، وأوفيد ، وقيبول ، وهزود ، وهوراس ،

وتيوكرت ، وأرستوفانس ، ومما أجاد ترجمته ما نقله عن هوميرو ، فقد جعله كاتباً ما قد كتبه بأصل ألماني .

شتولبرج

أما كريستيان جراف (كونت) تزو شتولبرج ، فقد ولد سنة ١٧٤٨ وتوفي سنة ١٨٢١ ، وكان حاجباً لملك الدانمارك ، وهو أسن الأخوين اللذين درسا في جامعة جوتنجن واشتركا في الاتحاد المذكور ، على أنهما من أصدقاء كلوبشتوك وشيعته . وهو يأتي بعد أخيه في الشعر ولو أنه أجهد نفسه في أن يدانيه . أما أخوه فهو : فريدريش ليوبولد جراف تزو شتولبرج ، ولد سنة ١٧٥٠ في مقاطعة هولشتين ، كان أكبر مناهض ومبغض للطفلة في حدائقه ، وقد برأه في ذلك ، وإن لم يثبت كلاهما على آرائه السياسية والدينية ، بل تنجيا عنها بتأثير لافتر على فريدريش ، ولما نعرف إلى دائرة الأميرة جوليتزين — وكانت من أكبر أنصار الكنتلكة — علته مسحة من التصوف ، وقد اعتنق هو ووجل أسرته المذهب الكاثوليكي سنة ١٨٠٠ ، وإن كان هو قد اعتنقه سراً قبل ذلك بسنتين ، فعاداه صديقه بوس لهذا السبب . وقد توفي شتولبرج سنة ١٨١٩ وهو في ضيعة له .

كان شتولبرج ممن يتشيعون لكلوبشتوك ولذا مال إلى الاشتغال بمرض قدماء الأغريق كما كان يفعل صديقه هذا ، وعلى غرارها ألفه كل قصائده الوطنية ، وقد كتب بعض المأسي محتفياً سوفوكلس في ذلك ، ولم تكن إلا سرد حكايات بطريق المحادثات ، ومن خير ما يذكر له بعض الأناشيد .

هولتي ومرور

أما لودفيج هولتي فقد ولد في سنة ١٧٤٨ في ماربره ، وكان أبوه قسياً في قرية ، ولما كان يدرس في جوتنجن اشترك في تأسيس الاتحاد ، ولو أنه لم يكن يميل إلى ما كانت ينبره أصدقاؤه من أعاصير وزواجع على الأدب ، وكان غليلاً منذ شبابه ، غلبت عليه السوءاء والأحزان .

وله أغاني وأناشيد ومرأى وقصائد للرعاة منها واحدة ملأى بحب الوطن والوطنية ، وقد مات بهانوفر سنة ١٧٧٦ ، وهو لا يزال في سن الشباب . ثم نذكر مرتين مور الذي ولد سنة ١٧٥٠ وتوفي سنة ١٨١٤ ، وقد اشترك هو الآخر في تأسيس الاتحاد ، وكان مثل سابقه لا يميل إلى العنف وإنارة الزواجع ، ولا إلى الشهوانيات ، فترى قصصه الخيالية تسيل غزوبة وإحساساً صادقاً . أما قصته التي أذاعت ذكره فهي (زيجفارت) عن حياة الأديرة . وقد كانت مثالا احتذاء كثيرون من بعده كما كان الحال بعد ظهور قصته (فرتر) التي كتبها جوته . ومن أغانيه ما أصبح يتغنى به الشعب .

ليرنغيتز

ثم نذكر يوهان أنطون ليرنغيتز : ولد بهانوفر سنة ١٧٥٢ ، ودرس في جوتنجن وألفه

هولتي بالاتحاد، ومات سنة ١٨٠٦ في براونشفايخ. وله فاجعة اسمها (يوليوس فون ثورنت)، كان يقطن لسنج أن كاتبها جوته ، وكان شاعر يحفظها كلها عن ظهر قلب في صباه ، ونال صاحبها عليها جائزة دار التمثيل الوطني بهامبورج التي خصصها للقوامع . وقد هجر الشاعر القريض بعد ذلك وتفرغ لأعماله القضائية .

ومن لم ينتسب للاتحاد— وكان لهم ذكر — بعض شعراء نذكر منهم مانيوس كلاوديوس، ولد سنة ١٧٤٠ في هولشتين ، ودرس في بينا ، وكان يصدر مجلة أسبوعية ، ومات بهامبورج سنة ١٨١٥ . ومع أنه لم ينتسب للاتحاد إلا أنه كانت له بعض الصلة بأعضائه ، كما كان يتشبع لكلوبشتوك، فكان يتحمس للشئون الدينية وللوطن مثله . وكان يميل إلى الأوصاف الشعرية الخاصة بالشعب كما كان يفعل بوس . وكان مانيوس يجيد ذلك في أغانيه . ثم نذكر من أولئك الشعراء فريدريش مانيسون (ولد سنة ١٧٦١ ومات سنة ١٨٣١)، وكان أستاذاً في تصوير المناظر الخلوية ؛ وله بعض القصائد التي لا بأس بها؛ ثم جاونتز فون ساليس (ولد سنة ١٧٩٢ وتوفي سنة ١٨٣٤)، وكريستوف أوجست تيدج (ولد سنة ١٧٥٢ ومات بدرسدن سنة ١٨٤١)، ومارتين أوستري من مدينة تريرورخ (مات سنة ١٨٢٧)، وبوهان بينرهييل (ولد في بزل سنة ١٧٦٠) وكان أبوه لساكاً فقيراً، ومات بوهان سنة ١٨٢٦ لما كان أسقفاً في بادن ، وله بعض القصائد والأغاني .

على مظهر

اطبعوا مطبوعاتكم

في

مطبعة المعرفة

فهي مستعدة لطبع الكتب والمجلات والجرائد بقاياه الدقة والاعتقان

الإدارة: رقم ٤ شارع غير العزيز بالقاهرة

المستشرقون وضررهم على الاسلام

بينى وبيمه مرجليوت

بفلمم الركنور حسين الهرراوى

ترك للأستاذ الفاضل صاحب « المعرفة » - إذا شاء - أن يذكر الظرف الذى أخرجته فى مناقشاتنا معه مناقشة خاصة ، جعلته يستدل برأى « مرجليوت » الذى بعث به إليه فى خطاب أطلعنا عليه ، والذى دون فيه رأيه عما نكتب من ضرر المستشرقين على الاسلام ، خصوصاً وقد تناولنا مرجليوت نفسه بالتخصيص ، لأنه فى نظرنا أنموذج لا يجعل الناس يطمئنون إلى ما يكتبه المستشرقون عن الاسلام ، وعن محمد عليه السلام .

قال مرجليوت : « أما ما كتب الدكتور حسين الهرراوى فى ذم المستشرقين ، فلو كان ما أودع مقالته من الشخصيات تعلق بالآداب لم يكن ما يمنع من الخوض فى الموضوع والتمييز الخطأ والصواب ، وأما المسائل التى ذكرها فليست أرى فائدة فى مداخلتها لكونها أقرب إلى منبر الخطباء منها إلى مجالس الأدباء »

د . س . مرجليوت

ورداً على ذلك نقول : إننا تناولنا من آراء « مرجليوت » نقطتين نأكتبه فى التاريخ العام للعالم فى الفصل التاسع والخامسين .

الاولى أنه قال : إن عبد الله يعلق على الشخص الجاهل ، وربما كان له مثل هذا المعنى عند إطلاقه على والده النبي .

والثانية : أنه قال فى نفس الفصل ، وفى صحيفة ٢٣٩٨ : « إن إعجاز أسلوب القرآن يفسر إما بأنه لا يمكن تقليده أو الإخبار بأمور يمكن التحقق منها ، ولم يكن لآبى وسيلة لمعرفة ، وإننا نعلم من القرآن أن كلا من هذين الادعائين - عندما أذيع - لم يسلم من النقد ، فالأمر الأول أن ذوق الأسلوب الأدبى يختلف كباقي الأذواق الخ . . . »

وكذلك قال فى هذا الفصل : إن محمداً - عليه السلام - اعترف فى مبدأ رسالته بمعرفة القراءة . ولتناقص قطع مرجليوت هذه التى يرى ردنا عليها فيما مضى ، ليس له علاقة بالآداب العربى . فأما عن والده سيدنا محمد ، فنحن نذكر على أدب أستاذ فى جامعة أكسفورد ، أن بوجه مثل هذا

الطعن لنبي يدين بدينه ملايين المسلمين ، وأن يتفوه بتهمة ترفيع أبسط قواعد الآداب العامة عن أن توجهها لأي الناس .

وثانياً : إن مرجوليث لا يعرف شيئاً من الأدب العربي ، وإلا لعلم أنه كان في العرب نسابون ، ولو أنه تكلم أولاً عنهم - وعن مصادر الشك في أقوالهم - وتنسيبهم - لكان لنا أن نناقشه بالأدلة العلمية ، أما وأنه لم يذكر شيئاً من هذا فدل على أنه لا يعرفه .

وثالثاً : لأن جد محمد عليه السلام وصمه ما اللذان كفلاه صغيراً ، ولو كان مجهول الآب ما عرف له عم ولا جد ، وهذا يدل على أن مرجوليث لا يعرف شيئاً من تاريخ سيدنا محمد عليه السلام .

رابعاً : إن عضوية محمد عليه السلام حتمت في مبدأ رسالته ، ولو كان مجهول الآب ما كانت له عصية ، فإذا كان مرجوليث لا يصدق شيئاً من هذا ، فليقل لنا هو كيف يريد أن يصدق كلامه ؟ وكيف أمكن وجود أشخاص تربطهم بالنبي الكريم صلات العvisية حتى بعد الإسلام ، إذا كنا نشكر كل ذلك لأن مرجوليث قالها ؟ إذن فعلى العقول السلام ! ثم فليفسر لنا مرجوليث كيف مكنته نفسه وكيف مكنته ضميره من يقول هذا ، وعلى أي المراجع الموثوق بها عول في بحثه ؟ فهو إما لا يعرف شيئاً مطلقاً ، وأن ما يريد التشهير والتشنيع ؛ وهذا ما لا يشرفه الباحثين .

ثم فليجبنا : أليست الأنساب والنسابون جزأين من صميم التاريخ والأدب العربي ، أم هي ضروب من خطب المنابر ؟ وإذا كانت ضروباً من خطب المنابر ، فكيف حفظ التاريخ أنساب قوم لم يكن لهم مرتبة عليه السلام من الوجهة الاجتماعية ؟ وكيف أمكن معرفة نسب والدته وزوجته خديجة ؟ أم كيف أمكن تنسيب شعراء مشهورين مثل امرئ القيس وغير امرئ القيس ؟

أما القول في مسألة إعجاز أسلوب القرآن بأنها مسألة ذوق ، فاني أرى أن مرجوليث - كما استدلل من تعبير خطابه - ذو أسلوب ملتو ركيك ، بجمله آخر شخص يؤخذ برأيه في مسألة الذوق الكتابي ، بعد أن تعدى القرآن نفسه الناس بل الانس والجن مجتهدين ، أن يأتوا بسورة من مثله ، فما استطاعوا . فلم يبق في نظر صاحبنا مرجوليث إلا نقد الأسلوب بغير أن الأذواق التي تختلف دفقة ورقة ، ونحن معه على أن يكون الشرط الاساسي أن تكون هذه الأذواق سليمة ، تنهم روح العربية . والمستشرقون هم أبعد الناس عن تفهم تلك الروح ، ولهذا فانهم ينشرون مؤلفاتهم باللغات الأجنبية ، وإن كانت بعض مقدمات الكتب التي طبعوها ، قد كتبت باللغة العربية ، إلا أن الحكم على أساليبهم ، قد لا يرضيهم من وجهة الأدب الكتابي الفني .

وإذا كان مرجوليت حصر إعجاز القرآن في الأسلوب والإخبار بالغيب ، فقد فاته أن ضروب الاعجاز في القرآن كثيرة ومتنوعة ، وليس من موضوعنا شرحها ، وإنما نحيل القارىء إلى ما كتبناه عنها في مباحثنا في الرد على المستشرقين ، وأضربهم المبتشرين^(١) .
على أننا نسأل هنا أستاذنا مرجوليت : ما قوله دام فضله في أنواع الاعجاز العلمي التي أثبت العلم الحديث مدى صدقها . ونذكر منها على سبيل المثال : « وجعلنا الرياح لواقح » ، و « خلق الإنسان من علق » - أي دود الحيوانات المعنوية - و « خلقناكم أطواراً » ؛ وهي تسمى مع العلم جنباً إلى جنب ؟

فهل كشف العلم عن إعجاز هذه الآيات إلا حديثاً ؟ وهل كان الميكروسكوب ، وعلم تكوين الأجنة معروفاً من قبل عند نزول القرآن الكريم ؟ ولا يفوتنا أن تسكلم عن النقد ، فلا تنقاد هو أسهل شيء في العالم ، فقد ينتقد شخص ما الخلق البشرية ، بأن عيى الإنسان في وجهه ، وليس له مثلها في فقاء لينظر من الخلف والأمام ، وقد ينتقد البهلوان طريقة السير على الأقدام ، ويستحسن أن يمشى الإنسان على يديه رافعاً قدميه في الهواء ؛ كل هذه أنواع انتقادات قد يراها أهلها صحيحة ، ولكن الذوق السليم والعقل السليم بصفة خاصة يأيبانها على منتقديها .
وهذا هو النقد الذى يوجه إلى تجاهل نسب النبي الكريم ، فأسلوب القرآن لا يقصد به إلا مجرد التشهير والتشنيع .

ثم ماذا يقول في فهمه تفسير « اقرأ وربك الأكرم » بأنها اعتراف من النبي الكريم بمعرفة القراءة ، فهل هذا يدل على تفهم روح القرآن ؟
ولقد أطيل البحث إذا استقصيت آراء مرجوليت في مصادر القرآن التي يقول بها ، ويقول بها معه المستشرقون الذين على نمطه ، فقد ادعوا أن النبي عليه السلام قد درس كل الفلسفة اليونانية ، ثم حفظ كل التاريخ الفارسي ، ثم عرف كل الأديان الهندية القديمة ، كما اطلع على كل حكم الصين فأخرج من كل هؤلاء كتاباً سماه القرآن .
ومعنى ذلك أن الدراسات التي استنفدت القرون الأولى حتى القرن العشرين لدراستها ، وتخصص لها العلماء الذين عكفوا على دراسة لغاتها المتعددة ، والتجوال بين آثارها البالية ، كل هذا ، قد تعلمه محمد عليه السلام في سياحته للشام ، فإذا رجعت إلى التاريخ وجدت أن هذه السياحة لم تكن إلا ثلاثة شهور ، فهل في هذا منطق يناقش ؟ وهل هذا أسلوب المنابر ، لم في صميم الأدب العربى والتاريخ ؟ !

الدكتور حسين المرأوى

(١) راجع في هذا « مجلة المعرفة » - ابتداءً من عدد يوليو سنة ١٩٦٢ وما بعده .

فتاة اليوم

وواجب الابداء
للأستاذ أمين فهمي أحمد

— ١ —

عصر التفاسفة هل علمت بأن قومك في انحلال؛
مرب القطعاً فستن الرجال ، ولا حمية للرجال
يخدعن بالحن المود في مشاكسة الغزال
لا حظ للخلق القوي م ولا رعاية للجلال
لا عطف يصحبه الوفاء ، ولا وفاء بنفسير مال
عند الملبحة والتقية حمة والمتفكة الخصال
المال مبيود الجوع وليس بين (الغز) غلى

— ٢ —

خطل أخى تكسون من صرعى أفانين الدلال
لا يستبيك الحسن إن كنت المهيمن في الجلال
لا حسن إلا في الخلال ، وأين كامسة الخلال؟
نولاه نحنسان الرجال لضم ظلمهم النجالي
لاختار جلمهم يعي ش محرداً ، والسكل سالي

— ٣ —

هذا الوجود مطاب بعض لبعض في اتصال
والحسنة المعبودة وفام وجودنا حقياً خوالى
بـتزاوج الأنواع حـتـ لا تساق إلى الزوال
ولا السترابط كانت الدنيا هباء دوت قال

- ٤ -

يا أيها الغيـد! الجـا ل بهاؤه صـوت الجـال
 يا من تركن فضائل الـ خلق النبيل إلى الضلال
 هذا التـمـدين فد أزا ل بـقيـة المثل العـوال
 وفـدا الرجال كما تـر؛ ن مروعين من الخـبـال
 لا يـرـضـون لبيـتهم أمثال ربان الحـجـال

- ٥ -

عار الفـتـة..... اة على أب يرضى الفـتـون ولا يبال
 يدع الفـرـوض ولا يلى أبـنـه..... اة فى كل حال
 مأواه فى مقهى أو الم..... هر الطويل على التوالى
 والبنت والام استمدت خلقها من كل بالى
 وكذا الشبا ولا شبا ب مـهـمـين بلا جدال

- ٦ -

يا قوم هـبوا للفضيلة حسبكم فيض النـكـال
 لا تحـمـلوا النصـح البرى ، آتى به شـرـخ مغالى
 كلا ، ولكن السـكـال ل يحن دوماً للسـكـال
 ليس التـعلم أن تـكـو ن البنت فى صف الرجال
 لكن إلى هذا ، تـكـو ن لبيتها خير المـثال
 أما تهـذب من بـقـيـة..... ها ، والبـنـون حى المـوال

- ٧ -

أخلاقنا ضاعت فـهـب..... ا للـنـزال أو النـفـال
 مصر تنادىكم كـرا مـا أقوياه على الأرض
 ردوا الحياء إلى البنا ت لتـصـطـفى أم العـيال
 فالعلم دون تـخـا..... ق بالفضل ، شر من وبال
 أمين فهمى أحمد

٢- في كتاب ابن الرومي

المؤلف: عباس محمد العقاد

بقلم الأستاذ مصطفى جواد [بغداد]

أخبرنا الخالغ : أخبرنا علي بن جعفر الحمداني ، قال : أنشدني ابن الرومي وقال : ما سبقني إلى هذا المعنى أحد :

إذا دام للمرء الشباب وأخلقت محاسنه ظن الشباب خضاباً
فكيف يظن الشيخ أن خضابه يظن سواداً أو يخال شباباً ؛
أخبرني الحسين بن محمد أخو الخلال ... حدثني جحظة قال : كنت مع ابن الرومي في
سجارية فرأينا «أبا رياح» على دار ابن مظاهر^(١) ، فقلت له : صف هذه الشرقات^(٢) وأبا رياح ، فقال :
تري شرقاتها مثل العذارى خرجن لزهة فتعدن صفاً
عليهن الرقيب أبو رياح فلسن لحوفه يبدن حرفاً
أخبرني علي بن أيوب القمي ... أخبرني الصولي ، حدثني علي بن العباس ، قال : كان
البحري معي جالساً فلم عليه ابن العيسى بن المنصور ، فقال لي : من هذا ؟ فقلت : هذا
ابن عيسى بن المنصور ، الذي يقول ابن الرومي في أبيه :

يقتر عيسى على نفسه وليس به اق ولا خال
فلو يستطاع لقتله تنفس من منحور واحد
فقال لي : أف وتف ، هذا من خامل الجن ، لا من خاطر الانس ، ووثب ومضى ؛ أخبرنا
الخالغ ، أخبرنا علي بن جعفر الحمداني ، قال : أنشدني ابن الرومي في عيسى بن موسى بن
الذركلي : يقتر عيسى على نفسه ... وذكر هذين البيتين ، (كذا قال في عيسى بن موسى بن

١) رابع «المعرفة» جزء ، بناه سنة ١٩٣٣

(١) يقول مصطفى جواد «كانت دار ابن مظاهر في الحريم الطاهري ، على شاطئ دجلة بالجانب الغربي من بغداد (عن تاريخ الخطيب البغدادي ج ١ ص ٨٥ و ٨٦) ، وخلاصة الذهب المسبوك ص ١٦٥ و ١٧٨ والرواج ١ : ١٠ - ١١ و ٥١١ » وهي دار محمد عبد الله الطاهري

(٢) كتبه من كتاب مصر وسورية والعراق لا يعرفون حقيقة الذرقة . فاستملوا بها معنى الروشن والجناح والطنف والافريز ، وما الشرقة الاحجارة مبنية في أطراف أعلى السطوح ، كالاستان المنفرقة ، لتكون ساجلاً للسطوح . وممكنة لانظر من منفرجاتها ويزيد المنحرج تنبأ لهم ، قصد ابن الرومي بالشرقة

المثوكل والله أعلم) . أخبرنا أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد ... حدثنا علي بن العباس النوبختي ، قال : بلغني أن أبا الحسن علي بن العباس بن جريج الرومي عليل ، فضبت لأعوده ، (أو قال : جئت ابن الرومي ، فرأيت عليه قبل موته يوم^(١)) فقلت له : أي شيء خبرك ؟ فقال : إيش خبر من يموت ؟ فقلت : كلا أرى سحتك صافية حسنة ؛ فقال : هكذا من يموت يكون قبل ذاك حسن الوجه بيوم ، فقلت : يمانى الله ، فقال : خذ حديثي فإن لم تقطع أن أموت في هذه العلة فاصنع ما شئت ، أحييت أن أسكن في مدينة أبي جعفر^(٢) فشاورت صديقاً لي يكنى « أبا الفضل » وهو مشتق من الافضال ، فقال لي : إذا عبرت القنطرة ، غُذ على يدك اليمنى وهو مشتق من اليمن ، واسأل عن سكة النعمية ، وهو مشتق من النعيم ، وعن دار ابن المماني ، وهو مشتق من العافية ، غُذت لشؤمي ، واقتراب أجلي ، فشاورت صديقاً يقال له « د جعفر » ، وهو مشتق من الجوع والفرار ، فقال لي : إذا عبرت القنطرة ، غُذ يسرة ، وهو مشتق من العسر ، واسأل عن سكة العباسي ، وهو مشتق من العبوس ، واسكن في دار قليب ، وهو مشتق من الانقلاب ، فقد انقلبت في الدنيا كما ترى ، وأعظم ما علي : يجتمع في هذه الصدر في داري كل يوم المصافير يصيحون في وجهي « سيق سيق » فأنا في السياق ، فعاودته من الغد ، فإذا هو قد مات .

أخبرنا أحمد بن صهر بن روح ، ومحمد بن الحسين بن محمد النهروانيان ... حدثنا إبراهيم ابن محمد بن عرفة الأزدي [قال مصطفى جواد : هو المنبوذ بنغلويه] قال : رأيت علي بن العباس بن جريج الرومي يجود بنفسه ، فقلت له : ما حالك ؟ فأشد :

غُلع الطيب على غلطة مورد عجزت موارد عن الاصدار
والناس بلحوت الطيب وإنما غُلع الطيب إصابة الأقدار
أخبرنا الحسين بن علي بن عبد الله المقرئ ... قال : حدثنا أبو عثمان الناجم ، قال : دخلت على ابن الرومي في اليوم الذي توفي فيه ، فلما قمت للانصراف ، قال لي :

أبا عثمان أنت حميد قرومك وجودك للعشيرة دون لومك
تزود من أخيك فما أراه يراك ولا تراه بعد يومك
أخبرني التنوخى ، قال : قال المرزباني : قيل إن ابن الرومي مات في سنة ثلاث وثمانين ،

(١) يقول مصطفى جواد : وهذا هو الأرجح لأن النوبختي كان صديقه الأدنى (٢) هي مدينة المنصور المستنصرية ، التي سماها « دار السلام » كانت بالجانب الغربي من بغداد ، ولما نقل المقيم من دار الخلافة إلى سامر أفل ساكنوها وأهل شأنها . ولا تعرف من مواضعها اليوم إلا مسجد العتيقة التي بين بغداد والسكالكية وهو مسجد المنطقة

وقيل في سنة أربع وثمانين ومائتين (١). وذكر ابن الرومي السيد محمد بن علي البلماسي المعروف بابن الطقطقي، قال في ترجمة الوزير القاسم بن عبيد الله « وهو الذي قتل ابن الرومي بالسهم، وكان ابن الرومي منقطعاً إليهم يمدحهم، وكانوا يقصرون في حقه في بعض الأوقات فهجأهم؛ وكان هجاءاً (٢) » وذكره شمس الدين بن خلكان (في ما عدا ترجمته) غير مرة، قال في ترجمة أبي الطيب محمد بن الفضل الشافعي: « وكان الفضل المذكور متصلاً بالوزير إسماعيل بن بلبل فقيل له: إن ابن الرومي (الشاعر المتقدم ذكره) هجأ فشق ذلك على الوزير، وحرّم ابن الرومي عطاياه فعمل في الفضل أبياتاً وهي:

لو تلفت في كساء الكسائي وتقرت فروة الفراء
وتخللت بالخليل وأضحى سبويه لديك دهن سباء
وتسكوت من سواد أبي الأسد ود شخصاً بكى بالسوداء
لأبي الله أن يمدك أهل العلم إلا من جملة الأغنياء

وقال في ترجمة أبي بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصفهاني: « وحكى أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا أنه حضر مجلس محمد المذكور، قال: فجاءه رجل فوقف عليه ورفع له رقعة فأخذها وتأمّلها ملياً، وظن تلامذته أنها مسألة، ثم قلبها وكتب على ظهرها وردّها إلى صاحبها، فنظرنا فإذا الرجل علي بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور، وإذا في الرقعة:

يا ابن داود يا فقيه العراق أفتنا في قوئل الأحداق
هل عليهن في الجروح قصاص أم مباح لها دم العشاق؟
وإذا الجواب:

كبت نمة يكمن بقتل حريم بهام العراق والاشتياق؟
وقتل التلاق أحسن حالا عند داود من قتل العراق

وقال في ترجمة أبي علي محمد بن علي بن مقلة: « وكان ابن الرومي الشاعر المتقدم الذكر يمدحه، ثمن معانيه الغريبة فيه قوله:

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت له الرقاب ودانت خوفه الأمم
فاللوت والموت لا شيء يماذله مازال يتبع ما يتبرى به القلم
كذا قضى الله للأقلام منذ برئت أن السيوف لها منذ أرهنت خدمه

(١) تاريخ شطط بغداد ومن رأها لخطيب ١٢٥: ٢٣ الى ٢٥

(٢) الفخري ص ١٩١ من طبعة المطبعة الرحمانية، وهي طبعة مسوخة

وقال في ترجمة أبي عبادة الوليد بن عبيد البحرى : « ولعمري ما أنصفه ابن الرومي في قوله :

والفنى البحرى يسرق ما قال ابن أوس في المدح والنشيب
كل بيت له يحود معناه فمعناه لابن أوس حبيب »

وقال في ترجمة أبي عبد الله الحسين بن محمد البدرى الشاعر ، الأديب المعروف بالبارع البغدادي : « وهو من بيت الوزارة فإن جده القاسم كان وزير المعتضد والمكشئ بعده وهو الذى سمى ابن الرومي الشاعر » (١)

وذكره أبو الفرج على (٢) بن الحسين الأصهباني سنة « ٣١٣ » في أخبار مقتل أبي الحسين يحيى بن يحيى الزيدى ، قال : « واتفق في ذلك مقتله عدة شعراء مجيدين للقول في هذا المذهب ، إلا أننى ذكرت بعض ذلك كراهية الاطالة؛ فثمة قول على بن العباس الرومي برثيه : (وهى من مختار ما رثى به ، بل إن قلت إنها عين ذلك والمنظور إليه لم يكن مبعداً ، لولا أنه أفسدها بأن جاوز الحد وأغرق في التزع وتعدى المقدار بسبب مواليه من بنى العباس ، وقوله فيهم من الباطل مالا يجوز لأحد أن يقوله) وهى :

أمامك فانظر أى نهجيك تنهج	طريقان شتى مستقيم وأعوج
إلا أيتها الناس طال ضرركم	بأكل رسول الله فأخشوا أو ارتجوا
أفى كل يوم للنبي محمد	قتيل زكى بالدماء مخرج
تبيعون فيه الدين شر أئمة	فله دين الله قد كاد يمزج
لقد ألجؤكم في حبال فتنة	وللهلجيجكم في الحبال ألجوا
بنى المصطفى كم يأكل الناس شلوكم	لبواكم عما قليل منرج
أما فيكم (٣) راع لحق نبيه	ولا خائف من ربه يتخرج
لقد صمها ما أنزل الله فيكم	كأن كتاب الله فيهم مجمع
لقد خاب من أنساه منكم نصيبه	متاع من الدنيا قليل وذبرج
أبعد المكنى بالحسين شهيدكم	نضى مصاييح السماء وتخرج

(١) التوقيعات « ١٧١ : ١ » و « ٢ : ٣٤٤ » و « ١٧٥ » و « ٣٠٩ »

(٢) قلنا : قد أجمع المؤرخون الثقات على أن الأصهباني أغفل ترجمة ابن الرومي في الأغاني لبعضه إليه . فإن ابن الرومي هجا أستاذه أبا الحسن على بن سهلان الأخفش . وسير في مساق الخبر هذا بأنه أخذ عليه نيل إيراد مرثيته فنقصه لبنى العباس وتفجيرهم إياهم مما اتجهلها مذهباً واحداً .

(٣) كذا وردت في ص ٢٢٠ من « مقاتل الطالبين » والظاهر أن الأصل « أما فيهم » وأراد بنى العباس وأتوانهم

لنا وعلينا لا عليه ولا له
وكيف نبكي فائزاً عند ربه
فإن لا يسكن حياً لدينا فاته
وقد نال في الدنيا سناء ورفعة
وكننا نرجيه لرفع حماة
فسأله ذو العرش في ابن نبيه
مضى ومضى القراط من أهل بيته
أبيت إذا نام الخلى كأنما
أ « يحيى » العلى لطفى لذكر الك لطفه
لمن تستجد الأرض بعدك زينة
سلام وريحان وروح ورحمة
ولا برح القاع الذى أنت جاره
ويا أسناً أن لا نرد تحية
أتمنى عيسى عليك بعبرة
عناء على دار ظعنك لغيرها
ألا أيها المستبشرون بيومه
أكلكم أمس انما أنت مهاده
نلا نشتموا وليخصاً المرء منكم
كذلك على في المواطن قبله
تعدون في طغيانكم وضلالكم
أجنوا بنى العباس من شنائكم
وخلوا ولالة السوء منكم وغيهم
نداريكم أن يرجع الحق راجع
على حين لا عذر لمعتذريكم
فلانلقوا الآن الضغائن بينكم

تسبح أسراب الدموع وتفسح
له في جنان الخلد عيش مخرفح
لدى الله حى في الجنان مزوج
وقام مقاماً لم يقم مزج
بأمثاله أمانها يتبلج
فهاز به والله أعلى وأفلج^(١)
يؤم بهم نحو المنية منهج
تبطن أجناني سيال وعوسج
يباشر مكواها القواد فينضج
فتصبح في أثوابها تتبرج
عليك وعمدود من الأرض سجع
يرف عليه الأحصوان المفلج
سوى أرج من طلب ومك بأرج
وأنت لأذيال الروامس مدرج
فليس بها لأصالحين معرج
أظلت عليكم غمة لا تفرج
بأن رسول الله في القبر مزعج
بوجه كأن اللون منه البرندج
أبو حسن والغض من حيث يخرج
ويستدرج المغرور منكم فيمدرج
وشدوا على ما في القباب وأشرجوا
فأحرى بهم أن يعرفوا حيث لججوا
إلى أهله يوماً فتشجوا كما شجوا
ولا لكم من حجة الله مخرج
وبينهم إن اللوايح تنسج

(١) هذا البيت شديد على الدين . فقد روى أن الامام علياً ع - أشكر على أحد أصحابه قوله في رجل توفاه الله « استأثر الله به » ، ولكن البيت يدل على شيعة ابن الربي التي قبلها الاستاذ العقاد . ومن جاوز الحد في هذه الأمور عبد الباقي العمري شاعر زمانه في العراق في العهد الأخير .

لعل لهم في منظوى الغيب ثائراً
عجر تضيق الأرض من زفراته
توامضه شمس الضحى وكأتما
له رفدة بين السجاء وبينه
يود الذى لا فاء أن سلاحه
فيذكر ثار الله أنصار دينه
ويضي إمام الحق فيكم فضاءه
وقد كان في يحيى مذ مر خطه
أفى الحق أن يسوا خصاصاً وأنتم
تمشون مختالين في حجراتكم
وليدهم بادي الطوى ووليدكم
ولم تضعوا حتى استنارت فبورج
وهذه القصيدة « ١١٠ » أبيات اخترنا منها هذا القسم لاجتدال وليان بعض الأحوال
[بغداد] مصطفى جواد

اللغات الهندية

بقلم الأستاذ إحسان سامي حقي
أستاذ الأدب العربي بجامعة عليكرة [الهند]

قد يستغرب السامع لأول وهلة ، إذا ما قلت له إن في الهند ما يقرب من مائة لغة حتى يتكلم بها في مقاطعات أو ولايات مختلفة ، ولكن استغرابه هذا يزول إذا ما عاود وفكر في الهند ، تلك البلاد الشاسعة غير الصغيرة ، بل القارة القائمة بذاتها ، وإن كانت تنضوي تحت اسم واحد . وإن أوروبا التي لا تزيد كثيراً عنها في المساحة ، فيها من اللغات ما يقارب الأربعين ، وكلها قائمة بذاتها ، ولكن الفرق أننا إذا ما قلنا أوروبا فأننا نقسم منها : فرنسا وألمانيا ورومانيا وأسبانيا وغيرها من الحكومات الكثيرة ، وأما إذا ما قلنا الهند ، فأننا نقسم منها حكومة واحدة ؛ على أن الأمر غير ذلك أو أن ما ينطبق على أوروبا في هذا الباب ينطبق تمام الانطباق على الهند ، لأنها وإن كانت تعد ببلاداً واحدة ، فهي بما فيها من فواصل طبيعية وأجواء مختلفة تكاد تكون منفصلة الأجزاء ، ولوشئنا تعرف تقسيمها ، كما هي أوروبا مقسمة ، لاستطعنا أن نقول : البنجاب ،

والبنغال ، والولايات المتحدة ، والسند وغيرها ، ونعني بكل واحدة من هذه الولايات أو الولايات حكومية مستقلة كما هي الحال في أوروبا .

ولكن مع هذا كله نرى أن اللغات الهندية أكثر من الأوروبية ؛ والسبب في ذلك يرجع أولا إلى أن الهند أقدم في الاكتشاف وأعرق في الحضارة من أوروبا ، وثانياً لأن لغاتها مأخوذة عن أصول مختلفة ، بعكس اللغات الأوروبية فإنها ترجع إلى أصل واحد فقط . واللغات الهندية كلها حية مستعملة ، غير أن بعضها أعم من البعض وأعز في أدبه ومادته . وعلى ما يظهر من التحري والتحقيق في هذا الشأن رغم بعد الزمان ، هو أن اللغة السنسكريتية كانت في وقت ما لغة معظم الهند ، لأنها لغة كتاب الوثنيين المقدس ، إلا أن هذه اللغة الآن قد قاربت أن تكون في الهند كاللغة اللاتينية القديمة في أوروبا ، حيث تقام بها الصلوات في البيع ولا يفهمها أحد ؛ وهي لغة واسعة جداً إلا أنها صعبة للغاية حتى إنه قل من يوجد في الهند ومن يحسنها أو يفهمها ، وإنما علماءها يمدون على الأصابع ؛ وغيرهم ممن يعلمها أو يدعي علمها إنما هم من المنطوقين لا غير ، أو هم أشبه في حالهم هذه بحال العربي الذي يستطيع أن يتكلم العربية ويفهمها ، ولكنه لا يستطيع أن يفهم كتاباً مكتوباً باللغة الفصحى ، أو أن يكتب بلغة صحيحة . وقد أحببت مرة أن أدرسها فطلبت إلى أحداً لاساندة ذلك ، فقال لي : وماذا تبتنى من تعلم هذه اللغة ؟ قلت لكي أدرس آدابها ؛ فقال لي : إني قد صرفت عمري وأنا أدرس وأدرس هذه اللغة ، ولم أصل إلى الدرجة التي تريد أن أنت ؛ وقد ذكرني قوله هذا بحكاية لطيفة جرت لأحد الأصدقاء وهي أنه اجتمع مرة برجل صيني وسأله ، فيما سأله ، عن اللغة الصينية فقال له الصيني : إن لغتنا لغة سهلة جداً يمكنك أن تتعلمها بعد عشر سنوات على الأقل ؛ إلا أنه مما لا يمكن إنكاره ، أن اللغة السنسكريتية لغة واسعة جداً ، ذات أدب جم وفلسفة كاملة ، وهي أشبه اللغات باللغة العربية ، كما رأيت من مطالعتي لما ترجم عنها أو ما اتصل بها بقرب من اللغات التي أعرفها .

ثم تأتي بعد هذه اللغة ، اللغة البنغالية ؛ وهي الآن من لغات الهند الحية ذات الأدب الواسع ، ويتكلم بها ما لا يقل عن عشرة ملايين من البشر ، وتصدر بها عدة جرائد ومجلات ، وتدرس في المدارس كلفة حية . وتأتي بعد هذه ، اللغة البنجابية ؛ وهي لا تقل عن البنغالية شيئاً ، بل تزيد ، ويحجمها الآن شعب بكامله ، وهو جماعة «السيخ» . لأنها لغة كتابهم المقدس ، وهي مستعملة بكثرة في البنجاب خصوصاً ، وفي ما يجاورها من البلاد ؛ وهناك أيضاً تلاء ، اللغة القديمة التي لا يشوبها لفظ عربي ، ولا فارسي ، ولا إنكليزي ، وتسمى الكرمكية ، حروفها أشبه بالحروف السنسكريتية .

وهناك لغة ثانية ، هي المشوية بالفاظ من هذه اللغات ، وحروفها عربية أما اللغة الأولى فهي لغة غير المسلمين ، وأما الثانية فهي لغة المسلمين . وبعد البنجابية تأتي اللغة السندية ، وهي لغة أهل السند فقط ، وليست راقية كثيرها . وهناك اللغة الكجراتية

وهي تستعمل في ضواحي بمباي . واللغة التاميلية ، وهي تستعمل في ضواحي مدراس ، وهناك البلوجية ، والبشتوية ، والكشميرية ، والمدرانية ، والفارسية وغيرها ، وكلها من اللغات الحية التي يتكلم بها ملايين من الخلق .

ومع كل هذا ، فإن للهند لغة واحدة يستطيع من يتعلمها أن يتفاهم مع كل طبقات الناس ، بتفاوت بسيط في طول الهند وعرضها ، وهذه اللغة هي اللغة الهندية ، وتقسم إلى قسمين : قسم يعرف بهذا الاسم ، وهو لغة قديمة جداً ، مأخوذة عن السنسكريتية ، بألفاظها وحروفها واصطلاحاتها ، مع مزيج من لغات هندية أخرى ، تكاد تكون لغة الولايات المتحدة الهندية الرسمية ، وهي ذات أدب كبير واسع ، وتدرس في كل المدارس ، وأما القسم الثاني ، ويعرف باسم اللغة الأوردية ، فهو لغة جديدة من موجذات المسلمين في الهند .

وذلك أن الحكومة المغولية بعد فتحها للهند ، رأت تسهلاً على جنودها ، أن توجد لهم لغة ، فأوجدت هذه اللغة التي هي عبارة عن خليط من اللغات الهندية والفارسية والعربية ، وأختارها بهذا الاسم ، ومعناه « الجيش » ؛ وقد يمكن أن تكون هذه اللغة أوجدت نفسها بنفسها ، بأن تعلم الجند شيئاً من اللغة الهندية ، وجعلوا يستعملون بلفظهم تارة ، وبالعربية — التي كانت قد استحكمت بهم — تارة أخرى ، فنولد عن ذلك هذه اللغة التي نعت نحواً لم يكن منتظراً ، وأصبحت الآن ذات أدب عال . والسبب في ترقى هذه اللغة ، هو أنها أخذت من السنسكريتية فلسفة ، ومن الهندية أدباً ، ومن الفارسية ليناً ، ومن العربية سعة .

وبعد اختلال الانكليز للهند أخذت من اللغة الانكليزية ألفاظاً ، فأصبحت تمثل خمس لغات في وقت واحد ؛ وهي تكتب بالحروف العربية أو الفارسية ، غير أنه لما كانت حروفها ثانياً تزيد على غيرها عدة أحرف ، وضع لها الواضعون إشارات تميزها تمييزاً ظاهراً لا يدع مجالاً للشك ، فثلاثاً جعلوا فوق (اراء) العربية (طاء) صغيرة ، لتدل على أنها سنسكريتية ، حيث يختلف أدؤها من الخلق عن العربية ، وهكذا وضعوا (طاء) فوق الدال العربية ، وهجروا من الاشارات الحسنة المديرة ، وقد تداخلت فيها اللغة الانكليزية ، تداخلًا مسخياً مسخاً ، حيث أصبح لا يستطيع من لا يعرف الانكليزية أن يفهمها كما يجب ، بل قد يتعذر عليه أحياناً أن يفهم جلاباً كلها ، لأنها تكون إنكليزية ، موصولة بقواعد إضافية أو نسبية هندية لاغير ؛ وعنى كل حال فإن هذه اللغة الجديدة ، قد اكتسحت اللغات الهندية جميعها وقامت مقامها ، لدرجة أن الانسان يرى من يتكلم بها في كل بقعة من بقع الهند .

ولم يفتني أثناء سياحتي ونجواي في البلاد الهندية سنة ١٩٣٠ ، ما أعرف من اللغات الهندية وغير الهندية ، ولا الانكليزية نفسها ، كما أفادتني هذه اللغة التي ، يعني المسلمون بها أكثر من غيرهم ؛ لأنها أصبحت كافية شبيهة بالدينية لديهم ؛ لأن أكثر كتب الحديث ترجم إليها ، وكذلك كتب الفقه فإن أكثرها إما عربية أو أردية ، كما أن القرآن الكريم قد ترجم إليها عدة تراجم مختلفة ؛ [عليكرة . الهند]

إحسان سامي حق

البول السكري

وعلاجه بالتدبير الغذائي

للدكتور محمود فريد

الأخصائي في الأمراض الباطنية والأشعة

البول السكري من الأمراض الشائعة ، يعرفه الخصاص والعام ، وقما ينجو من الإصابة به المومرون وأصحاب المناصب العالية ؛ وهو من أقدم الامراض التي وصل إليها علمنا ، وقد كتب عنه الهنود الأقدمون ؛ وفي المؤلفات اليونانية والرومانية القديمة فصول طويلة وصفت فيها بناية الدقة الأعراض المرضية لهذا الداء ؛ إلا أن أول من كشف عن هذا المرض في المصور الحديثة ، هو الطبيب الانكليزي (توما) عام ١٦٧٤م : فقد ذاق في بول المصابين بالسكر مصادفة طعم السكر ، وأثبت غيره وجود السكر في البول بضميره ، وآخرون بتخميره . ويرجع جل مانعرفه اليوم عن مرض السكر للعلامة (كلود برنارد) ، فقد تم له اكتشاف النقطة السكرية في المخ - وهي التي إذا أصابها شك ديهوس مثلاً انفرز السكر حالاً في البول ، وازدادت كمية السكر في الدم - وتعرف هذه النقطة بنقطة الشبكة السكرية ؛ وهو أول من أثبت أن سكر الدم ينشأ عن السكر المخزون في الكبد المعروف (بالجليكوجين) - وهو سكر العنب - وأثبت العلمان الألمانيان (فون مرنخ) و (متكوفسكي) ظهور مرض السكر عقب استئصال غدة البنكرياس - وهي الغدة للعناية الباطنية ، الواقعة في الجزء الأيسر من البطن خلف المعدة - . واليوم تم استكشاف مرض سكر (الأنسولين) - وهو الإفراز الداخلي لغدة البنكرياس - الذي تم استحضاره لكل من : (بابنج) و (بابست) و (كوليب) من تلك الغدة عام ١٩٢٢م .

وخلصة ما فهمه اليوم عن هذا المرض أنه عبارة عن اختلال في الاستجابة الغذائية ، يعرف بإفراز السكر في البول ، وازدياد كمية السكر في الدم ؛ فترى المصاب به إذا تناول في طعامه أية كمية من المواد النشوية أو السكرية - مهما كانت قليلة - ازداد سكر الدم ، ثم انفرز السكر في البول ؛ وقد اختلف المؤلفون في منشئه : فمن قائل إنه مسبب عن كثرة تكون السكر في الكبد . وقديلم القاري ، أن من وظائف الكبد تحويل المواد السكرية بادرانية (النشوية والسكرية) ، بواسطة إفرازات البنكرياس ، وكذلك تحويل المواد السكرية كثيرة التعقيد ، كسكر القصب مثلاً ، إلى مادة سكرية بسيطة التركيب هي (الجليكوجين) أو سكر العنب ، وتخزينه داخله ليكون

بثابة اللحم للفاطرة، يصرف منه للجسم على قدر حاجته منه؛ فإن ازدادت الكميات المخزونة منه في الكبد زيادة كبيرة فوق حاجة الجسم، انقرضت منه كميات وافرة حتى تنشبع الأنسجة بالسكر؛ ويرى آخرون أن ظهور المرض يرجع لسوء احتراق المواد السكرية في الجسم؛ ويرى غيرهم أنه يرجع لأسباب أخرى الذكر معاً، والنتيجة - على كل حال - أنه مسبب عن تشبع الأنسجة بالسكر. وقد أثبتت الأبحاث الحديثة أن مرض السكر لا ينشأ فقط عن اختلال الاستحالة الغذائية للمواد السكرية بحد ذاتها، بل المواد الزلالية والدهنية أيضاً؛ بل إن هذا المرض يظهر لأي اختلال يطرأ على الجسم؛ فتراه يظهر في اختلال الغدد ذات الإفراز الداخلي - المعروفة بالغدد الصماء - إذا أصابها التغيرات المرضية، وهذه الغدد منتشرة في الجسم ولها إفرازات داخلية تصل للجسم بواسطة الامتصاص، بمعنى أنه ليس لها مجرى خارجي تنصرف منه إفرازاتها، كما هي الحال في الصفراء التي تصب إفرازاتها في القنوات الصفراوية، وهذه بدورها تصبها في الأمعاء، عاملة على هضم المواد الدهنية، وهناك أيضاً غدد صماء في قاعدة المخ، فإذا أصاب أحد فسيماها تضخم، أصيب صاحبها بمرض (المردة)، فتتضخم الغنظام وتطول ويفرز السكر في البول. ونشاهد إفراز السكر في البول في أمراض الغدة « فوق الكلّي »، وهي من الغدد الصماء كذلك؛ فإذا أصابها تضخم، زاد إفرازها الداخلي وهو (الادرينالين) الذي له خاصية دفع الدم، وتضييق الأوعية الدموية في حالة النساء، فانه يؤثر في الرحم حتى تنقبض عضلاته؛ وهو مضاد (للأنسولين)، وهو الإفراز الداخلي (للبنكرياس) الذي يتم به احتراق السكر؛ وعند نقصه يقل الاحتراق فيشحن الدم بالسكر ويفرز السكر في البول.

كما أننا نشاهد إفراز السكر في البول في أمراض الغدة الدرقية - التي مركزها الرقبة - وتقع تحت الحنجرة حول القصبة الهوائية؛ كما أننا نشاهد ظهور السكر في البول في أمراض البنكرياس والسبد؛ بل نراه يظهر أثر الصدمات العصبية والاضطرابات النفسية، كالخزن والجزع ... الخ. ومن هنا فإن البعض يقول بأن الضعف العصبي قد يؤدي إلى مرض السكر.

ويصاب بعض الأفراد بالبول السكري عن طريق الوراثة، وذلك في حالة إصابة أحد الوالدين أو كلاهما بالمرض أثناء ولادة الطفل؛ وربما كانت وراثة هذا المرض في أسرة بأسرها. ولقد يكون أحد الزوجين مصاباً بهذا المرض ثم لا تلبث أعراض الإصابة بعدئذ حتى تظهر على السليم منها، حتى لقد يتطرق للفكر أنه أصيب بطريقة العدوى؛ وقد قال بعض المؤلفين بهذا الرأي، لكنه رأى ضعيف لم يقل به جمهور المؤلفين، ولا ينطبق على ما نعرفه شخصياً من الأصل في تكوين هذا المرض الذي ينتج عن اختلال الاستحالة الغذائية، التي هي أهم العوامل في ظهور هذا الداء، والتي تنطبق تماماً على المشاهدات الأكلينيكية، وما يقع منها يومياً من الحوادث تحت أنظارنا.

وفي بعض الأحوال ترجع الاصابة بهذا المرض لاستعداد خاص في البنية ؛ مما لا تجده شائعاً بين الناس السمان ، الذين إذا تقبنا تاريخهم رأينا بعضهم ينشأ في عائلات يشو فيها مرض السكر والنفرس ، الذين ينشأ في من اختلال الاستحالة الغذائية ، ومن هنا فإن لها علاقات وثيقة ، تؤيد نظرية الاستحالة الغذائية أيضاً ، ونرى هذين المرضين منتشرين عادة بين الاغنياء والموسرين ، الذين كثيراً ما يسرفون في ملابهم وشراهم ، حتى لقد عرف مرض النفرس بداء الملوك ؛ كما نراه فاشياً بنوع خاص عند المفرطين في أكل الحلوى ، وعند الذين لا يعرفون نظاماً خاصاً في غذائهم ، فتراهم يأكلون كل ما تصل إليه أفواههم ، وكأنهم لا يعرفون شيئاً عن القاعدة الذهبية : « يأكل العالم ليعيش ، ويعيش الجاهل ليأكل » ، ونسوا أنه يجب الاعتدال في المأكل والمشرب ، وأتينا لوعملنا بالحكمة الغالية : « نحن قوم لأننا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » ، ما كان لذلك الأمراض المنتشرة - أمراض الاستحالة الغذائية - من أثر يذكر بين ظهرانينا ؛ ولو عرف الناس عاقبة الاسراف في المأكل والمشرب ، وما يترتب عليه من إصابة الجسم بأمراض وخيمة العاقبة ، لساروا فيما يتناولون من المأكل والمشرب بحكمة واعتدال تامين .

فصدني للاستشارة مرة ، رجل بدين تبدو عليه علامات الصحة والعافية ؛ جاء يشكو كثرة العطش وكثرة إدرار البول ، مع جفاف في الريق ، ثم قال لي - ضمن مقال - : إنه اعتاد أن يتناول خمس عشرة كوبة من العرقسوس في حر الصيف ، ليستطيع تأدية عمله في المطبعة ، فكان من جراء ذلك أن أصيب بمرض السكر . ويهين أن مرض السكر المنتشر في هذه البلاد ، لا يرجع إلا إلى اسراف في المأكل والمشرب ، وخصوصاً في الأطعمة النشوية والحلوى ؛ ولذلك نرى المرض في سيره ، وطرق علاجه - على وجه العموم - يختلف اختلافاً بيننا من صورة المرض في أوروبا ، وكذلك يختلف في طرق العلاج . حقاً أن هذا المرض يتسبب في أوروبا من إصابة جزء (لانجهاوس) الواقع في غدة البنكرياس ، إصابة تقلل من إفرازها الداخلي وهو (الأنسولين) الذي تتم به عملية احتراق السكر - سكر العنب - المخزون في الكبد ، إلا أن هذا النوع لا يكون بين ظهرانينا إلا من المضاعفات المرضية ؛ وإنما النوع المنتشر بيننا - وربما في البلاد الشرقية عموماً والقريبة خصوصاً - هو من النوع الغذائي ، أي الذي ينشأ عن اختلال الاستحالة الغذائية ؛ ولذلك كان الواجب يقضى على مصلحة الصحة العمومية بتعميم الإرشادات والتعاليم الصحية بين الجماهير ، التي تبين لهم أسباب المرض وطرق الوقاية منه ؛ وقد ضج الناس من فتك هذا المرض بهم ، حتى كتبوا على صفحات الجرائد يطالبون بدعاية صحية منظمة ، لارشاد الناس وإفهامهم ما هو ضار بهم ومؤذ صحتهم .

على أن لمرض الزهري أثراً هاماً في هذا المرض ، فإذا تبين للطبيب - عند فحص المريض - إصابته بالزهري ، أو اشبه في حالة المريض ، يجب اتخاذ العلاج الفعال ضد المرض الأصلي - وهو

ازهرى - دون تولى ، لأنه السبب الأصلى للرض ، وهذا النوع يخالف ما كتبت عنه الآن .
 وتقع الإصابة بمرض السكر بين سن الثلاثين والستين من عمر الانسان ، وقد قُطِعَ قبل ذلك ؛
 فقد شاهدته فى فتاة فى الثامنة عشرة من عمرها ، وقد عولجت منه وشفيت ؛ إلا أن هذا
 المرض أخطر على الشباب منه على الكهول والشيخوخ ، وتقل خطورته عند الشيخوخ ؛ وإصابة الرجال
 به أكثر من إصابة النساء ، إلا أنى يكن أكثر عرضة للإصابة به وقت العادة ، فليحرسن فى
 طعامهن ، فى هذا الوقت على وجه الخصوص ، حتى لا يبدأ سير المرض حثيثاً فى بادئ الأمر ،
 فتتفرز كميات يسيرة من السكر فى البول دون أن يستترعى ذلك خاطر المريض ، أى دون أن يكون
 مقلقة ، ثم يكتشف المرض بالصدفة - عند تحليل البول - أو يترك المرض وشأنه فتشتد الأعراض
 حتى تسوء الحال فيضطر المريض اضطراراً إلى الاستشارة الطبية ؛ وأول ما يظهر من علامات المرض ،
 النفس المستمر فى الوزن حتى تصبح الملابس واسعة ، ويصحب هذا انحطاط فى القوة وتور
 ويقل النشاط فيصير المريض متعباً على العمل ، وقامت تأثير الصحة العامة فى بدء المرض ، وقد لا يستشعر
 المريض سوى حكة مقلقة فى أعضاء التناسل أو يصاب بمرض جلدى - أكر بما قوية - أو نصيب
 الأسنان مدة فتتخلخل ثم تسقط ، أو يصاب بالدمامل أو الطراريج أو الجذرة ، أو يصاب بالأم عصبية
 حادة تفشل فيها كل محاولة علاجية ، أو يصاب بالتهاب فى الأذن الوسطى لا يشفى ؛ أما إذا
 اشتدت أعراض المرض ، فإن المريض يشعر بعطش شديد ، ويصاب « بالجوع الكاذب » حتى
 يصير نهماً ، ويشتد إدرار البول ، ويأخذ المريض فى النحافة رغم حسن التغذية - ولو كان فى
 أصله بدنياً - ؛ فقد شاهدت بعض السيدات كان وزنه لا يقل عن ٩٥ كيلو جراماً فأصبح
 لايزن أكثر من ٥٠ كيلو جراماً بعد إصابتهن بالمرض . ويكون البول رائقاً ، ويترك بقعاً بيضاء
 فى الملابس ؛ وتراوح الكمية المفرزة منه ما بين لترين ، وأربعة ألتار ؛ إلا فى بعض الحالات
 الشاذة ، فقد وجد أن معدل مريض بلغت كمية بولها فى ٢٤ ساعة - ١٠ ألتار ؛ وشاهد بعض
 المؤلفين أكثر من ذلك : ١٥ و ٢٠ لتراً فى البول فى خلال ١١ ساعة ؛ أما الكمية التى تفرز
 من السكر فى البول فتتراوح بين ٣٠٠ و ٥٠٠ جرام ؛ وقد شاهدت مريضاً يفرز فى اليوم
 ٦٠٠ جرام من السكر ، وهى كمية كبيرة لا يستهان بها من غير شك !

وتظهر مضاعفات المرض على أعضاء مختلفة ، فيصير الجلد جافاً ، خصوصاً فى الأعضاء التناسلية
 الظاهرة من المرأة ؛ وشاهدت حالة انتفخ فيها جلد الوجه والأجفان واحمر ، واشتدت حكة
 مقلقة حرمت المريض لذة العيش والنم ؛ ويصاب الجلد بالدمامل والخراجات ، وتنتفخ الغدد
 الليمفاوية ، وتصاب الأطراف بالغنغرينة الجافة ، وخاصة الأصبع الأكبر فى القدم ؛
 أما الأسنان فيصيرها السوس ، وتصاب اللثة بالتقيح ، فترى الأسنان تتخلخل وتسقط .

والسل الرئوي هو أحد مضاعفات هذا المرض ، ويصيب نحو ٥٠ في المائة من مجموع الاصابات ، ويظهر أنه يصيب من تهاون في أمره ، وأطلق لشهوانه العنان في المأكل والمشرب ، واكتفى من العلاج بالوصفات البلدية - كحقن الخلطة ، والترمس . . . وقد أظهرت التجارب العديدة أن هذه الأعشاب والمركبات - على اختلافها وتباين أصنافها - لا تزيل مرض السكر بقاءً ، كما ظهر من أبحاث المؤتمر الطبي الأخير ، الذي كانت هذه الوصفات أحد موضوعاته الكبيرة الموضوعة على بساط البحث . وعلى الرغم من أن البول السكري هو أحد أمراض الاستحالة الغذائية ، ترى الشائع بين العامة أن المريض به ، يحتاج «للتغذية الكبيرة» ، أي أنه يقع فريسة «الجوع الكاذب» أو «الكلي» - كما يسميه البعض في الاصطلاح - فسرعان ما تزداد حالتهم من سيء إلى أسوأ ؛ بل نرى - وهذا من الغرابة بمكان - أن بعض الناس يصفون عسل النحل ، ويزعمون أنه شاف لهذا المرض ، والواقع أن عسل النحل يحتوي على ٨٠ في المائة من السكر الخالص ؛ وقد اتفق أن تناوله أحد مرضى - أخيراً - بعد أن كان من الشفاء قاب قوسين أو أدنى ، فظهر السكر في بوله فجأة ؛ ومن حيث مرض السل فإنه يبدأ بسعال ، ويظهر بشكل نزلة شعبية بريئة ، تحثي وراءها مرض السل المزعج ؛ فإذا لم يوفق الطبيب في التشخيص ، لا يلبث المريض حتى تظهر عليه العلامات الأكلينيكية لهذا المرض الخبيث ، وعندئذ يعز الدواء ويستعصى الشفاء .

أجل ، يجب على كل من خامره أقل شك في إمكان إصابته في الرئة ، المبادرة بغير تواني للعلاج . وتجب العناية التامة بالمريض إذا اشتدت الإصابة ، كما يجب اتخاذ الاحتياطات الصحية كلها . صادفتني سيدة مريضة بالبول السكري ، وأخبرتني - ضمن ما أخبرتني - أنها تسعل من بضع شهور ، فلما فحصتها اشتبهت في أمرها ، ففحصتها بالأشعة ، وكرر البصاق ، فطابق التشخيص الأكلينيكي فحص الأشعة ، وأثبت فحص المعمل للبصاق وجود ميكروب «كوخ» ، فإذا صنعت ؟

لم يتجه نظري ، إلا لمعالجة المرض الأساسي ، وهو البول السكري ، مع مراعاة الأحوال الصحية العامة المناسبة لمرض الرئة ، فما انتظم لها علاج السكر ، حتى قل السعال ، واطردت حال المريضة في التحسن ، دون أن أعطيها أدوية طاردة للبلغم ، اللهم إلا بعض أدوية مسكنة عند اللزوم . ومن هنا تظهر أهمية علاج المرض الأصلي عند ظهور المضاعفات ، فلقد رأيناها في مختلف الحالات تتراجع إلى الوراء بسرعة وبخطوات واسعة .

ومن مضاعفات البول السكري أن يصيب القلب ضعف ينتج عنه تضخمه وتصلب الشرايين . وقد يصاب المريض بالذبحة الصدرية أو بالربو (ضيق التنفس) ، الناشئ عن ضعف القلب ، وقد يرتفع الضغط الدموي .

أما المعدة والأمعاء فقلما تصاب بمضاعفات المرض ؛ إلا أننا نرى عدداً كبيراً من مرضى البول السكري يصابون بالأمساك ، الذي ينشأ عن جفاف الأنسجة ، بسبب إفراز كميات كبيرة من

مائة الجسم فى البول. وقد يصيب المعدة عسر الهضم ، وقد تحدث اضطرابات فى الكبد أو حصوات فى المرارة .

والسكى خطرة التأثير بمرض السكر ، وإصابتهما من أكبر المضاعفات وأخطرها. فترى الزلازل يظهر بكثرة فى البول ، ويظهر من الفحص السكرسكوى وجود الاسطوانات ، وظهور خلايا المدة بكثرة ، وكلما اشتدت الإصابة ، زادت الحالة سوءاً ، حتى ينشئ منها على حياة المريض .

ومن مضاعفات البول السكرى زوال البول بدون إرادة ، خصوصاً فى الليل ، وينشأ هذا عن التهاب نائى ، غير مكروبي ، بفعل البول المتشبع بالسكر على جدر المثانة .

وتظهر مضاعفات الإصابة بالبول السكرى على الأعضاء التناسلية ؛ فانه يؤثر فى الخصيتين ، حتى لقد أصاب الرجال بالارتخاء ؛ وربما كانت هذه أولى ظاهرات مرض السكر التى تحدث بالمريض إلى الامراع باستشارة الطبيب . وكمن من مريض قصدى عقب ظهور هذه الظاهرة ، فلما خصته ، انشغلت عنده مرض البول السكرى ، بعد تحليل البول ؛ ومن هنا فان العالمين الألمانين (فون توردن) (ولاسحق) الاختصاصيين فى امراض الاستحالة الغذائية ، يريان أن يمنع من الزواج كل رجل يثبت أنه مصاب بمرض البول السكرى ، وخاصة فى الحالات الشديدة .

ومن ناحية المرأة ، فان أعضاءها التناسلية تتأثر بهذا المرض ، فتقل هونها عند الجماع ، وتقطع عنها العادة الشهرية فى سن مبكرة ، بل كثير أمانصاب بالعمى ، من جراء الإصابة بهذا المرض . صادفتنى سيدة من كرام العائلات ، مصابة بالسكر بدرجة متوسطة ، اتفق لها أن حملت ، إلا أن الجنين نزل — عند الولادة — ميتاً منتفخاً ، وخيف على صحة تلك السيدة .

ثم إن خطر مرض السكر ليس يقاصر على الجنين لحسب ، بل إنه يصيب الوالدة نفسها منه الشيء الكثير ، فقد تفتابها من مضاعفات هذا المرض «جنى النفاس» فتعرض حياتها لخطر محقق ؛ وفى المائة من أولئك الودات يرحن ضحية هذا المرض . وظهور الآلام العصبية المختلفة هو من مضاعفات مرض البول السكرى . وقد تكون الآلام العصبية على اختلاف أنواعها مقدمة لمرض السكر . ومن مضاعفات السكر فى العينين ، شلل الأجفان ، وفى بعض الأحيان ؛ احتياك العدسة . ولقد تشدد الإصابة ، فبعض المريض حاسة الابصار فجأة . وقد يشتد تأثير هذا المرض فى الجهاز العصبى ، حتى لقد يؤدى إلى رخاوة المخ أو إلى التريف الحى — المعروف بالفالج — . وقد تسبب أيضاً عن اشتداد وطأته ، آلام فى الرأس ، بل لقد يؤدى أحياناً إلى البلهة ، وربما نزل عقلية المصاب به إلى عقلية الطفل الصغير .

العلاج

كان العلاج الشائع في أمريكا منذ بضع سنين قلائل ، شديد الوطأة ، بسبب الاحتمال ، فكان عبارة عن سلسلة صيام طويلة ، يمانى المريض في غضون شدة الجوع ومغض آلامه ؛ وكان المريض الأوربي يحرم من تناول المواد السكرية ايدراتية ، حتى ظهرت على بعضهم علامات التسمم بالحوضة (اسيتون) ، فاضطر الأطباء إلى السماح للمرضى بتناول الشعير ، والانعكاف على أكله . سم أجازوا أن كل الحبوب والبقول بل الأرض أيضاً ، فسرعان ما شاهدوا تحسناً يذكر في صحة أولئك المرضى ؛ فشاع هذا النظام الغذائي في علاج « البول السكرى » ؛ دون أن يبنى هذا العلاج على قاعدة صحيحة ، حتى جاء (كوليب) - وهو أحد المكتشفين (للأنسولين) - فتم له استخراج مادة من القمح والشعير وبعض البقول والخضر والحشائش سماها (جليكوكوتين) تشبه في مفعولها (الأنسولين) ، إذا أخذت من طريق الفم ، قلت إفراز السكر في البول ، وقلت زيادة سكر الدم ؛ ومفعولها مماثل (للأنسولين) إلا أنها أقل تأثيراً منه .

ثم كانت القاعدة العامة المتبعة في غذاء مرضى البول السكرى ، السماح لهم بتناول المواد الدهنية بدلاً من المواد السكرية ايدراتية ، حتى لقد كان جل طعام هؤلاء المرضى - منذ بضع سنين قلائل - يتكون من المواد الزلالية والدهنية فقط ، ولا يسمح لهم بتناول المواد السكرية ايدراتية إلا بقدر يسير يستطيع الجسم هضمه دون ظهور السكر في البول ، فكان المريض لا يظهر في بوله سكر إلا عند تناوله ما يزيد على هذا القدر المعين ، ولو زيادة طفيفة .

إلا أن الأبحاث التي أجراها العالمان النمساويان (ادلبرخ) و (بورجس) أخذت تزول أقدام هذه النظرية ، بل لقد قلبتها رأساً على عقب ؛ فقد أثبت هذان الباحثان أن المواد الدهنية تقلل من قوة الجسم لهضم المواد السكرية ايدراتية ، بخلاف امتصاص المواد الدهنية وزيادة المواد السكرية ايدراتية في طعام المريض ، فإنها تزيد القابلية لهضم هذه المواد . وقد أخذ الأمريكيون بهذه النظرية وتقدموا بها تقدماً كبيراً ساعدها على انتشارها في سائر البلدان . وقد تمكن كاتب هذا البحث بالتدبير الغذائي وحده ، دون الالتجاء لأي علاج آخر من العلاجات والادوية ، من شفاء الحالات البسيطة ، والمتوسطة أيضاً ، وأصبحت في هذا نجاحاً يذكر ، مضى على شفاء بعض الحالات ما يزيد على خمس سنوات ؛ دون أن يعاود أصحابها ظهور السكر في البول . وقد عرضت طائفة من مشاهدي الخلق على المؤتمر الطبي الخامس ، الذي عقد في القاهرة في أوائل ابريل الماضي ، ونشر البحث في المجلة الطبية المصرية بعددها الصادر في شهر يولييه من هذه السنة ، فليراجعها من شاء التوسع في هذا الباب . وطريقتي في العلاج مبنية على أبسط الأنظمة الطبيعية ؛ فليأمرى إليه هو تمرين الجسم وتدريبه لاغناء القابلية لهضم المواد السكرية ايدراتية ، وتنظيم حركة الهضم حتى تزول اضطرابات الاستعانة الغذائية ، مع اتباع المرضى للقوانين الصحية ، والاعتدال في المعيشة والمأكل والمشرب .

دكتور محمود فريد

حلم وانقضى

بقلم الاستاذ محمود بك تيمور
(من كتاب أبو على عامل أرست تحت الطبع)

- ١ -

محمد أفندي العتر ، وكيل البوستة ببلدة الكوامل ، شاب أوفى على الأربعين . تعيين في وظيفته هذه منذ عشرة أعوام ، لم ينتقل في أثناءها من البلدة ؛ وكان قبلاً موظفاً صغيراً في دور البريد الكبير في عواصم المديرية . وبلدة الكوامل ، أو بالأحرى محطة الكوامل ، بلدة صغيرة من بلاد الأرياف لا يقف عليها إلا قطاران من الركاب وبعض قطارات من البضاعة . ومحمد أفندي العتر يعيش عيشه مملة في حجرة دارالبريد ، يساعده غلام صغير يدعوه محمد أفندي « بالمراسلة » ؛ ففي أوقات العمل يرى وكيل البوستة جالساً في دار البريد سنتاج الظلم ، يسب غلامه ، ويرى بالخطابات والطرون يميناً وشمالاً ، وهو بنفخ وزعجر ، لا عناء الساعة التي أتى فيها إلى هذه البلدة الفقيرة المهجورة ، حتى إذا مل شتم غلامه بدأ يشتم الفلاحين وينعتهم بأفبح النعوت ؛ فإذا مل شتمهم جعل يشتم نفسه ، واصفاً إياها بالجبن والكل والاستسلام ؛ وعندما ينتهى من عمله الرسمي ، يخرج إلى قهوة « مانولى » بجلبابه القذر وجاكبته الصفراء الكاخة ذات الأزرار النحاسية ، ولربوشه منحدر إلى الوراء تاركاً شعره للنفوس مبعثراً على قمة رأسه ، يجرد في قدميه شياً أملس بلا كعب ؛ فإذا ما استقر في القهوة جامد « مانولى » بالشيشة وفنجال القهوة وإحدى الجرائد اليومية ، فيمضى « محمد أفندي » وفته يدخن ويبصق ويطلع الأخبار وينسكت مع من حوله ويتفرج على الفلاحين وهم راغجون غادون أمامه ، مستنشقاً الهواء المشبع بالتراب الذي تثيره الدواب خلفها .

ومن الغريب أن « محمد أفندي » يشكو الوحدة وملل العيش ، وهو الذي يعرف كل من هب ودب من سكان القرى والبنادر . وهناك غير قهوة « مانولى » فكان « عم ربيع » الذي يتعده « محمد أفندي » عند ما يكون منزله قفراً من العلماء ، فيأكل فيه « أم الفلفل » و « السلطة » و « الباذنجان المقلّى » ، وربما عثر في الصيف على منقوع الحلبة يرطب به جوفه

الحار، هذا فضلاً عن أخبار ونوادير يطرفه بها عم ربيع . وتوجد سكة الجسر التي تقوم بجوار التربة ، يذهب إليها « محمد أفندي » في عصر كل يوم لمشاهدة الفلاحات وينازلهن ، ويتفرج أيضاً على أكسبريس العصر . ولديه - غير ذلك - الجامع يتعمده كل يوم جمعة ، لاصلاحاً ولاتديناً ، بل لينسى بالتفرج على الفلاحين وهم يقتلون في الميضة ، ولينفك يتحدث ساذج معهم . وهناك أيضاً سوق « الأربعاء » يذهب إليها مرة في الأسبوع وقت انعقادها ، لا ليشترى أوليبيع ، بل ليساوم في أنمان الطيور والدواب قتلاً للوقت ، ولعما كس المارين وتشاجر معهم . ولكنه مع كل هذا تجده متبرماً بعيشه ، يمضي حياته دائم التناوب والتمطى ، يتف شغيرات لحيته التي لا يحلقها إلا من الجمجمة للجمعة ، ويقرض بأسنانه أطراف شاربه المشوه ، وفوق هذا فمحمد أفندي خلية من الفلاحات تبلغ الخامسة والأربعين ، عليها دلائل التهدم المبكر ، تحمل له الماء ملء الزبر ، وتقوم له ببعض الخدمة المنزلية ، تعرف بها منذ أن حل ببلدة السكامل ، وهو مع ماله منها وكرهه لها لم يفكر لحظة في تركها .

— ٢ —

وأخيراً انتقل ناظر محطة السكامل إلى جهة أخرى ، وحل عمله ناظر آخر : رجل يبلغ الخمسين ، مهيب الطامة ، بشواوب ضخمة مبرومة ، وعيون كعيون الصقر ، لها بريق قوى ، متوجة بأهداب سوداء غليظة . وتوقفت بين « خميس أفندي » الناظر الجديد ، و« محمد أفندي » المتر « صداقة مقبنة » ؛ ولكنها كانت صداقة الكبير مع الصغير ، إذ كان محمد أفندي المتر - وهو في حضرة خميس أفندي - برهة واحترام لا يعرف لها سبباً ؛ فكان إذا قابلته انحنى له مسلماً بخضوع غريب ، وإذا مر أمامه خميس أفندي قام محمد أفندي قرعاً وهرولاً إليه ، وهو يقول : جنابك طاوز حاجة ؟

وعندما يقف قطار الركاب على المحطة ، ويخرج خميس أفندي من حجرة « النظارة » متبخراً كالأسد المهيب ، يرى خلفه محمد أفندي يسير منكشفاً في بعضه كالقط المضروب ، يدعك يديه ببعضهما ، وينظر إلى الناظر بابتسامة ذليلة ، ولسان حاله يقول :
— أنا في الخدمة دائماً يا أفندي .

وشاعت في البلدة أن خميس أفندي زوجة سودانية آتية في الملاحة ، لم تتخط بعد عامها السابع عشر ، لها رشافة ودلال نساء المدينة الخليليات ؛ فأرغف محمد أفندي المتر سمعه لهذه الأخبار المشوثة اللطيفة ، فكان يجلس على كرسية جلسة استرخاء ، ويضع رجلا على رجل ، ويبدأ يسأل الناس عن هذه الحسنة ، وهو يلعب حاجبيه ويغمز بعينيه ؛ وعيناه النصف مفتوحتين تقيمان في نشوة الأحلام . وإذا عاد إلى دار البريد ، وأخذ يقوم بعمله الميكانيكي يفرز الرسائل

والمرود ، انحنى على غلامه يسأله بصوت منخفض قائلاً :

— أرايت يا ولد زوجة نافل المحطة ؟

فجيبه الولد ببلاهة ريفية :

— لا والله يا أفندى .

فينظر إليه محمد أفندى نظرة احتقار وغيظ ويتعمق قائلاً :

— وماذا تعمل إذن في هذه البلدة يا أھبل يا مغفل ؟

وعلم أخيراً « محمد أفندى » أن السودانية الحسناء تخرج من منزلها في الأسبوع مرة لتزور زوجة العمدة ، وهى تتخرق دائماً الطريق الصغير ، فتعد دائماً أمام دكان « عم ربيع » فى الذهب والاياب ، فشده محمد أفندى ركابه إلى الدكان ، واتخذة ملاحظاً يمشى فيه الوقت من العصر حتى صلاة المشاء ، تمنياً النفس بمشاهدة مليحته . وقد رأى أنه من العار عليه أن يتصد هذا المكان وهو بهيئته البشعة ، فعزم على أن يحدد نفسه وملابسه ، وكانت ثورة كبيرة انتهت بأن استدعى الخلاق عنده ليحلق له لحيته ويهذب شعره ويعطره ، وطلب منه أن يأتى لزيارته كل يوم لنفس الغرض ، وأرسل بدلكه إلى عاصمة المركز لتفصل وتكوى له ، ثم اشترى « حقاً » من الوردنيش ، وأمر غلامه أن يمسح له خذاه يومياً . وكان يذهب إلى الدكان وهو يمشى متبخترأ ببذلاته الصفراء النظيفة والعار يفوح منه ، ثم يأمر عم ربيع أن يضع له كرسيًا أمام الباب ، يجلس عليه مترقباً « مرورها » .

وأخيراً مرت السودانية الحسناء أمامه فى ملائمتها التى كانت تحكم شدتها حول نفسها ، فظهر أعضاء جسمها بارزة مغرية ، وكانت تقفنى فى مشيتها بقوامها اللدن ، وتتلقت بيميناً وشمالاً ، تنثر الالبسامات لكل الجهات ، فسحر بمرآها محمد أفندى ، وأصابه نوع من الاضطراب والجلب شل حركته وألجم لسانه ، وكم حازل غير مرة أن يرد على ابتسامتها بابتسامة « خيرة متواضعة » ، فيجد من عضلات وجهه تحاذلا غنجلا . وكانت أمنيته الوحيدة فى الحياة أن يأتى بحركة أو إشارة تفهم منها الغانية أنه معجب ببجالتها وهائمه فى حبها ، ولكنه - لفرط غيظه - كان يشمر - عند مرورها - بتصلب تام فى أنحاء جسمه ، فكأنه تمثال من حجر ، وإذا مرت واختفى طيفها الجميل فى الطريق ، يعود إليه إحساسه ، ونطاوعه عضلات وجهه ، فيصرخ من أعماق قلبه منادياً عم ربيع ، ويمسك بيديه يهزها بعنف وغضب وهو يقول له :

— لماذا خلقنى الله بهذا الطبع ؟ أنا مصيبة من مصائب الزمن .

فينظر إليه عم ربيع مشدوها ، لا يفهم لكلامه معنى ؛ وإذا ما انتهت العاصفة وطاد محمد أفندى بشره ، ينحنى على محدته قائلاً :

— ما رأيك يا عم ربيع فى السودانيات ؟

فتطلب الحبة عم ربيع وتبرق عيناه ويقول مدارياً ارتباً كـ :

— أنا رجل في حالي يا محمد أفندي ، إصل معروف اتركني وشأني .

فيمسكه محمد أفندي من جلبابه ويشده منه ويقول — وقد اكتسى وجهه بشوة هادئة — :
إنهم يقولون إن السودانيات لمن طراوة عجيبة ياعم ربيع ، أجسامهن لينة كالعجين ،
إذا وضعت أصبعك — مثلاً — على ذراع إحداهن ساخ كأنه في ملبن ؛ ومن الغريب أن لهن
حيوية عجيبة في الحب لا تجدوها في النوع الأبيض ، حيوية هائلة تشعر بلهيبها يدب في جسمك
من أقل لمسة تلمسها لهن . . . آه ياعم ربيع على قبة واحدة منهن ! إن طعمها يبنى عالماً في
فك مدى الحياة . فيسقط عم ربيع من طوله ويقعد القرفصاء ، أمام محمد أفندي ، يلتهم بلذة
عظيمة أوصافه الخلابة . . .

— ٣ —

وأخيراً فنع محمد أفندي بالنظر إلى محبوبته — من بعيد لبعيد — وورضى بالغيل دون الحقيقة ،
وبالأحلام دون اليقظة ، وانقلبت حياته رأساً على عقب ؛ فاختفى محمد أفندي الكسوف القدر
الهيئة ، المشاغب الذي لا يجد في العيش إلا السآمة والتعب ، وحل محله محمد أفندي النشيط
الأنيق الوديع ، الذي ينظر إلى الدنيا نظرة الحب والابتهاج ؛ فرضى عن غلامه كل الرضا ،
وخس خليلته بكامل عطفه ، وأغدق عليها المال والهدايا ؛ وكان إذا ما اختلى بها دنامها — وهو
مغمض العينين — وقال لها بصوت فيه نشوة الأحلام :

— قبليني يا حبيبتي ! قبليني في في قبة طويلة جداً . . . ويتلعم القبة ، ويطلب المزيد
منها ، متخيلاً نفسه أمام سودانيتها الحسناء تغمره بالقبل الحارة الطويلة ؛ وكان يذهب إلى
القهوة ، لا ليقراً الجرائد ، ولا ليتفرج على المارين ، بل لينظر تائها في الغبار ، يتخيله سحياً
رفيقة تسير في الفضاء ، تسبح فيها حسناؤه برشاقة وإغراء ؛ وقد كثرت تزهاته الخلوية وسط
الغيظان وجلساته الثائرة بجوار الغدران ، يناجي نفسه بالمواديل الغرامية يغنيها بصوت ضعيف
وهو يتهد ويتملى وينظر إلى السماء ؛ وكان يستنشق النسيم بقوة وهو فاتح ذراعيه على آخرها ،
كأنه يريد أن يعلأ رثييه بكل ما في الغيظ من هواء ، وإذا عاد إلى بيته مساء جلس على حافة
النافذة يسامر النجوم والقمر ، ويصوغ لنفسه — بلدة عميقة — حوادث غرامية مع حبيبته ، متخيلاً
يأها في أحضانه يهصر عودها الرخم بذراعيه ، ويرشف من ثغرها الرطب خلاوة الحياة .
وذهب مرة إلى القهوة ونادى صاحبها ، ثم مال عليه في استرخاء وقال :

— عندك فونوغراف يامانولى ؟

— عندى ياييه ! ولكنه مكسور .

— أرسله للتصليح ، وأنا المكاف بعصاريه .

وبعد أيام دار الفونوغراف ، وغنى لمحمد أفندى « أصل الغرام نظرة » ، فشر محمد أفندى بطرب لم يشمر به طول حياته ، وأحس كأن قوة هادئة لذيذة تتمشى في أعصابه فتخدرها رويداً رويداً ، وانهاى على شاربه ينتقه ، وهو في نشوة الطرب ؛ وأما الدور عدة مرات ، وكان يشارك الفونوغراف في الغناء ، وهو يصرخ متأوهاً بأهات طويلة عميقة ، بعد كل وقعة في الدور ، ويحبط يديه على المائدة أو يعض أنامله دون أن يشعر بالآلم .

وقد دعاه ناظر المحطة عدة مرات ليتناول الطعام عنده في البيت ، فكان يذهب إلى المكان تام الزينة كأنه عريس في ليلة دخلته ، ويجلس مرهف السمع لأقل حركة تصدر عن الدور الأعلى ، حيث توجد الزوجة ، فإذا سمع صوت أقدام تروح وتجيء ، خيل إليه أنه يسمع موسيقى تهبط عليه من السماء هذا بينما ناظر المحطة يروى له حياته ، وكيف قضاه بين قطارات الاكبريس والركاب : حياة همة ونشاط ، منعمة بجلال الحوادث العظام ، فكان محمد أفندى يجيبه بين فترة وأخرى وهو غارق في أحلامه ومناجاته قائلاً :

— قطارات الاكبريس والركاب ؟ ! الله يكون في عونك يا شيخ !

وفي هذه اللحظة يتخيل أنه سمع خشخشة أساور ، فيفتش طرباً لخلوة نعاتها ، ويود إلى خياله فيتصور أذرعاً عارية جميلة ذات بشرة ملساء شهية تعاقه عناقاً طويلاً .

— ٤ —

وهكذا أمضى محمد أفندى العتر ثلاثة أشهر من حياته ، لم يشعر في أنثائها إلا بكل ما هو دهمي وجميل في الحياة ... أحلام لذيذة وتخيلات عذبة كان يظنها ستدوم له إلى الأبد ؛ ولكن ما كان أشد حيرته عندما علم أن خميس أفندى ناظر المحطة سينقل إلى محطة أخرى أكبر شأنًا من محطة الكوامل ، وأنه سيترك البلدة إلى ممر وظيفته الجديدة بعد أيام قلائل .

وحل يوم الوداع ، فأخذ محمد أفندى يساعد الخدم في نقل العفش من المنزل إلى المحطة ، ولعظم بلاؤه علم سرًا أن زوجة الناظر قد سبقت زوجها في قطار الصباح لتعد له المنزل وقت وصوله . وكان محمد أفندى يسير مطرقاً حزينا على رصيف المحطة يقرض أظافر يديه ، ويركل بقدمه زكائب الحاصيل وعفش الفلاحين ، وهو يسب نفسه والناس على السواء .

ولما حل الميماد وسمع دوى القطار ، خرج خميس أفندى من حجرة النظارة في جمع من الموفين والاعيان جاؤا للاحتفال بتوديعه ؛ وكان يسير بثودة ووقار ، يبرز نفسه إلى الأمام وإلى الخلف كالجل ، ويبرم شاربه النزير برماً هادئاً ، فلما رآه محمد أفندى هرع إليه وأمسك يديه وهو يشق باكيًا ، فنظر إليه الناظر في شفقة وشكره ، وقد أخذه العجب من إخلاصه ، بهز يديه ولاطفه على ظهره ملاطفة أبوية .

وطاد محمد أفندي العتر إلى بيته ، وقد لبست البلدة أمام عيفيه حلة سوداء بشعة ، وكان يحس في قلبه شيء نائر يماثل الحية يلدغه باستمرار لدغات لا يستطيع احتياها ، تدفعه إلى الصراخ والمشاخنة والضرب ، وانهاال على غلامه وخليته يكيل لها اللسكات والرفسات على كل لون .

وذهب إلى قهوة «مانولى» ، ولكنه لم يكند يستقر به المقام حتى ضرب المائدة بيده وحطم فنجان القهوة ، مدعياً أن البن من النوع الرديء ، وقام من فوره قاصداً أسواق البلدة . وكان اليوم يوم الأربعاء . فأخذ يتعمش مع البائعين ، ويثير غضبهم بكلماته الجارحة ، ولم يهدأ حتى اشتبك مع أحدهم فى مشاجرة عنيفة خرج منها مبطوحاً ممزق الثياب .

ومرت الأيام فهدأت سورة محمد أفندي ، وطاد إلى سابق حياته ، فأهمل حلالة لحيته إلا يوم الجمعة من كل أسبوع ، وخرج كل يوم إلى قهوة «مانولى» بهيشته البشعة عارى الرأس يضع على كتفيه — ياهاال — جاكته الصفراء القذرة ، ويجر فى قدميه شبه البالي ، وأخذ يحضر من جديد صلاة الجمعة — بعد أن أهمل حضورها ثلاثة أشهر كاملة — ليتخرج على الفلاحين وهم ينتسلون فى الميضة ، ويتفكه بحديثهم الساذج معه . . .

وعندما كان يحظر على باله بعض ذكريات من أيام غرامه العذرى ، كان يشهد بحرارة وهو نائل إلى السماء بعيون دامعة ، ويناجى نفسه قائلاً :

— ايه يا محمد . . . حلم وانقضى . . .

محمد تيمور



واجبك!.. هل أدبته؟

انك ستؤدب بهد ريب

أيها الشباب المثقف!

إن مجلة « المعرفة » سبيلكم إلى الثقافة الصحيحة ، وهى المجلة المصرية التى يضطلع بأعبائها الشاقة أحد مواطنيكم ، فليكن تمضيديكم إيائه مشجعاً له ولنيره . . . على إحياء القومية المصرية

هذا واجبكم فأدوه

من رومة الى مكة

لخفزة صاحبة السمو أميرة سرواك

السيرة غير النساء

تدبر السيدة « غير النساء » أميرة سرواك الانجليزية ، من أشهر ويلات الصالونات في باريس ولندن ، ولهذا كان لاختلافها الاسلام أثر كبير واسع المدى ، حتى ان صاحباً أمريكية أوفدت من مندوبيها من تحدث اليها مستقيماً عن تعليل ذلك ، كما ذهب البعض الآخر لتحدث مع الدكتور خاله شلدريك ، رئيس المسلمين في إنجلترا ، الذي اعتنقت الاميرة الاسلام على يديه . وقد أرادت هذه السيدة الكبيرة ألا تنكفي بما نشرته الصحف الاوربية والامريكية والاسيوية عن سبب اسلامها ، ورأت أن تنشر كتاباً في ذلك عنوانه « من رومة الى مكة » (From Rome to Mekke) بالانجليزية والفرنسية . وهي تخص « مجلة المعرفة » بتعريب مقتطفات قبل أن ينشر منه شيء في أوروبا .

يبين لنا التاريخ أن المدينيات نشأت وتطورت وتتمتت تبعاً لنسب ثابت معلوم ، ولأسباب دائمة التشابه ؛ ومع ذلك فإن الذكاء الإنساني لا يتنير على هذا النحو ، وكذلك فإنه لما كانت خطوات التقدم التي تحصل في الميدان المادي لا تقف ولا تضيق ، إذاً فإنه لأسباب انحطاط الأمم وزوالها أصلاً خلقياً وروحياً .

وإن الانحلال الذي يطأ على المثل الأعلى لشعب ما ، هذا المثل الأعلى الذي كان سبباً لعظمته ، ثم إهمال الفضائل الأصلية للجنس ، يستدعيان ويقويان عوامل الانحلال والفناء التي لا تلبث أن تقتصر .

وعندما أخذت امبراطورية رومة في السقوط تحت تدافع الجرمان ، وتأثير الاضطرابات الداخلية ، لم يشعر الناس الذين عاشوا في هذا العصر بانحلال الامبراطورية ، ولم يقتربوا إلى العلامات التي كانت تنبئ حين تداعيتها وسقوطها بنشأة عصر جديد ، ومع ذلك اقتض ذلك البناء الشامخ ولم يبق منه إلا صور ، وقد حل الانحلال بالسلطان محل النضال ، وزالت العناصر الروحية التي عملت على مجد رومة وازدهارها ، ولم تعد المبادئ العظيمة : مبادئ الشرف والامانة والتضحية ، إلا كلمات جوفاء ؛ وتداعت الفضائل الخلقية والدينية ، وقام مكانها الفساد ، وهوت الامبراطورية وفقاً لأمر التطور الذي لا يقبل الرد .

وفي حالة المجتمع الحاضر شبه يستدعي القلق بعربة الانحلال في المجتمعات الغائرة ،

ويبدو في هذا التشابه اجتماع لعلامات تنذر بالفاجعة ، ويسود القلق والحيرة في كل مرافق العالم ، سواء في ميدان الأخلاق ، أم في الميدان الاجتماعي ، أو في مجال الاقتصاد ؛ والعالم يحس - في حيرة واضطراب - الخطر الذي يحل به ويتهدده ، ويذيع في قلوب الذين سيكونون أول الضحايا خلاة مرعباً ، وذلك لأنهم ألا كثر ذنباً وإجراماً .

والواقع أن خطأ عصرنا ونقصه يرجعان إلى إغفال الترائع والقوانين التي تسيطر على الناس والجماعات ، أي هجر المعارف الحقيقية والعلم الإلهي ، والاستماعة عنها بشبه معرفة وعلم جد إنساني ، والاعتقاد - في سفة كبير - في ذلك اليوم .

وقد اعتبر الناس أخطاهم تقدماً ونجاحاً وارتكبوا إثمًا كبيراً ، إذ استبدلوا بالله تعالى العقل الانساني الذي هو من خلق الله ، وحسبوا أنهم أهل لأن يكونوا أكفاه لله أو أشباهاً له ، وظنوا أن النجاح المادي جذر بأن يقوم مقام السمو الروحي ؛ وزعموا إذ استطاعوا الانتفاع بالقوى الطبيعية أنهم يسخرونها ، وأخذهم الغرور بملومهم فظنوا أنهم أرباب الخلق ، مع أنهم لم يستطيعوا أن يقيموا على تلك الأسس العلمية شيئاً له دوام . إن المجتمع الذي يحرم نفسه من قيادة روحية ، ليقترح ما زق لا يخرج له منها ، وإن الانسانية التي تؤمن بالنجاح والتقدم القائم على قواعد إنسانية إنما تدفع بنفسها إلى العدم .

والناس بلاقون جزاء أخطائهم في مجرى الحوادث ، وإن الظروف العنيفة التي يجتازها العالم ، وإن كانت الأوهام التي أقام عليها الناس آمالهم ، وطيبة المبادئ التي كانت ترجى السعادة منها ، وعقم العلم والنظام الآلي وما فيها من غرور ، كل هذا يعمل على خلق اضطراب وفوضى ، يظهر أن الوسائل المادية عاجزة عن إيقافها ؛ وإذا أطلق الناس العنان لغرائزهم ، فقد ابتعدوا شيئاً فشيئاً عن القوانين الخلقية ، واعتبروها عقبات في سبيل ما يسمونه تحريراً أو خلاصاً . والله نفسه - في نضرة هولاء - عقبة أيضاً ؛ وقد تولت نفوسهم ومشاعرهم عن الله تعالى - هذا الرب القاضى الذي أفلقهم ! - وتولوا عنه باسم العقل والعلم ، وذهب خصوم الدين إلى تنفي وجود الله تقياً كلياً ؛ وإن الكنيسة نفسها لمسئولة ، بسبب موقفها ، عن إبعاد الناس عن الله ؛ وجعله في منأى عنهم ، وذلك لغموض أصولها وتعاليمها .

وإن الذين « يملكون » يصرخون صرخة الغزع ، ولكن الناس لا يصغون إليهم ، كما لم يصغوا - من قبل - إلى صرخات الأنبياء من بني إسرائيل ، وهم يتابعون خطاهم وسرعين نحو الهاوية صمّاً عن الانذار والتنبيه !

ومع هذا لم يضع كل شيء ، وما يزال في الامكان رد فعل ، ويكفي بدلاً من خضوع الناس لغرائزهم ، وإلى غرورهم وتهاقهم ، أن يهجروا تصوراتهم المادية والأنيائية ، إذ هي مصدر كل شرورهم وآفاتهم ، وأن يستردوا الشعور بمثل أعلى .

ربكفى أن يفهموا المعنى الصحيح للحياة - ذلك المعنى الذى خسروه - وعليهم بدلاً من أن يصنعوا مثلهم الأعلى فى المادة ، أن يذكروا أن لهم روحاً ، وأن هذه الروح متصلة بالله تعالى ، وأنه ليس فى الامكان أن يوجد أمر حقيقى أو جميل أو ثابت أو دائم ، إلا إذا قام بمدد الله وعنايته .

ربما يول الكثيرون الذين احتفظت قوسهم بمعنى مثل أعلى ، أن يقاوموا هذا الانحلال ، وهم يبعثون فى ماحولهم عن صيغة الدواء الذى ينقذ العالم ، ونحن نشاهد فرقا متعددة وملوثات شتى تبدأ كثرية العدد متأثر بعضها بالانجيل والعهد القديم ، والبعض الآخر بمذاهب الهند . ويعود البعض الآخر إلى مذاهب الفلاسفة القدماء ، ويدعو إلى حياة الفطرة والبساطة . ولكل هذه المحاولات مبدأ مشترك ؛ إذ هى رد فعل يرمى إلى الخروج من المأزق الذى زج فيه المجتمع الحاضر ، وبين عدد هذه الطوائف أن الاعتقاد فى الروح ليس مذهبا ميتا ، وبين إلى ذلك - أنهم يتمكنون فى يأسهم بأى مذهب يستطيع أن يقدم إليهم شيئا من تلك العناصر العليا ، التى يحسرون محس الحاجة إليها ، التى يبحثون عنها بجشع كبير . ويبدو للكثيرين أن الحياة عديمة القيمة . وذلك لأنهم فى حيرة تامة .

إس : من ذا الذى يرشدكم إلى الطريق ؟ وأين يستطيعون أن يجدوا ذلك الهدى الذى يقدم ؟
إن كنيسة رومة لا تقدر على أن تؤدى بالناس إلى ما ينشدون من هدى ونور ، وأن ترشدكم إلى ما فى حاجة إليه لتجانتهم مما يمانون من أزمة .

وإنما يقدر على معجزة الاقتاذ دين خالص قوى ؛ وإنى لأذهب إلى القول بأنه لا بد لارجاع الناس إلى تصور سليم للحياة من ديانة كاملة ذات قواعد ؛ إذ لا يستطيع أن يفهم بهذا مذهب من المذاهب مما كان حظه من الاحكام .

ولكن هل من ديانة هى من الوضوح بحيث يقدر الجميع على فهمها ، ومن موافقة العقل والتوسع بحيث تستطيع أن تكون دليلا مرشدا دون أن تكون عقبة ؟

بلى ! إن الأبحاث التى أفرغت نفسى لها ، لكى أقضى على شكوكى وحيرتى ، لنسج لى أن أجزم بذلك ، وأن أؤكد أنه لا يوجد إلا دين واحد يقوم تمام القيام بحاجات المجتمع الحاضر ، وينهض بكل الشرائط اللازمة لكى تستسيف النفوس العصرية - هذا الدين هو الإسلام . هذا حل غير منتظر بلا شك ! لا سيما إذا اعتبرنا الأوهام السابقة التى تحيط فى أذهان الأوربيين ، بديانة النبى ، ولكنه حل مشرق تهقلناه وفهمنا مغزاه بروح القرآن .

إن القرآن قابل للتطبيق عند كل جفس ، دون أن يكف عن كونه أمى تمييز عن الحقيقة من وجهات النظر الثلاث ، أى من حيث : المعرفة ، والأخلاق ، والعمران ؛ ومن أجل هذا فهو على بصيرة لكل الناس .

ولكن الناس وهم يتخبطون في حال عصبية من الحيرة باحثين عن طريق يتبعونه ، مع أن السبيل الأوحى للهدى هو في العودة إلى اتباع الشرائع الإلهية... يتساءلون لماذا يبقى الاسلام في منأى عن متناول الباحثين، في حين أنه يستطيع أن يكون في سبيل النجاة ؟ والواقع أنه لا يوجد الآن مذهب سواه ينطق عن الحقيقة الأولى، ويقدر على أن يضعها في متناول الجميع. وإن الاسلام يشتمل في الحقيقة على كل الوسائل اللازمة للوصول إلى المعارف العليا، وإلى الحكمة دون خوف من الاصطدام بحدود أو عقبات .

حقاً إننا نجد القرآن طابع الدين الوحيد ، الذي أنزل للناس منذ القدم، هذا الدين الذي قامت عليه كل الأديان، وهو الدين الوحيد الذي لا يقبل التغيير، والذي بقي نفسه دون كل التحويرات التي شاء الناس - كبرياء أو جهلاً - أن يحدثوها فيه ، ذلك لأنه هو الحقيقة ، ومن الجبال أن يوجد أكثر من حقيقة واحدة ، وهذا من الأوائل الضرورية للعقل .

وإني لأقول لهؤلاء الذين يقاسون ألم الحيرة النفسية - هؤلاء الذين يصدمون عن سبيل الله ضحوض في ما تسمح لهم الكنائس بالوقوف عليه ، دون أن يكون لهم الحق في تجاوزه ، هؤلاء الذين يصدم وجدانهم المذهب تقاني يشاهدونه لدى معلى الأرواح، هؤلاء الذين يبحثون في يأس واستئانة عن قاعدة وغاية في كل المذاهب المختلفة - أقول لهؤلاء : خذوا القرآن وتأملوا ، وانسوا ما سبق لكم وراثته من أوهام وأحكام دون نظر شخصي سليم ، وافهموا المعنى الحقيقي للمذهب النبوي ، واخلعوا عنه رداءه الجاز والقصاحة الشعرية التي تقتضيها معجزة البلاغة العربية ، وتفكروا في ذاته دون أن تصلوا به مناظر أجنبية أو صوراً غريبة ؛ إذا سوف تجدون فيه كل ما أوحى به الله عز وجل قبل وحيه لآخر رسله وخاتم أنبيائه . أي سوف تجدون فيه أروع التعبيرات عن الحقيقة، سوف تجدون فيه - دون أسرار ولا غموض - المذهب الذي يجمع بين الشخص والمثل الأعلى، والذي يهديكم إلى حياة بسيطة مستقيمة وعلى حق . وإني لواقفة أن الاسلام هو ديانة المستقبل وأن الرسالة التي كلف بها النبي محمد لم تنته بعد .

بل لا تزال موجهة إلى العالمين .

وسوف يعود السلم إلى الناس عندما لا تفصل بعضهم عن بعض أقسامات سطحية ، وعندما يجتمعون على إيمان واحد في معرفة الله ومحبه ، لأن الله هو إله الجميع . هذه نتيجة لا يتغير إدراكها إلا عند وضع الحقيقة فوق كل المسائل المادية والأيانية ، أي بعزلها عن الصور التي أسبغها عليها هؤلاء الذين يستفيدون من إخفاء الحقيقة ، وكذلك بأن يبين للشعوب والأمم أنه يوجد فوق عداواتهم ومطامعهم إله واحد، شرائعه التي لا تتبدل واحدة للجميع .

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ألا تفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » ٢ : ٢٨٤ ما ترجمه عن المخطوط الأصلي : م . خ . [باريس]

المهاجرة

بقلم الاستاذ أحمد سليمان حزين

منى وأبين خلس الانسان :

اختلف جماعة الجغرافيين في تحديد موطن الانسان الأول وفي تعيين زمن خلقه ؛ فمنهم من يقول إن الانسان الأول هبط الأرض في جنوبي شرقي آسيا، ويستدلون على ذلك بوجود أقدم جمجمة إنسانية في تلك الجهات ؛ ويقولون إنه خلق في عصر الميوسين (العصر الجيولوجي الثالث) ؛ أو عصر البلايوسين (العصر الجيولوجي الرابع) ؛ ومنهم من ينسكرك ذلك ويدلى بأراء أخرى . وسواء أصبح هذا أم ذاك ، فالناصب أن الانسان الأول نشأ ودرج من جنس واحد ، من حيث لون البشرة ، وشكل الرأس ، ونوع الشعر إلى غير ذلك من الصفات ؛ ثم بدأ يدب على سطح الأرض بحثاراً الأودية والسهول ، منتقلاً من مكان إلى آخر ؛ وبذلك تكونت جماعات عديدة خضعت كل منها لتأثير بيئة مخالفة لبيئة الأخرى ؛ ومن هنا نشأ الاختلاف في الأجناس كنتيجة في الغالب للعوامل الجغرافية ؛ وقد بدأ هذا الخلاف في الظهور في أواخر العصر الجيولوجي الرابع ، أي في العصر الحجري الأول .

أنواع المهاجرة وأسبابها :

وإذا علم المهاجرة ترجع إلى عهد سحيق . ؛ إلا أن الانسان جبل على حب وطنه ، ولذلك كانت الهجرة الاختيارية قليلة الحدوث وقليلة الأثر ؛ ولا تكون إلا حيث توجد المرامي بجانب الأودية الزراعية الغنية بتغيراتها ، فيطمع الرعاة في نهب سكان الأودية القليلي الخبرة في الحروب . ويختلف مسير هؤلاء المهاجرين تبعاً لظروفهم ورغباتهم ؛ فبينما ترى البعض يرجع إلى موطنه الأول ، إذ بالبعض الآخر يفضل الإقامة في البيئة الجديدة حيث يتطبع بطباع السكان الأصليين ، يساهرون ويخترعونهم الامتراج السكى . ولقد كانت مدن الولايات الاغريقية القديمة بأسوارها الضخمة وأبراجها الحصينة ، عرضة للنهب والسلب عند ما تغير عليها القبائل التي تقطن سهوح الجبال ، أو عندما تهاجمها جماعات القرصان التي اتخذت الخلجان والمضايق سراكرها . والعوامل التي تدفع الانسان إلى مهاجرة وطنه كمنجرة ؛ فمنها عوامل قهرية ، كقلة الأمطار في المراعى ، فينتج عند ذلك جديها وموت الماشية ، فيضطر الرعاة إلى ترك أوطانهم التي نشأوا فيها ويصوبون أنظارهم نحو الجهات الزراعية ؛ وقد أثبت التاريخ أن غارات التتر والمون والغوط

على أوروبا كانت نتيجة مباشرة لقلة الأمطار بمرأى وسط آسيا .

وقد يكون للعوامل السياسية دخل في الهجرة ، كما حدث في التاريخ الإنجليزي في عهد الإصلاح الديني واضطهاد المذاهب المخالفة لمذهب الكنيسة الإنجليزية العليا ، أو كما حصل بعد الحرب العظمى للروس الذين هالهم الانقلاب الاجتماعي المخيف في وطنهم فنشقتوا في سائر دول أوروبا وأمريكا ، وكهجرة البوير بجنوب إفريقيا حينما كان يطاردون الرجل الأبيض حتى وصلوا إلى الترنسفال ، أو كهجرة اليابانيين في كوريا ثم منشوريا أخيراً . وتشجع فرنسا الهجرة إلى ولاية السار حتى تحوز أغلبية تعتمد عليها ضد ألمانيا .

وللعوامل الدينية أثر فعال في الهجرة ؛ فمثلاً قد أدى اضطهاد فريش للنبي صلى الله عليه وسلم إلى الهجرة النبوية إلى المدينة ، وكخروج اليهود من أرض القراعنة . وكثيراً ماهاجر الإنسان لكسب العيش أو ببساطة أخرى للاستعمار الاقتصادي ، كهجرة الاغريق والسوريين واليهود . ويدفع الاستعمار الأمم منذ القدم إلى الهجرة واستيطان الجهات المغلوبة على أرضها ، كهجرة العرب إلى سائر البلاد التي دانت لهم وخضعت لسلطانهم : وكهجرة الانجليز إلى أستراليا وأمريكا الشمالية ، ثم هجرة العنصر اللاتيني إلى أمريكا الجنوبية .

وللهجرات التدريجية التي تحصل في عشرات السنين أهمية كبرى ، إذ يترتب عليها نتائج كثيرة فنلاحظ عندما كثرت الهجرة في القرن التاسع عشر إلى أمريكا قل عدد سكان ألمانيا في الجهات الشرقية ، ونزح إلى تلك الجهات سكان جدد من السلاف بدلاً من الألمان المهاجرين لأمرريكا . ويسلك المهاجرون - في زحفهم - أسهل الطرق وأقصروا ، كأودية الأنهار والسهول ، ولكنه إذا كانت تلك الأودية مزدحمة بالسكان كانت مقاومتها للمهاجرين عظيمة ؛ أما الرماة فانهم لا يهاجرون إلا إلى البلاد المجاورة والتي لا تقوهم أى عقبة في طريقهم إليها ؛ وبذلك كانت الجبال والبحيرات والغابات والصحارى توقف تيار هؤلاء الغزاة لأنهم ينتقلون بأنعامهم . كذلك وقفت ذبابة (نسى) في وجه الهجرة والاستعمار في أواسط إفريقيا ، لأن هذه الذبابة تقتل الحيوانات الأليفة التي لا يمكن للمهاجر الاستغناء عنها ؛ كالإغنام والأبقار والحيل والجمال .

وتقف الجبال حجر عثرة في سبيل المهاجرين ، إلا إذا وجدت بها منافذ . ويذكر التاريخ أن الرومان قد اخترقوا جبال الألب واستعمروا بلاد الغال ، ومنها وصلوا إلى وسط أوروبا وألمانيا ؛ وعن طريق هذه الجبال تمكن نابليون بيجوشه من فتح إيطاليا . ومنى كانت سفوح الجبال تنحدر انحداراً تدريجياً ، فانها تساعد المهاجرين على اختراقها ؛ ولذلك نرى الدول العظيمة تنحدر في جمل حدودها الطبيعية بقدر الامكان ، وكذا نعرف ماطاته فرنسا في سبيل حدودها والتزاع المستمر بينها وبين ألمانيا على منطقتي الألزاس واللورين . وهناك مثلاً في التاريخ القديم بينان لنا أهمية الحدود الطبيعية ، فكل من الأمبراطورية

المصرية والرومانية جعلت لها حدوداً طبيعية حتى يتمكنها صد الغزوات، فامتلك المصريون سوريا وجعلوها حدهم الشرقى فلما نهضت الدولة واستقلت سوريا تمكن الغزاة من أن ينزلوا مصر أو اجأوا.

الخطر الأصفر :

وظهر في عالم الوجود في أواخر القرن الماضي ما يسمى بالخطر الأصفر ، أو ما يسميه الانجليز « قانون السياسة البيضاء White Policy »، وهي سياسة منع الأجناس الآسيوية من النزول في نارة استراليا ، ولاسيما في الجهات الشمالية الكثيرة الخصب والانتاج، والتي لما تستغل حتى الآن، نظراً لأن جوها لا يوافق الجنس الأبيض. ويشدد الانجليز في هذا المنع، لأنه لو سمح للصينيين واليابانيين بالمهجرة إلى هناك، لتدفقت سيولهم حتى يأتي يوم يسيطرون فيه على الحكومة وجميع المرافق بحكم الأغلبية؛ وقد حدثت الولايات المتحدة حذر أستراليا، فحرمت المهاجرة على المنصر الأصفر، وشددت الخنائق على من هاجروا منه من قديم الزمان، ولا تسمح للفرد منهم أن يسكن له عقار يطالب به، أو أن يكون له صوت في الانتخاب مهما طالت مدة إقامته، وذلك لأنها رأت أن هذا المنصر لا يمكن أن يندمج ويسير أمريكياً ويترك عاداته الشرقية؛ لدرجة أن الصينيين النازلين بأمريكا يحتفظون ببحث موتاهم حتى ترسل في آخر كل عام لتدفن في أرض أبناء السماء!! فضلاً عن أنه لو بقيت المهاجرة بلا قيد ولا شرط لكثير المهاجرون وبذلك ينحط مستوى المعيشة، خصوصاً إذا علمنا أن في استطاعة الصيني أن يعيش في اليوم بنصف شأن.

رئيسرل على المبررات بالاعراض الدينية :

١ — اختلاف الجنس والسحنة لسكان دليل على أنهم ليسوا من عنصر واحد، وعلى أن عنصرها منها دخيل والآخر أصيل . ولاتشبهل يمكننا مقارنة سكان مصر العليا بسكان السواحل والمناطق الشرقية حيث يكثر الاختلاط .

٢ — الأعمال والآثار والثقافة، وكلها على جانب كبير من الأهمية؛ فالثقافة الرومانية وأثرها الفعال والتي امتد نفوذها حتى القرن العشرين، أكبر دليل على ما بلغه الرومان من سلطة وجاه، بعد أن هاجروا من موطنهم وتدفقوا إلى مستعمراتهم .

٣ — يدل تبين العادات على تبين في الجنس، إذ كثيراً ما يحتفظ المهاجر بعاداته التي نشأ عليها في موطنه الأول، خصوصاً إذا كانت لديه اعتبارات دينية، كالمهاجرين من الصينيين والهنود واليهود.

٤ — كذلك يظهر أثر الهجرات في اللغات؛ يشهد بذلك تأثير اللغة العربية بالفارسية إبان الفتح الإسلامي، وأيضاً ما طرأ على اللهجات الأوربية الأولى من تغيير عندما انتشر نفوذ الرومان في أغلب أجزاء القارة الأوربية.

أحمد أحمد سليمان حزين
خريج المعلمين العليا

كلمة من عهد:

فرنسيـــــــــــــــــ وابونجــــــــــــــــان

المترجم الفرنسي الذي برافع عن الشرع
بقلم الأستاذ إيزاك موسى شحوش [حلب]

أريد اليوم أن أعرفك بشخصية فذة : هي من الشخصيات البارزة في الأدب الفرنسي الحديث ؛ وأريد قبل ذلك أن أعلمك بأنها أخذت بحال الشرق وسحره ؛ كما أخذت غيرها من أعلام الأدب في أوروبا ، فأوقفت نفسها ، بما أوتيت من بلاغة ويسان ، للدفاع عن الشرق والشرقيين !

• وبمز على كثيراً أن تكون بحاجة إلى من يعرفك بتلك العبقريّة الالامسة ، وقد أقامت في القطر المصري بضع سنوات ، وأقامت مثلها في القطر السوري الشقيق ، دراسة باحثة لتضع عنهما مؤلفات ، يخلدها الزمان في ما خلد من الآثار والتصانيف .

ويروفاك - كما يروفاي - أن نسمعها تتحدث عن الشرق ، والشرق العربي بصورة خاصة ، فتنتصت إلى ربيب « الحين » يشيد بذكر « النيل » ويتغنى بـ « بردى » ، فلا يبدى « النيل » ولا يمد ، ولا يلبي « برديه » ولا يحجب !

ويريدون بعد ذلك أن نقرهم على أن في البلادين صحافة وصحافة أدبية ، نكرم الأدب ، ونحتق بأعلامه !

• • •

« فرانسوا بونجان » !

عرفته للمرة الأولى ، يوم أصدر كتابه القيم عن « الأزهر » ، فأسرعت إلى المسكاتب أطلبه لأتمكن من قراءته ، قبل أن تطلع الصحافة المصرية بنقدها وتقريرها ، فأتممته وانتظرت ، ومن ثم أعدته بلهف وشوق ، وانتظرت ، وما لبثت أنتظرت حتى اليوم

وعرفته للمرة الثانية ، يوم فاجأ المؤرخين والمفكرين ، بمؤلفه الثمين عن « المنصور » ، وأخذت على نفسي مراقبة الصحف العربية في مصر وغير مصر ، لعل أعر في إحداها على كلمة تنصف السكاتب ، فرت الأيام ، ثم مرت الشهور ، و « المنصور » على ما هو عليه من قيمة أدبية وتاريخية ، لا يقوى على تحريك قلم من تلك الأفلام الكفيفة !

وعرفته للمرة الثالثة ، يوم استلفت الأنظار بكتابه عن « شيخ عبده المصري » فوثقت أن سينير هذا المؤلف حوله عاصفة من النقد ، تنجلي عن تخليد اسم مؤلفه ، ورفعه إلى

مصاف كتاب الدرجة الأولى في الأدب الفرنسي الحديث .

ولكن كتاب أرض الفراعنة ، لبثوا صامتين ، كأهرامات الجيزة أو أبي الهول !
ولكن أدباء العالم العربي ، وجوا ، وتخلصوا ، ... وتلاشوا

إلا أن مثل هذا الأثر الجليل ، لا تمر به صحافة فرنسا الأدبية ، دون أن تشغل حقلها بالتحدث عنه ، وعن واضعه أساييس وأساييس ، فلتعهد إلى تقادها بدرس « شيخ عبده المصري » ، ولتنشر عن هذه الأبحاث المقدمة الضافية ، ولتعلل القراء باطلاعهم على إحدى نقائس الأدب ، ولتسابق الكتاب إلى ميدان النقد ، وليبد كل منهم الرأي الذي يكوّن عنه عن هذه التحفة النادرة لنفسه وب نفسه ، فيسرى أنه لم يك الوحيده في ما يظهر من إعجاب ، ويعترف به من تقدير !

ولتجمع الأندية الأدبية في باريس وغيرها ، على أن « شيخ عبده المصري » مؤلف قيم بحق لحمة الأقلام على مصاف « السنين » أن يفخروا به وأن ينسجوا على منواله !
ولتتجاوب هذه الأصدا في جميع أنحاء فرنسا !

ولا تخفى أيام حتى تطلع علينا صحافة باريس الأدبية بنبا سطرته بأحرف بارزة ، وفي أولى صفحاتها : « شيخ عبده المصري » ينال جائزة « البعث » (Renaissance) ، وهي إحدى الجوائز الأدبية الكبرى ، التي تمنح كل عام لأفضل كتاب أدبي يوضع باللغة الفرنسية ، جائزة البعث !

ومصر ؟

وسوريا ؟

والعراق ؟

وفلسطين ؟

والبلاد العربية ؟

... صدقت فيها سورة الكهف !!!

الغرب يكرم نصير الشرق ! والشرق عنه في غفلة !

عجيبة نضيفها إلى « قائمة » العجائب ، التي تطول ونطول ، كل يوم ، وكل ساعة !
وليتجراً أحد بعد اليوم أن يزعم ، بأن في الشرق صحافة ، وأن في الشرق كتاباً ، وأن في الشرق قراء !

وليتجراً أحده على ذكر الجمليات الأدبية التي نسمع عنها في الشرق ، ولا نرى لها أثراً عند اللزوم !

لندع ذلك جانباً ، فقد يكون مما يزعم « فرنسوا بونجان » أن يصغرنا نعرض الناس على إنصافه وتقديره ، ونحن أحرص الناس على رضاه ؛ ولترهف أسماعنا إليه ، وهو يحدثنا عن الشرق ، وعن رسالته :

« الشرق في لحظة روحية ، لما تفتح أكمامها بعد ! فأملوه !

واسمعه يصرح برزائه وتفكيره :

« إني أعتقد أن للشرق رسالة سامية ، وأعتقد فوق ذلك أن رسالة الشرق خير الرسائل ، لأنها بالسعادة تبشر ، وبالروح تهتدي !

وسيؤدى الشرق رسالته ، يوم « تثبت » أجنحته ، وليس هذا العهد ببعيد !

وتكاد تحسبه ، وهو يتحدث عن هذه الرسالة ، رسولا ينثك عما ستمخض به الأيام بعد بضع سنوات ، فهو يحدد لك - على وجه التقريب - العهد الجديد ، الذي ستدخله البلاد العربية ، ويسر إليك بأسماء الذين اعتمدتهم العناية الإلهية ، ليقوموا بتأدية هذه الرسالة على أتم الوجود (وأكثرم من أدباء القاهرة) .

وأذكر أنني التقيت به مرة ، فتحدث إلى عن موقف حملة الأفلام في الشرق من تأليفه ، حديثاً مشبعاً بالحكمة والروية ، فهو لا يأخذ على أدباء العربية « جوردهم » نحوه . إذ يعتقد : « أن لهم من المسائل الهامة ما يشغلهم عن معالجة كتب توضع بلغة أجنبية ، ربما صعب عليهم الاطلاع عليها !

ولا أكتفك أنني لم أفهم حتى هذه الساعة ، ما أراد أن يقول بهذه الجملة . وقد يكون قالها « متعجلاً » ، وقد يكون قالها عن سلامة نية ، وصفاء قلب ، ولكنني أذكر أنه أردفها بقوله : - نحن لا نكتب لهذا الجيل . . . إنما نكتب للأجيال المقبلة !

إراك موسى شحوض

[حلب]



المعرفة في تونس

تطلب « المعرفة » في تونس من المكتبة العامة لسايبها ووكيلينا : السيد محمد الأمين والسيد طاهر ، بنهج الكتبية رقم ١٢ .
وتطلب أيضاً من مكتبة الاستقامة لصاحبها السيد محمد بن الحاج صالح النيزي .

بين الحقيقة والخيال

المزارعون العارفون بالصناعات كلها !!

من مقال للكاتب الانكليزي المشهور

وولفرد روبرتسون

وقلتا بك في العدد الماضي من «المعرفة» عند المزارع الروديسي وهو يعترف بأن الجحوش والجراحة . وفي هذا العدد نحدثك - كما وعدنا - عن المزارع ، كصياد ومهندس ورجل بوليس .

من عديد الحرف التي يجب على المزارع الروديسي أن يكون عارفاً بها ، حرفة الصيد ؛ ليس صيد السمك . . . ولا صيد الفئران ، ولكننا صيد الأسود والفهود التي تتجول برؤسها في الغابة ، غير المحدودة ، والتي تقوم بغزوات دورية على الماشية السارحة في المزرعة . وأنا مثلاً ، لم يكن جديداً علىّ - بعد إذ أعتدت عاماً أو عامين كزراع في هذه الأقاليم - أن يجسّء الى أحد الرئيسين الوطنيين في صبيحة أى يوم ، يخبرنى أن أسداً أو فهداً قد تناول أكلته من لحم البقر . . . كان خبر الغزوة يحمل إلى في الصباح الباكر . ولم ينص على فواتى من النوم نصف ساعة ، وبينما أكون جالساً أتناول الشاي ، قبل أن أخرج في جولة التفتيش حول المزرعة كلها . . .

فاذا مادعيت لمباشرة ماشية قتلها أحد الوحوش ، فانه يكون لزاماً على أن أؤجل سائر الأعمال الأخرى ، حتى نرى على رأى في قتلها . وما تكاد الدعوة تصلنى حتى أسرع فأخذ بندقية وبعضاً من الرصاصات ، وأقفز على دراجة ، وأجرب قطعاً الطرقات الضيقة المنعرجة من الغابة حتى أصل إلى المنطقة المقصودة ، حيث يكون الرئيس الوطني قد ترك أحد وكلائه ينتظر قدومى ، وأترك دراجتى عند هذه المنطقة ، وتحت إرشاد الوكيل الوطني أسرع خلال الأشجار إلى حيث الماشية الميته التي تتكون نصف ما كولة . . .

وقلنا وجدنا القاتل في مكان الجريمة . . . ذلك لأن أسود وفهود هذه الأقاليم من عادتها أن تسرع إلى مأوىها النهارية ، ما إن تظهر خيوط الفجر الأولى . وعلى كل حال ، فقد كنت أتدم في حذر ، والبندقية في يدى على استعداد، وذلك في حالة ما إذا كان القاتل في مكان مجاور . . . ويمكن أن تصل إليه مطلقات الرصاص .

والآن فهناذا والدليل الوطني قد وصلنا إلى حيث مكان الجنازة التي حدثت في الليلة الماضية ؛
ففي وسط دائرة من الأغصان المتكسرة والملطخة بالدماء ، وقد تانت الحشائش من تحت ،
وجدنا بقايا القتيل . . . أما القاتل فقد غادر المنطقة كلها . . .

وانجبهنا بأنظارنا إلى الأرض . عسانا نجد أثراً للقاتل تتبعه . . . ولكن من الصعب أن نجد
مثل هذا الأثر وسط حشائش نامية عالية . وأوراق أشجار متساقطة ؛ وأغصان متدلّية حتى
الأرض لتختلط بنا عليها . . . فلم نثر بعد التي والثنا إلا على أثر ضئيل ، هو بعض حشائش
مدلها عدو الأسد المصور . مما أثبت لنا أنه قد فر وانتهى الأمر . . . ولكننا اتبعنا هذا
الأثر الباهت مسافة ؛ وكنت قد عرفت بالتجربة أنه لم يعد هناك من أمل ؛ في هذه المرة
كافي المرات السابقة المشابهة ، في توجيه رصاصة إلى صدر هذا القاتل الأليم ؛ وكنت أعرف
أن باستطاعته أن يشعر بقدومنا ؛ قبل أن نحين لنا فرصة رؤيته ، فأبني حتى يقفز قفزة القطة
الصامتة إلى مخايء الغابة العميقة . ولقد ثبت هذا قطعاً بعد إذ تتبعنا الأثر أيضاً هذه المرة
بدون جدوى . ومن هنا فقد أعطيت الكلمة بالعودة والانصراف عن مطاردة القاتل .

ولو لم يكن من عادة تلك الحيوانات المفترسة أن ترجع إلى حيث تركت الفريسة في مساء
الليلة التي تلي الاقتراس ، لكان من أصعب الأمور على المزارع الروديسي أن يقتل الأسود
والفهود التي تتسلط على قطعانه ؛ ولكن هذه المادة تسهل عليه العمل كثيراً .

أما كيف ينتقم من القاتل . فإنه يكون بأحدى طرق ثلاث :

الأولى - وهذه في الليلة التي تعقب الحادث - بأن يجلس المزارع بيندقيته في بده ، على
شجرة قريبة من مكان الحادث ؛ ينتظر عودة هذا المجرم الزائفة في الاختفاء !!

الثانية - ينصب التراك لصيده .

الثالثة - بتسيج الجثة بالأستركنين .

فأما الطريقة الأولى فقلما تأتي بالنتيجة المطروبة ، نظراً لأن الرماية بالليل . مهما تكن مهارة
الرامي ؛ تكون متعبة وبغير جدوى . وخاصة لأن قاتل الماشية هو أكثر الحيوانات المنوحشة فطنة
وحذراً . وهو ما إن يشعر ، ولو شعوراً سطحياً بسيطاً بوجود الصياد ، حتى يقفز قفزاته الصامتة
وينادر المكان ؛ قبل أن يكون الصياد قد أحس اقترابه .

أما الطريقتان الأخريان ، فمفيدتان كثيراً عن الطريقة الأولى . والطريقة الأخيرة لم تكن
في الحق أميل إلى استعمالها ؛ وطبعاً فكل هواة الصيد لا يميلون إلى استعمال السم في صيد الوحوش ،
ولكنني كزراع روديسي أحمي ماشيتي ؛ كنت استعمل هذه الطريقة ؛ إذ أنها ضمن الطرق
الثلاث للقبض على القاتل . . . بل للاقتصاص منه حالا . . .

وصباح الليلة التالية ، يزور المزارع مكان الجريمة مرة أخرى ؛ ففي بعض الأحيان

كنت أجسد القاتل ميتاً في نفس المكان ؛ وفي بعض الأحيان لا يؤثر الدم التأثير المطلوب . ومن حيث الشباك المساحة فانه قد تخرج الوحش ولا تقتله في الحال . وهنا يأتي أخطر الأدوار في حياة المزارع . فانه يصبح من الواجب عليه أن يطارد الوحش بكل الطرق الممكنة ليقتله . وما عرفت في حياتي عملاً ألد من مطاردة وحش كاسر مجروح هائج في وقت معاً ، إلى داخل الأحرار المترامية ؛ ذلك أن الوحش يفتز الفرصة الأولى ؛ فيحتس بأي غطاء من غصون الأشجار المتدلية أو رافها ، وهو في الأعم الأغلب يبتني مخبئاً حتى يصير الصياد منه على مبعده يادوات ، ثم تدور المعركة الوحشية . وصيد الوحوش في الحلق يحتاج إلى أعصاب هادئة ، ومهارة في الرماية بسرعة ، وفي الاتجاه الصائب . وقد حدث لي أنا شخصياً أن صدت وحشاً اشتبك معي في قتال ، لم ينجني منه إلا فوهة البندقية .

بوليس منطوع

وفي تلك الأقاليم الشاسعة لا يمكن إلا أن يكون رجال البوليس النظامي فيها قليلين ، والمسافة بين درك كل واحد والآخر كبيرة أيضاً . ومن هنا فإن على المزارع الروديسي أن يأخذ على عاتقه من الأعباء الكثيرة ، ما هو ملئ في الممالك المتباعدة على حماة القانون الرسميين . وليس هذا أمر أخارقالعادة ؛ فالمزارع الروديسي في منطقته يسمع بالجريمة التي تقع فيها ويجوارها ؛ قبل أن يسمع بها رجال البوليس النظامي الذين هم على مبعده بعض من الأميال ؛ وهو إذا ذهب لاغضب بسرعة ، فانه يستطيع أن يقبض على الجاني ويسلمه للدرك ، قبل أن تساعد الظروف والحيل على النجاة ؛ وعدم الوقوع تحت طائلة القانون . والمزارع في قيامه بدور رجل البوليس المنطوع ، يماونه رجال القبيلة التي حدثت بها الجريمة .

وقليل من المزارعين يعنون بتقديم رؤوسهم ضحية ، في سبيل القبض على مرتكب بعض الجنح الصغيرة ، مثل القبض على الأهالي العارفين من دفع الضرائب ، وما شابه ذلك . ولكن في حالة ما يكون الذنب سرقة أو قتلًا ، فقليل هم الذين لا يقدمون رؤوسهم في سبيل القبض على الجاني المسمى ، وإرساله إلى أقرب نقطة بوليس تحت حراسة وطنيين مسلحين . وفي بعض الأحيان يتم القبض على المجرم بسهولة ؛ ذلك لأنه ينجو عن الالتفات إلى كل ناحية يمكن أن يتقدم منها من يقبض عليه . وفي أحيان أخرى فان عدم الاسراع ، أو الخطأ في التصرف السريع ، يمكن الجاني من الفرار .

وفي ما يلي أسرد لك حادثين وقعوا في مزرعتي بالذات ، لأبين لك كيف تكون الدعوة العجائية لتقيام بدور رجل البوليس المنطوع :

حدثت جريمة قتل في إحدى القرى الوطنية المجاورة ، فعلى الرغم من أنها حدثت قبل أن أعرفها بليدة فقط ، فان كل العمال الوطنيين علموا بها عن طريق جهازهم التلغرافي العجيب

« تلغراف الغابة » مباشرة؛ وبعد إذ أسدل الظلام سدوله جاء إلى منزلي أحد الرؤساء الوطنيين عندي ، وقال لي إن الجاني قد دخل في حدود القرية ، على أنه صانع أجبر غير ثابت مقر العسل ، وإنه عائد إلى منبته في الحدود الانكليزية البرتغالية ، وإنه قد طلب منحة : ماء وطعاماً . فاحتجزه الآخرون بحادثونه قليلاً في انتظار وصولي : هناك كان واجباً على أن أذهب إليهم فأقبض على الرجل ، فوضعت سلسماً في جيبي كنوع من الاحتياط ، وأسرعت إلى حيث كان الأهالي في انتظارى .

وجدت الجاني جالساً إلى إحدى التيران المتقدمة التي تدعى ما بين الأكواخ . فكان دخولي المفاجئ عليهم . وتجمهر الأهالي على ، مدعاة له إلى اليأس والاعتقاد بأن الفرار قد أصبح أمراً مستحيلاً . ودفعت الجرم أمامي إلى أحد غازن الأطعمة ، وأغلقت عليه الباب جيداً حيث يقضى الليل . ووضعت في خارج المخزن قوة مسلحة وطنية .

وفي اليوم التالي عملت الترتيبات اللازمة لتسليم الجرم إلى أقرب نقطة بوليس ، وهي على مبعده خمسة وعشرين ميلاً ؛ فأخذت اثنين من أشد رجال مزرعتي الوطنيين ، وجعلت منهما حارسين ، سلح أحدهما ببندقية قديمة ، وسلح الآخر برمحين . وقد طلبا إلى بالحاح أن يوثق الجرم جيداً قبل أن يخرج من المخزن ، معطين طلبهما بأنه قد يفر منهما في الطريق ؛ ولكنني طارستهما وأفهمتهما أنهما من ضحاة الجرم وعظم القوة ومثانة السلاح ، بحيث يكون في استطاعتها منع أية محاولة منه للهرب .

وبعد يومين أو ثلاثة قابلت رئيس البوليس النظامي لهذه المنطقة ، فأخبرني بوصول الجرم . وظهر أن الوطنيين لم يمسلا بأمرى ! فأنهما بعد أن أصبحا في مأمن من أن أراهما ، أوقفا الرجل وطلباً إليه أن يطيعهما طاعة عمياء ويسير كما يريدان . وأوقفا يديه إلى ظهره ، وأوقفا بوثاق ثقيل ، وعند ما وصلوا إلى الخفر كان الجرم في حال يرثى لها . فقد شددت يده إلى ظهره موقفتين ، ولف الحبل على جسده لئلا جملة يبدل خطواته بصعوبة كبير ، حتى كلف الرأى إليه بخاله تمثالاً مصرياً قديماً .

وحادثة أخرى فقد كانت هناك عدة سرقات تحدث في القرى الجاوردية ؛ وكان طعام وبلانيات وملاوات وغير ذلك من اللوازم المنزلية يسرق من أكواخ الأهالي . وحديث مرة أو مرتين ، أن رؤى اللصوص في الليل ، وهم يطيطون بمسروقاتهم ولكنهم ما ينون حتى يخفوا عن الأنظار ويختفوا بين الأدغال والأحراش .

نفي ذات يوم جاء إلى أحد المواطنين - الذين يشتغلون بتربية الماشية في مزرعتي - بخبر هام وسار في وقت معاً ، ذلك أنه في أثناء بحثه عن حيوان ضال بين سلسلة من التلال القائمة في إحدى زوايا المزرعة ، اكتشف مخبأ ، نعم المخبأ !! ، وهو كهف تبين عليه أمارات العمران .. فاعتقد على الفور أنه المخبأ الذي يختبئ فيه رجال عصاة اللصوص الذين روعوا الأمن في تلك الأيام . فخرجت مع هذا الوطني لأرى اكتشافه ، فكان المكان غير معمور في تلك اللحظة ، ولكن كان به كثير من العلامات التي تبين أنه مأهول من أمد طويل .

وعند غروب الشمس اقتربت من ذلك الكهف مرة أخرى ، يصحني اثنان من خيرة مواطني الأشداه . فكان المكان ما يزال خالياً ، فأخفينا أنفسنا ، قرب الكهف ، وبدأنا ننتظر عودة اللصوص الذين لديهم فرص كثيرة تسنح لهم ليجوسوا في الليل خلال المزارع والطرق كما يريدون . وقد لاحظت مدخل الكهف مظلماً معتماً ، اللهم إلا ما ينبئ عنه من ضوء نجوم السماء الأفريقية المتلألئة في أغلب الأيام .

وسمنا صوت حجر يتدحرج من أعلى التل ، وتبع ذلك صوت أغصان تفرق وتفصل عن بعضها البعض ، فاعتدلنا في مجلسنا وأنصتنا ثم كان صخب آخر ثم ظهر شبحان على فم الكهف وقد انمكنت بعض الأضواء القائمة على الحراب والبلط التي يحملان ، وكان معهما حبل وحلي ربط فيه كبش حي ، مأماً شاككياً في تلك اللحظة متألماً ، وكان الآخر يحمل حزمة من الغنائم المتنوعة .

وهنا أطلقت المصباح الخفي ، ودفعت البندقية إلى الأمام في وجهيهما ، وصرخت في الرذنين طالباً إليهما أن يرحبا عليهما . . . وقد كانت الملاحظات القليلة التالية خطيرة جداً ، فقد تناثرت الحزم . والحراف والحراب وباط القتال ، في كل الاتجاهات ، وهجمت علينا من فم الكهف ثرازم عديدة من اللصوص ، ومن ناحية المزرعة كثير من الوطنيين الراغبين القبض على من أزعجوا أمنهم ، وبطريقة غريبة وسط هذا الزحام استطاع اللص أن يفلتا مني ، ويهرعا خائفين في ظلام دامس بين الأدغال ، تشيعهما طلقات من بندقيتي لم نصيهما بحكم الظلام ، وإنما كان يسمع صوت احتكاكها بأوراق الشجر . وفشلنا في القبض على العصاة ، ولكن الأثر الذي أردنا ، تحقق بشكل واضح . فقد بطلت السرقات ؛ إذ اعتقد اللصوص أن حياتهم أصبحت مهددة بالخطر .

مرسرس ربنا !!

وعلاوة على كل تلك المهام العديدة التي ألفت بها الطبيعة على عائق المزارع الوديعة فهناك صناعات أخرى لا بد له أن يكون عارفاً وملماً بها ولو إلماماً بسيطاً ، من أجل ألا تتعطل

الأصمال في مزرعته ، مع أنها بعيدة كل البعد عن واجبات المزارع العادي في الممالك الزراعية المتقدمة . ففي الأفليم الذي تدور فيه كل الآلات الزراعية بواسطة الدوارين من الوشيين ، لا بد أن يكثر حدوث كسر في هذه الآلات ؛ وعلاوة على الحسارة التي تلحق بصاحب المزرعة من جراء ما سيدفعه في إصلاحها ، فإنه لا يستطیع أن يرسلها إلى أقرب حداد أخصائي ليعالج الكسر ، لأن ذلك معناه تعطيل العمل أسابيع ، علاوة على المصاريف الباهظة التي يطلبها . ففي حالة ما تنكسر سكين محراث ، وهي هناك عبارة عن قضيب من الحديد سمكه بوسنتان كاملتان ، فإن من الواجب على المزارع أن يصلحها بنفسه في الحال ، وفي (ورشته) الخاصة بالمزرعة . وليس مجهوداً بسيطاً ذلك الذي يبذله المزارع في هذه السبيل ، نظراً لبسادة الآلات التي يستخدمها في إصلاحها ؛ وهو في بعض الأحيان يضطر إلى صنع بعض الأجزاء من جديد ، من قطع قديمة يصادف أن تكون عنده .

وعلى المزارع أن يشرف بنفسه على صناعة الطوب في مزرعته ، وأن يكون ملماً بالعناصر التي يصنع منها ، ذلك لأن كل الطوب اللازم للمباني يعمل في داخل المزرعة ؛ وإذن فعليه أن يكون ضراباً كما عليه أن يكون بناءً كذلك . وأي وطني غير مدرب على البناء النظامي لا يستطيع أن يبنى أكثر من كوخه الخشن القذر المصنوع من الحشيش وشجيرات البرك . كما أن على المزارع أن يكون سباحاً ماهراً ، وسمكياً عارفاً بدق الغالطات وما يتبع ذلك . كل هذه واجبات يتعرض لها المزارع الروديسي في كل يوم . ولكنك قد تسأل : كيف يحصل المزارع على معلوماته في كل هذه المهن والصناعات ؟ والاجابة ميسورة في المثل القديم الذي يقول : إن « الحاجة أم الاختراع » ، فالمرء عندما يعيش بعيداً عن مساعدة كل الاختصاصيين في شتى الحرف والصناعات من حدادين وبنائين وماشاهم ، فإنه لا يلبث أن يتعلم كيف يقوم بعمل هذه الأشياء لنفسه ، ويحصل على المعلومات التي لا يهتدى إليها من المزارعين الآخرين الذين يجاورونه . وهو في بادئ الأمر يعمل غلطات كثيرة ولكنه بالمزاولة يأتي في النهاية بالنجاح .

وتسارع الأضواء في توافد البيت ما إن يصل إليه صاحبه ؛ وما إن يخط إلى الغير اندا حتى يسرع خادم المطبخ فيقدم له ما يذهب عنه غناء النهار كله « ويسكى غروب الشمس » . . . ١١
والآن فهامى ذى الأربع وعشرون ساعة التي للمزارع الروديسي قد وصفناها لك . . . ومثل هذا اليوم هو عنده يوم عادي يسير على نظام عادي . . . ولو أنه يوم ممل بالأشياء التي لا ينتظر حصولها للرجل العادي ؛ وهو يعلم أن الغد سوف يحمل إليه تشكيلة أخرى من الحوادث . تشكيلة تجعل حياة المزارع الروديسي الهادئة مستساغة بل تجعل فيها لذة أخرى وفيها متعة . . .

[عن : مجلة المجلات الانكليزية]

٥ - المعاني الأفلاطونية عند المعتزلة*

للاستاذ محمود الخضيرى

عضو بعثة الجامعة المصرية بباريس

عرف المسلمون أفلاطون منذ زمن مبكر ، وذلك بواسطة رجال الدين المسيحيين الذين كانت الفلسفة الدائمة بينهم هي المذهب الأفلاطونى الحديث . وكان تأثير هؤلاء الشيوخ المسيحيين فى الثقافة الإسلامية بالاتصال الشخصى والتعليم الشفوى ، ولاسيما فى دور الخلفاء والولاة حيث تولى كثير منهم مناصب مختلفة فى عهد الأمويين . وجاء بعد ذلك عصر الترجمة فنقل إلى العربية كثير من محاورات أفلاطون ورسائله ، وكذلك عدد لا بأس به من الكتب المنسوبة إليه . ثم إنهم عرفوه أيضاً بواسطة مؤلفات أرسطو التى تحتوى على شروح نقدية لأراء أفلاطون ؛ وساعدتم على فهم تلك الشروح كثير من التعليقات على أرسطو التى نقلت أيضاً إلى العربية ، وكان أكثر المعلقين من أنصار المذهب الأفلاطونى الحديث مثل سمبليسيوس Simplicius . ويجدر بنا أن نذكر من بين أصحاب التعليقات على أفلاطون من اليونان الذين نقلت مؤلفاتهم إلى العربية اسم ثيون Theon الأزمرى ، الذى اشتهر بين المسلمين بكتابه عن المعلومات الرياضية الضرورية لفهم أفلاطون .^(١)

ونحن نبدأ - فى الكلام عن العصور الأولى التى عرف فيها المسلمون مذهب أفلاطون - بالوثائق الوضعية التى وصلت إلينا .

يرد اسم أفلاطون فى أعمال الكندي (المتوفى سنة ٨٧٣ أو ٨٧٤ م) فى مناسبات عدة تدل على معرفة الفيلسوف العربى بأعمال أفلاطون . قال فى كتابه عن العقل والمقول De intellectu et intellecto ما ترجمه عن النص اللاتينى : « فهمت ما يطلب إلى من أن أكتب إليك مقالا موجزا عن العقل [والمقول] على مذهب أفلاطون وأرسطو »^(٢) وكذلك قال فى كتابه عن الحلم والرؤيا Liber de Somno et Visione وأمامنا فى الحقيقة

(٥) راجع « المرقعة » : أجزاء أغسطس وأكتوبر ونوفمبر ديسمبر سنة ١٩٣٣

(1) M. Steinschneider : Die arabischen Uebersetzungen aus dem Griechischen Zwölftes Beiheft zum Centralblatt für Bibliothekswesen, Leipzig 1893 , § 8 « 32 »

ونشير الى هذا المؤلف فيما بعد بقولنا . شتاينشneider : التراجم العربية من اليونانى 17 - 16 S .

(2) A. Wagy : Die philosophischen Abhandlungen des Ja'qûb ben Ishaq Al - Kindi

في Baumker : Beitræge zur Gesch . d . Philos . d . Mittelalters . Bd H ; H t V ,

ونشير الى هذا الكتاب بقولنا : تاجى ، رسائل الكندي . ص ١ ، Münster 1897 ;

مقاله أفلاطون العظيم فيلسوف الاغريق وما شرحه وحكاه فيلسوفهم الأشهر أرسطوطاليس في مقالاته الطبيعية^(١). وينسج الكندي في مايلي ذلك مع ذكره لاسم أفلاطون—رأياً جدياً أفلاطوني، وهذه خاتمة شرحه: « وإذن فالاحساسات والادراكات العقلية شيء واحد، إذ أنها من اختراعات النفس؛ وإذن فليس جميعاً موجودة في النفس؛ ومن أجل هذا قال أفلاطون إن النفس هي المحل لجميع المعارف الحسية والعقلية^(٢)؛ ثم إن الكندي يقول أيضاً في رسالته في الأسماء الخمسة^(٣) Liber de quineque في مقاله عن المكان ما ترجمته: « وآخرون قالوا ماهو المكان تبعاً لماقاله أفلاطون^(٤)».

وقد ذكر ابن النديم المتوفى سنة ٩٩٥ م كتاباً للكندي عنوانه رسالة في الابانة عن الأعداد التي ذكرها أفلاطون في كتاب السياسة^(٥)، كما ذكره أيضاً خمسة كتب عن سقراط^(٦). وعلى كل حال فإنه لم ينته القرن التاسع للميلاد حتى كانت اللغة العربية تشتمل على تراجم للجيموردية (= السياسة) والشرائع (= النواميس) والموفسطائي (= سفسطس) وملياجوس وقد عرفه الملمون خير معرفة^(٧). وكذلك عرفوا سائر المحاورات الأفلاطونية وبعض التعليقات عليها، وكثيراً من الأعمال المنسوبة إليه وهي ليست من تأليفه^(٨).

ونحن نعيد هنا ماسبق لنا تقريره من أثر التعليم الشفوي في تعريف المسلمين بالفكر الاغريقي. وإذن فليس من الحزم أن نقيس علم المسلمين بفلسفة اليونان وعلومهم بالتراجم العربية فقط، أو أن نؤرخ انصاهم بتلك الثقافة وفق تاريخ المترجمين الراسخين الذين عاشوا جميعاً في ظل الدولة العباسية؛ وذلك لأننا نرجح ترجيحاً قوياً أن كثيراً من الكتب اليونانية قد نقل إلى العربية في عصر الأمويين بفضل علماء مصريين. ويؤيد ذلك ما جاء في تاريخ الطبري (المتوفى سنة ٧٨٦ م) بمناسبة عام ٦٤ من الهجرة (= ٦٨٣ م) إذ قال مانصه:

١ - الكتاب المذكور: ص ١٨.

٢ - الكتاب المذكور ص ١٩ - ٢٠.

٣ - الترجمة الحرفية للعنوان اللاتيني هي « كتاب الفوائد الخمس » والكتاب اختارنا العنوان العربي على رواية ابن أبي عمير تراجم مقدمة الأستاذ ناجي في طبعته المذكورة لرسائل الكندي ص ٧٦ (بالترقيم الروماني).

٤ - ناجي: رسائل الكندي ص ٣٧. وقد أنصف الأستاذ ألبينو ناجي في مقدمته ص ٢٥ (من الترقيم الروماني) في هذه المناسبة (Timaues) (ملياجوس).

٥ - كتاب الفهرست: طبعة فليجل ص ٢٥٦ وانظر أيضاً: شتاينشneider، التراجم العربية من اليوناني،

الفقرة ٩ (٣٣) ص ١٨.

٦ - كتاب الفهرست: ص ٢٦٠.

٧ - انظر شتاينشneider، الكتاب المذكور ص ٢١.

٨ - راجع فيما يخص التراجم العربية لمحاورات أفلاطون كتاب اشتاينشneider المذكور ص ١٦ - ٢٩.

«من أولاد يزيد بن معاوية، خالد بن يزيد، ويكنى أبا هاشم، وكان يقال إنه أصاب عمل الكيمياء»^(١) وما يؤيد دعوانا بالأصل الاغريقي لكيمياء خالد بن يزيد ما كتبه ابن النديم: «كان خالد... يسمى حكيم آل مروان؛ وكان فاضلاً في نفسه وله همة ومحبة للعلوم، خُلف بباله الصنعة فأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعريضة، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والتبلي إلى العربي. وهذا أول نقل كان في الاسلام من لغة إلى أخرى»^(٢). وقد ترك خالد بن يزيد المتوفى (٨٥ - ٧٠٤ م) ثلاث رسائل تدل على اتصاله بالفكر الاغريقي^(٣). وقد ظلت هذه الأقوال موضع شك كبير حتى جاء الأستاذ يوليوس روسكا Rusk. لـ حجة المعاصرين في تاريخ العلوم عند المسلمين، فأيدها بما اكتشفه من نصوص وكذلك بأبحاثه العميقة^(٤).

وإذن فليس القرن التاسع للميلاد هو مبدأ عصر الترجمة، وإنما هو قمة تلك الفترة المزدهرة من تاريخ المسلمين حيث اجتهدوا فيها في طلب العلم باحثين عنه في كل مصادره، ولا سيما في الثقافة اليونانية. أي إن النتيجة التي أريد أن أتت بها هي أن المسلمين عرفوا الفلسفة في زمن سابق المترجمين الرسميين الذين عاشوا في ظل العباسيين وبقيت لنا آثارهم، وذلك عن طريقين: الأول طريق التعلم الشفوي، والثاني طريق الترجمة نفسها التي بدأت منذ أيام الأمويين، ولكن لم نصل إلينا وثائق وضعية عن هذه المحاولات. وهذا ما يفسر عنور ناغلي معاني فلسفية إغريقية وغير إغريقية عند شيوخ من المعتزلة عاشوا في القرن الثامن للميلاد. ومن المفيد أن نذكر في تلك المناسبة ما كتبه الشيرازي (المتوفى سنة ١٦٤٠ م) بعد أن شرح قول المعتزلة في أن المدوم شيء ثابت. (وهذا ما سندرسه بالتفصيل في ما بعد): «قال [ساحب الاشراف في كتاب المطارحات] وهؤلاء قوم نبغوا في ملة الاسلام ومالوا إلى الأمور العقلية، وما كانت لهم أفكار سليمة، ولا حصل لهم ما حصل للصوفية من الأمور الدوقية، ووقع بأيديهم مما نقله جماعة في عهد بني أمية من كتب قوم أساميهم تشبه أسامي الفلاسفة، فظن القوم أن كل اسم يوناني فهو فيلسوف، فوجدوا فيها كلمات استحسنتها وذهبوا إليها وفرعوها رغبة في الفلسفة وانتشرت في الأرض وهم فرجون بها»^(٥). وقد جرت العادة على أن لا يسمى المعتزلة «فلاسفة» أو «حكاه»، ويظهر أن السبب الذي منع المسلمين أن يطلقوا عليهم هذا اللقب هو أنهم لم يأخذوا بمجموع المعارف

١- تاريخ العبري ج ٧ ص ١٦ طبعة بولاق

٢- التهرست، طبعة قليج ص ٣٤٢

٣- بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ٦٧. Brockelmann, Gesch. D. arab. Litt.

٤- راجع لوصف تلك الابحاث مجلة Der Islam المجلد الثامن عشر (سنة ١٩٢٩) ص ١٧٦ -

١٨٨. والأستاذ روسكا نفسه في المجلد ع، ص ٢٩٣ - ٢٩٩

٥- ص ١٠٠ الدين الشيرازي: كتاب الاسفار الاربعية: مطبوع على الحجر في طهران سنة ١٢٨٢ هـ ص ١٧ في المذهب. وانتهز هذه الفرصة لاشكر الأستاذ الفاضل لويس ماسينيون تكملة بأشارتي هذا الكتاب الاثر

الفلسفة اليونان ؛ ونحن لا نعرف منهم من كان طبيبياً كسائر « الفلاسفة » الإسلاميين ، وكذلك فإن معرفتهم بالعلم اليوناني مقصورة على جانبه النظري ، وغير منفصلة عن علم ما بعد الطبيعة ؛ مثال ذلك أقوالهم في الجوهر والمكان والزمان والحركة . ومع ذلك فإن المسلمين لم يفعلوا ما بينهم وبين الفلسفة من صلات وثيقة ؛ ومثال ذلك أن أبا نواس الشاعر المشهور قال في معاصره النظام أياناً تدل على ذلك ، وتكشف لنا في الوقت نفسه عن عدم اطمئنان الشاعر إلى تشدد المعتزلة في قولهم بالعدل . قال أبو نواس :

فقل لمن يدعى في العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء
لا تحظر الغلو إن كنت اسرماً حرجاً فإن حظرك بالدين إزرأ^(١)

وكذلك قال الشهرستاني عند شرحه لمذهب وأصل بن عطاء في الصفات الإلهية ، وميله إلى نقيها : « وكانت هذه المقالة في بدئها غير نضيحة ، وكان وأصل بن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر ، وهو الاتفاق على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين ، ومن أثبت معنى وصفة قديمة فقد أثبت إلهين ، وإنما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلسفة »^(٢) . وكذلك نسب الأشعري مذهب المعتزلة في نفي الصفات إلى أصل فلسفي إذ قال : « وهذا قول أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة »^(٣) ، كما ذهب إلى أن أبا الهزبل العلاف تأثر في توحيد الذات الإلهية بالصفات بقول أرسطو^(٤) . ثم إن الشهرستاني يقرر أيضاً أن النظام قدم طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وأنه خلط كلامهم بكلام المعتزلة^(٥) . وقد اعتاد الشهرستاني على العموم أن يردف شرحه لمذاهب أهل الاعتزال بما مناه أنهم أخذوا مقالاتهم عن الفلاسفة أو يصرح على الإشارة إلى علاقة مذهبية بين الفلسفة والاعتزال . وكذلك قال الغنوي (المتوفى سنة ١٣١٠ م) إن المعتزلة « توغلوا في علم الكلام وتشبهوا بأذيال الفلاسفة في كثير من الأصول »^(٦) .

ويطول بنا المقام إذا أردنا الاكثار من شهادات المؤلفين الإسلاميين بالعلاقة بين الفلاسفة والمعتزلة ، فلنقتصر على ما أوردناه ، وسنشرح في المقال الآتي الأسباب التي تدعو هؤلاء إلى الميل نحو الفلسفة الأفلاطونية ؟

محمود الخضيرى

[بار]

(١) في قطعة من كتاب التهرست لم تنشر في طبعة فليجل ونشرها الأستاذ هوتسما Houtsma في مجلة قينا لمعرفة الشرق Genlandes Wiener Zeitschrift Für die Kunde des Mor الجلد الرابع قينا سنة ١٨٩٠ ص ٢٢٠ .

(٢) الملل والنحل ، طبعة خليفة ، ج ١ ص ٥٣ .

(٣) مقالات الإسلاميين ، ج ٢ ص ١٨٣ .

(٤) نفس الكتاب ، ج ٢ ص ١٨٥ .

(٥) الملل والنحل ، ج ١ ص ٦٠ - ٦١ .

(٦) المقائفة: طبعة استامبول ص ٨ .

مكتبة المعرفة

رسالة تاريخية

عن مستشفى الاسكندرية الأميرى

[وضعها الدكتور عبد الرحمن بك عمر فى ٨٤ صفحة: طبع مطبعة التعاون]
البحث فى المسائل التاريخية ، يتطلب دقة فى الاستقراء ، وتعمقاً فى دراسة النصوص ، واستيعاباً ظاهراً لمختلف ما يحتويه الوثائق والمؤلفات خاصاً بالمسألة التى نصب المؤرخ لها نفسه ؛ لذلك كانت مهمة المؤرخ المحقق من أشق المهام ، وأكثرها تعرضاً لأزلال والخطأ ، وبخاصة فى الموضوعات التى تعددت فيها الروايات ، واختلفت الأفاضل ؛ فإذا وفق المؤرخ إلى كشف الحقائق البعيدة عن الزيف والتمويه ، ارتفع بعمله ذلك إلى درجة تميز على من رامها من الآخذين بالقشور دون اللباب .

لذلك كان تقديرنا بالغ الشأن لهذه الرسالة القيمة الجليلة التى وضعها حضرة الطبيب الذائع الصيت الدكتور عبد الرحمن بك عمر مدير مستشفى الاسكندرية الأميرى سابقاً ومدير المستشفيات العامة بمصلحة الصحة حالاً ، متناولاً فيها ، بالدقة والتحليل والسر: تاريخ المستشفى وبنائه ، وموقعه ، وأبنيته ، ومديره ، ونهوضه من الوجهة الفنية ، ومشاهير رجاله وغير ذلك مما يتصل إلى المستشفى بسبب ، بأسطفاً إياه فى أسلوب رصين ، مؤيده بوثائق مدعمة ، وحجج لا تقبل جدلاً ولا شكاً ؛ ثم ففى ذلك كله بتوضيح ما تناوله بالرسوم ؛ فوضع صور مؤسسه ومديره والعاملين فى بنائه ، أو الذين لهم نصيب فيه ، ثم صور أبنيته ووزين ذلك كله بصورة حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ، الذى نهض فى عهده مستشفى الاسكندرية الأميرى ، نهضته الأخيرة .

وقد دل حضرة المؤلف الفاضل بعمله هذا ، على ما تتحلى به نفسه من فضائل ، أقربها إلينا فى هذه الرسالة التى بين أيدينا ، فضليتان هما : إخلاصه للعلم ، وإخلاصه للعاملين عليه . وحسبنا أن تقدم لآقراء فقرة صغيرة من التصدير الذى صدر به المؤلف الفاضل رسالته ؛ ليعرف القارىء مقدار ما بذل فى هذا البحث الجليل من جهود .

قال المؤلف بعد أن عدد جملة ما لاقاه من صعوبات فنية : « وفروق ذلك وجدت صعوبات جمة فى الحصول على المعلومات التاريخية عن المستشفى ، وقد رت أن من يأتى بمحدثينا الحاضر

ربما يهمه أن يعرف شيئاً عن حياته فلا يتيسر له ، فصممت على وضع هذه الرسالة بمناسبة مرور مائة عام على إنشائه ، وتوخيت أن أذكر فيها ما وصلت إليه من تاريخ بنائه ، ومصادقه من التدرج في رقيه ، من حيث مبانيه وإدارته وأعماله الفنية ، مع ذكر من وصلت إلينا أسماؤهم من رجاله السابقين ، واصفاً حالته الحاضرة بما كنت أتمنى أن أجده مسطوراً عن أدواره الأولى وكل ما أستطيع أن أدعيه أني أخلصت في رسالتي إلى التاريخ »

فنتنى على همة حضرة المؤلف الجليل الدكتور عبد الرحمن بك عمر ، ونفكر له هذا الصنيع الجليل الذي أسداه إلى العلم وإلى الوطن ؛ راجين أن تكون هذه البسكرة الموقفة ، فاتحة لسلسلة من بحوثه الجليلة . كما نتنى على القائمين بأمر مطبعة التعاون ، الذين لم يدخروا وسعاً في سبيل طبع الرسالة طبعاً جميلاً .

رسالة الناصر معروف

في الذب عن مجد التصوف

مؤلف هذه الرسالة الأستاذ الفاضل والعالم الجليل المعروف بتلقين الاسم الأعظم : سيدي الحاج أحمد بن مصطفى العلوي المستغاني ، شيخ علماء الجزائر .

والرسالة التي بين أيدينا بدور محورها حول الدفاع عن مذاهب الصوفية ، وتفنيد ماوجه إليهم من تهم وشبه ، وقد حاول المؤلف الفاضل - جهد الطاقة - أن يناقش آراء مخالفيه في أدب عال وخلق قويم ؛ كما أخذ بأيديهم - في رفق - إلى سبيل الحق وطريق الرشاد ، دون أن يزهي بما وفق إليه من حجج وبراهين أوردها لتأييد دعوى التصوف ؛ وقد كان موفقاً التوفيق كله ، في إيراد حججه التي استلها من أقوال أعلام الدين وأئمة وشيوخه ، المشتغلين بعلوم الشريعة دون الحقيقة ، فلم يعتمد على أقوال شيوخ التصوف ، ومؤلفي كتبه ، كالغزالي والشاذلي مثلاً ، وإنما أثبت ما يريد من دفاع عن المتصوفة ، من أقوال : التنفازي والأجهوري والبنوني ومحمد عبده وفريد وجدي والسيد رشيد رضا وغيرهم .

ثم فند أقوال ابن الجوزي التي أوردها في كتابه « تليس إبليس » ، وقال : « إن العلماء في ذلك الكتاب كثيراً من الأخذ والرد ؛ وفي الأخير اتضح عندهم أنه مما لا تنهض به الحجة ولا يصح به الاستدلال »

وقد تناولت الرسالة وجوهاً كثيرة من مختلف نواحي التصوف ؛ وانتهى فيها الأستاذ إلى وجوب الاعتقاد بأن التصوف لا ينبغي أن يختلف فيه المسلمون ، ما دام عبارة عن السير في مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين .

ومها يكن لنا من رأى ، قد يخالف فضيلة الأستاذ المؤلف في بعض جزئيات المسألة ،

فانا لا ننكر ما لرسائله الجليلة من قيمة وفضل في تبديد كثير من الشبهات .
نفع الله به الاسلام والمسلمين .

مجموعة المحاضرات

جماعة نشر الثقافة بالاسكندرية

كنا ، إلى عهد قريب ، سيئى الظن ببقاء الجماعات والنوادي التي تنشأ للأغراض العلمية أو الأدبية أو ما شاكل ذلك ؛ لأننا لاحظنا باستمرار أن أكثر هذه الجماعات تؤلف لخدمة أشخاص معينين ، أو لتحقيق مآرب ذاتية ، على حساب المصلحة العامة تارة ، والجمهور لئلاذج تارة أخرى .

ولهذا كنا نرى باستمرار أيضاً ، أن تلك الجماعات ، ما تلبث الواحدة منها ظهوراً حتى يكشف أمرها ، فتعود إلى الرمس الذي بعثت منه . وبقيننا أن كثيراً من هذه الجماعات سينقرض إن أجلاً أو عاجلاً ، بفضل نقطة المتقفين من شباب الأمة ، الذين يزدادون يوماً بعد يوم .
والآن وبين أيدينا مجموعة المحاضرات الأولى ، التي ألفت بمعهد الثقافة لجماعة نشر الثقافة بالاسكندرية (من ٣١ أكتوبر إلى ٣٥ نوفمبر ١٩٣٢) ، نصرح - في صدق و يقين - أن هذه الجماعة قد بدأت تؤتي أطيب الثمرات ، وتؤدي بعض ما في أعناق القائمين بها من حق ودين للأمة التي أنجبتهن .

أولئك هم جماعة نشر الثقافة ، بارك الله فيهم ، وفي مجهوداتهم التي نتمرننا بما سيكون لهم من أثر جليل ، في ما يساهمون به من العمل - في دأب - على خدمة الثقافة الصحيحة ، بمعبد من عن الزهو والادعاء والغرور ، شأن بعض القائمين بجماعاتنا من عشاق الشهرة والظهور ، والمجد لله الذي لا يحمده على المكروه سواء .

وبعد فإن الجزء الذي بين أيدينا حافل بمختلف البحوث الأدبية والعلمية والتاريخية والعلمية ، وما إلى ذلك مما قد نعرض له في فرصة أخرى .

ورجاؤنا إلى شباب الأمة ، أن بقدروا مجهود أولئك الأشبال ، الذين تقوم على أعناقهم « جماعة نشر الثقافة » ليشدوا من أزرها ويساهموا في ما أخذت تقسها بسبيله .

مطبعات مختلفه

مجلة الحديث : العدد الممتاز ١٩٣٣

أصدرت مجلة الحديث الغراء - التي تصدر بطلب ، لصاحبها الأديب الفاضل والصحفي القدير الأستاذ سامي السكيال - عدداً ممتازاً ، لمناسبة دخولها في عامها السابع .

« والحديث » مجلة غنية عن كل تعريف ، لحسبها أن تكون في طليعة المجلات العربية ، التي تخدم الثقافة الأدبية ، وتدعو إلى تحرير الفكر ، وتشجيع الأدب العالي الجديد ، دون الاسفاف إلى استنارة نفوس الجماهير ، واستهوائهم بالموضوعات التجارية ، كما تفعل بعض المجلات ، التي تجعل ههما طه منحصرأ في الكسب المادي دون أي اعتبار آخر .
فلتسر « الحديث » على بركة الله ، وليهنأ صاحبها الفاضل بما وفق إليه من نجاح .

مجلة المناهج

وهذه أيضاً مجلة من أرقى المجلات في بلاد الشرق قاطبة ، تلك هي مجلة « المناهج » التي يصدرها في دمشق الشام ، زميلنا الفاضل والعالم الجليل الأستاذ محمد مأمون عبد الوهاب الأرنؤجاني . وهي المجلة الوحيدة التي وقفها صاحبها الفاضل على خدمة المسذاهب العلمية الروحية الخالصة . ويكفي القارىء أن يعرف أن من موضوعاتها : سر التكوين والنهوض الأصلي للحياة ، ومناجاة الأرواح ، والتنويم المغناطيسى ، والسحر والشعوذة ... الخ . — يعلم مقدار ما يبذل صاحبها الفاضل في خدمة الشرق والعربية من جهود .
فتمنى على همه الأستاذ الأرنؤجاني ، ونرجو لمجلته دوام الذبوع والانتشار ، لينهل من منهل العذب أبناء العربية والشرق في جميع الأقطار .

مجلة الارشاد

لسان حال أئمة المساجد والوعاظ

هذه مجلة ناشئة ، بين أيدينا العدد الثاني منها ، وهو وحده كاف على ما سيكون لها من أثر مليب في تهذيب النفوس الجامحة ، وخدمة الدين الخنيف خدمة منتجة .
ويقيننا أن هذه المجلة الفتية ، سيكون لها أثر في خدمة الاسلام ، إذا لم يستكتب حضرات القائمين بأمرها — في المستقبل — بعض مدعى العلم بالدين ، والذين هم أبعد الناس عن الدين فليحرصوا على أن يكون كتاب المجلة قدوة صالحة ، لتؤدى المجلة رسالتها في صدق ويقين .

مجلة الزهراء

أهدانا حضرة صاحب المضية الأستاذ كمال المغربي مفتى لواء صيدا سابقاً ، العدد الأول من مجلته « الهداية » ، صدر في بيروت بتاريخ ١٥ رمضان المبارك ، حاقلاً بمختلف ضروب الأدب والثقافة ، وقد جعل صاحبها بدل الاشتراك فيما زهيداً جداً — على حد تعبيره — ليتسنى للجميع الاطلاع عليها . فنرجو للزميلة الرواج والذبوع

دار الكتب المصرية

انجزت دار الكتب المصرية طبع كتاب « ديوان نابغة بني شيبان » أحد خول شعراء الدولة الأموية ، وهو كسائر مطبوعات الدار في دقة التصحيح وجمال الطبع ، وثمن النسخة الواحدة منه ٠٠٠ مليمًا للجمهور و ٣٠٠ مليمًا لأصحاب المكاتب أو لمن يشتري منه عشر نسخ فأكثر . ويطلب من دار الكتب المصرية .

ونحن نتمنى هذه الفرصة لنحيى حضرات رجال دار الكتب ، على ما يبذلونه من دقة وعناية في ما يخرجونه من عيون الكتب والمؤلفات .

اعتذار

لدينا مجلة كتب ورسائل ومجلات جديدة ، سنكتب عنها في الأعداد التالية إن شاء الله ، نظراً لضيق المجال الآن . ونتمنى هذه الفرصة لنعذر لحضرات القراء عن عدم نشر أبواب المجلة في هذا الجزء ، للسبب السابق .

انتظروا قريباً

رواية

محادثات الشباب

تأليف الأديب حسن رشاد

(بمعهد التربية)

منقحة ومصححة وبها مقدمة في فن القصة الحديثة بقلم صاحب «المعرفة»

تصدر في أول مارس سنة ١٩٣٣

فهرس

الجزء العاشر من السنة الثانية

	صفحة
للأستاذ مصطفى عبد الرازق	١١٥٩ خاتمة السنة الثانية
للأستاذ مرسى شاكر العنطاوي	١١٦٥ الفلسفة الإسلامية
للأستاذ أحمد الأسكندري	١١٦٩ من والد حزين الى ولد ذفين (قصيدة)
للدكتور طه حسين	١١٧٠ آراء طامة في الشعر والشعراء
للأستاذ خليل بك مطران	١١٧٣ » » » » »
للمحجر	١١٧٧ » » » » »
للأستاذ محمد فريد وجدي بك	١١٨٠ حرية الفكر في الشرق
للأستاذ أحمد فهمي العمروسي بك	١١٨٣ أسرار النفس وعلاقتها بالنفس
للدكتور عبد الرحمن شهنند	١١٨٦ التربية في الأسرة
للدكتور أحمد عيسى بك	١١٩٣ هل التاريخ علم ؟
للأستاذ يوسف بك غنيمه	١١٩٨ مارستافات مصر في العصر الإسلامي
للأستاذ أحمد توفيق عياد	١٢٠١ مملكة الجيرة في أيامها الأخيرة
للأستاذة زينب الحكيم	١٢٠٦ أسلوب التفكير في الأزهر
للدكتور علي منظر	١٢٠٩ ماذا ينبغي أن يقرأ ملك ؟
للدكتور حسين الأهرابي	١٢١٧ اتحاد شعراء جوتنجن
للأستاذ أمين فهمي أحمد	١٢٢٣ المستشرقون وضررهم على الاسلام
للأستاذ مصطفى جواد	١٢٢٦ فتاة اليوم (قصيدة)
للأستاذ إحسان سامي حني	١٢٢٨ في كتاب ابن الرومي
للدكتور محمود فريد	١٢٣٣ اللغات الهندية
للأستاذ محمود تيمور بك	١٢٣٦ البول السكري وعلاجه بالتدبير الغذائي
للأميرة السيدة خير النساء	١٢٤٣ حلم واقفي (قصة مصرية)
للأستاذ أحمد سليمان حزين	١٢٤٩ من رومة إلى مكة
للأستاذ ايزاك موسى شמוש	١٢٥٣ المهجرة
	١٢٥٦ فرنسوا بونتيان
	١٢٥٩ المزارعون العارفون بالصناعات كلها
للأستاذ محمود الحنفي	١٢٦٥ الماني الأفلاطونية عند المعتزلة
	١٢٦٩ مكتبة المعرفة

فهرس الموضوعات العام

للمجلدين الثالث والرابع : السنة الثانية

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
(١)		أقسام اللعب	٤٣٩
ابراهيم باشا معلم المدرسة	١٠٨٨	الأقصوصة الفرنسية	٢١٤
الابن الضال (قصة)	٢٩٨	ألف ليلة وليلة	٣١٢، ١٦١
أبو عامر بن شهيد	٢٨٩، ٧٨	إلى « المعرفة » (قصيدة)	٢٤٠
أبو الفرج الأبيضاء	٤٠١	الأنانية القومية	٨٥١
اتحاد شعراء جوتنجن	١٢١٧	أنا والحب العذري (قصيدة)	٨٤٨
إحدى عجائب صحف التاريخ	٣٥١	أهمية المعتزلة في التاريخ	١٠٨٣
أحلام النائم	٢٦٧	أول مؤتمر في الاسلام وماذا أنتم ؟	٤٨٨
أحلام اليقظة	١٦٩	(ب)	
الأخلاق عند أفلاطون	٩٢٩، ٨١٩	الببليل (قصيدة)	٤١٢
أدب الاسكافي وأسلوبه اللاذع	١٠٥٢	بلو فان أبو التصوف الأوربي وتساوياته	٦٩٥
أدب الأمل والقوة والجمال	٥٩١	بناء العش في مملكة الحيوان	٤٠٥
الأدب الألماني ١٥٠ : ١٥٠ : ٣٥٠ : ٤٤٥ : ٥٦٦ : ٧٠٦		البدل السكري	١٢٣٦، ٨٢
١٢١٧ : ١٠٧٩ : ٩٦٤ : ٨٤٩		بين أدب وعلم النفس	٩٣٨ و ٧٨٠
الأدب التركي	٥٣٧ : ٤١٢ : ٣٤٥ : ١٤٧	بين إنسان وحماة	٣٢٢
الأدب الحضرمي وعلاقته بمصر	٥٣٢	بين ذكاء الإنسان والحيوان	٩٧
الأدب الروسي : مميزاته	٤٧	(ب)	
الأدب الميت	١٩٣	التابو أو اللامساس	٢٢٧
الأدب وعلم النفس	٩٣٨، ٧٨٠	تاريخ استعمار انكلترا للهند الصينية	٩٨٨
الأدب والفوتوغرافيا	١٠٨	تاريخ حياة ألف ليلة وليلة	٣١٢ و ١٦١
آراء عامة في الشعر والشعراء	١١٧٠ و ١٠٢٩	تاريخ الخرافات	٩١
الارادة والعمل	٣٣	تاريخ مصر الحديثة	٩٤٥
أزمة (قصة)	٥٩٥	تجاربني في الحياة	٩٧٣ : ٨١٤ : ٥٣٩
أسرار النفس وعلاقتها بالنفس	١١٨٣	التدبير الغذائي في علاج البول السكري	١٢٣٦، ٨٢
الاسكندرية في أوج عظمتها	٤٥٥	التربية في الأسرة	١١٨٦ : ١٠٥٧
أسلوب التفكير في الأزهر ٨٣٨ : ٩٢٦ : ١٢٠٦		التربية والتعليم عند العرب والافرنج	٢٧٣ : ٢٦
أغنية الفنان (قصة)	٧٤٨		

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
التصليّة المزلّية	١١٣ : ٢٣١	(خ)	
التصوف في الشرق والغرب	١٠٦٢	خاتمة السنة	١١٥٩
التناسل وطرقه	٦٠٨	الخراائط وتاريخها	٩١
توماس هود وأغنية القبيص	٥٧٣	الخط العربي	٥٥٨
(ث)		الخطبة والخطباء في الاسلام	٣٦
ثروة المعادن الاقتصادية في أفريقية	٣٣٣	خواطر وتقذات	٢٤٢ : ٢٧٢ : ٤٩٥
الثقافة الاسلامية المدرسية	٦٨١	(د)	
الثقافة بين الشرق والغرب (قصيدة)	١١٣٧	دجلة (قصيدة)	٥٢
الثورات	٧٣١	دموع الملوك	٣٦٩
(ج)		الدولة الفاطمية واقراضها	٢٧٩
الجاحظ	٦٥٣	ديوان ابن زيدون (قد)	٩٧٧
جمعية الشبان الحجازيين	٢٤١	(ذ)	
الجندي المجهول (قصة)	٢٣٥	ذكرى الحب (قصيدة)	٨٧٢
الجوهر الفرد بين الفلسفة والعلم	٨٢٥	ذكريات من إيطاليا	٩٣٢ : ١١٠١
(ح)		(ر)	
حافظ ابراهيم	٤٩٧	رابندراناث تاغور (قصيدة)	١٥٩
الحب بين العلم والفلسفة	٩٠١	الراديوم	١٣٤
الحب والذكراية	٩٣٨	رأى فرويد في الأحلام	٤٠٨
حبشية قلبي (قصيدة)	٥٤	رثاء سيف الاسلام الأمير محمد	٣٦٩
الحركة الأحمدية	١٠٠٤ : ٨٦٩	رجاء (قصة)	٨٧٣
حرية الفكر في الشرق	١١٨٠	الروح وماهيتها	١١٢٥
حظ الأدب في مصر (قصيدة)	٩٦	ريفرز ورأيه في الأحلام	٦٧٣
الحقيقة والحياة	٩	(ز)	
الحكمة الصينية	٣٢٩ : ١٤	الزواج :	٧٥٨ : ٤٤٦ : ٨٧٤ : ٦٠
حلاق أنطاكية	٩٥٠	الزوج والزوجة وواجبات كل منهما	٥٨٦
حلم واقضى (قصة)	١٢٤٣	(س)	
حول مقال الدكتور مله حسين	١١٣٣	ساعة في بيت سرب	٩٩٤

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
سعد زغول	٥٢١	(غ)	
الصلاح والخدر	٧٩١	الغريزة الجنسية	٨٠٩
(ش)		الغزال الشاعر	٥٥٠
شباب الشيطنة أو شيطنة الشباب	١٠٤٤	(ف)	
الشعر ونبته	٢٣	فاطمة (قصة)	١٠٢
الشعر (قصيدة)	٣٣٦	الثقاة المصرية في المدرسة والبعثة والمنزل	٦٥٥
الشعر الجاهلي	٣٩٦ ، ١٥٥	فتاة اليوم (قصيدة)	١٢٢٦
شعر الزهد والنشأوم	٢٦٣	الفرق بين اللعب والعمل	٥٦٩
الشعر والشعراء	١١٧٠ ، ١٠٢٩	فرنسوا بودنجان	١٢٥٦
شعر	٤٤٥ ، ٣٠٥ ، ١٥٠	فضل للمستشرقين على اللغة العربية	٤١٥
شوقي	٧٧٣	الفلسفة الإسلامية	١١٦٥
(ض)		فلسفة التاريخ الإسلامي	٣٦٢
ضحايا الحب (قصة)	٩٩٧	فلسفة الحقوق الجزائية	٤٦٢ ، ٣٥٣
الضمير	٢٨٥ ، ١٩٧ ، ٥٥	فلسفة العلوم الرياضية	٦٦٨ ، ٤٩١ ، ١٤١
(ط)		الفنار وحارس الفنار ودلفين (قصيدة)	١٤٥
الطبيعة في فلسفة أفلاطون	٣٣٩	فؤاد الأول	٦٤٧
طرق التناسل المختلفة	٦٠٨	الفوتوغرافيا والأدب	١٠٨
طريقة التأريخ	٢٢١	في الاقصر	٣٤٥
(ع)		في جنب دجلة (قصيدة)	٥٢
طائفة الحب في نظر العلم والفلسفة	٩٠١	في الخط العربي	٥٥٨
العالم : كيف خلق وكيف تطور ؟	٥٦١ ، ٨٥٤	في علم النفس	٧٩٦
	٨٦٦ ، ٧٢٧	في كتاب ابن الرومي (نقد)	١٢٢٨ ، ١١١٧
عباس محمود العقاد	٤٧١	فيلاند الألماني	٩٦٤
عتب الحبيب (شعر)	٥٦٨	الفيلم الناطق	٥٤٥
عشائر البدو الرحل	١١١٢	(ق)	
علم النفس :	٧٩٦ ، ٩٣٨ ، ٧٨٠ ، ٤٩٧	القراءة والقراءات	١٧
العلوم الرياضية عند قدماء المصريين	٢٥٩	القواعد الجديدة في العربية	٥٥٣ ، ١٧٣
عوائق الضمير	١٩٧	قوة الحيوية في الشعب المصري	١٠٩٨
علي باشا مبارك	١٨١ و ٤١		

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
محاكمة الحيوانات في القرون الوسطى	٩٠٩	(ك)	
الحمامة : قديماً وحديثاً	٣٤٩	كره العرب للحداثة	٩٦٢
مدام دي ستال و نابليون	٧١٢	كلام في القراءة والقرائن	١٧
المذهب الحيوى	١٣٨	كاوبشتوك الالماني	٨٤٩
المذهب الهندوسى	٨٣٢	كوفوشيووس	٣٢٩
المرأة	٧٦١ ، ١٢١	كيف تختار الزوجة ؟	١٨٧
المزارعون المارغون بالصناعات كلها	١١٢٩	كيف نعد الفتاة للزواج ؟	٤٦٨
المستشرقون : ١٧٧ ، ١٥٠ ، ٣٠ ، ٢٤ ، ٤٨١ ، ٤٤٨ ، ٧٢٠	١٢٢٣ ، ٧٢٣	كيف ومتى دخل الاسلام الهند الصينية	٢٢٣
مصائب صاحب « المعرفة »	٣٧٠	الكيمياء قديماً وحديثاً	٨٥٤
مصر في نظر عالم الماني	١٠٦٩	(ل)	
المعاني الافلاطونية عند المعتزلة	٧٠٠ ، ٤٣٣	الاخميون في الحيرة	٨٠١ ، ٦٦١
معجزة الفيلم الناطق	٥٤٥	السنج	٧٠٦
المعتزلة : ٤٣٣ ، ٢١٧ ، ٧٠٠ ، ٨٤٢ ، ٩١٨	١٢٦٥ ، ١٠٨٣	اللعب	٥٦٩ ، ٤٣٩ ، ٢٥٣ ، ٢٠٩
« المعرفة » : تهتة لها	٢٤٠	اللغات الهندية	١٢٣٣
« المعرفة » في سنتها الثانية	٥	لو كنت وزيراً للمعارف	٤١٧
« المعرفة » في فلسفة افلاطون	٢٠١	(م)	
« المعرفة » في نظر زميلاتها	٨٧٩ ، ٣٧٩ ، ٢٥٠	ماذا ينبغي أن يقرأ طفلك ؟	١٢٠٩
معركة الدردنيل	١٤٧	مارشامات مصر	١١٩٨ ، ١١٢١
معنى الحياة	٧٣٤	مارتين لوثر	٥٦٦
مقدور (قصة)	٤٢٥	ما مصير السكون ؟ (قصيدة)	٦٨٠
ملكة الحيرة في أيامها الاخيرة	١٠٧٣ ، ٩١٣	ما هي الذرة ؟	٩٦٩
مناجاة قلب بألس (قصيدة)	٧٣٣	الثنائي (شعر)	١٧٦
مميزات الادب الروسى	٤٧	المثل الأعلى للزوجية	٦٠
من والد حزين (قصيدة)	١١٦٩	المجر كاعرفتها	٦١٧
من رومة الى مكة	١٢١٩	المجمع العلمى العربى بدمشق	٧٣٧
		المجمع العلمى المصرى	٧٨٥
		مجموعة الراديو	١٣٤
		لحكاية أو التقليد	٨٠٦

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	(ه)	٣٨٩	المنفلوطي
١٠٧٩	هرذر الالماني	١٢٥٣	المهاجرة
١٠٩٣	هل التاريخ علم ؟		(ن)
	(و)	٥٢٩	النباتيون والحميون
٢٨٤	وا أماء (قصيدة)	٢٣	نبعة الشعر
٢١٧	واصل بن عطاء	٢٨٩	نثر ابن شهيد
٠٦٥	واجبات المربي	٤٠١	نثر أبي الفرج البغداد
٤٣٨	وحدة الوجود (قصيدة)	٧٢٣ ، ٣٠٢ ، ١٧٧	نحن والمستشرقون
٧٣٠	وداع (قصيدة)	٥٣٧	نشد الاستقلال
٢٢٦	وردة ثمر	١٣٨	فطرة في المذهب الحيوي
٤٤٨	وصف العود (قصيدة)	٣٢٣	فطرية الاعداد للحياة المستقبل
	(ي)	١١٠٥ ، ٩٣٣	فطرية الكواكب
٨٥٩ ، ٥٧٧	اليابان ونظمها التعليمية	٧١	فطريات في نشأة التطور الأخلاق
١٠٩٣ ، ٩٥٤		٤٤٩	النفس والله في فلسفه أفلاطون
٢٩٦	اليتيم (قصيدة)	١٩٢	النهضة النسائية في مصر (قصيدة)
		٦٨٩	النيرون بعد الالكترتون والبروتون

ابواب المعرفة

٨٨٠٤٧٥٤٤٦٢٣٤٣٧٢	... بين المتناظرين
١١٥٠٤١٠١٩٤٨٩٠٠٧٦٥٤٦٣٥٤١٥٠٤١٢٦	.. بين المعرفة وقراءتها
١١٤٠٤١٠١٠٠٧٥٦٤٥١٠٤٦٢٨٠١١٨	... العلوم والفنون
٨٨٤	... فكاهات
٨٨٥٤٧٦٣٤٦٢٩٤٥٠٥٤٣٧٦٤٢٤٦٤١٢٤	... مكتبة المعرفة
١٢٦٩٤١١٤٦٤١١٠٥	
١١٤٤٤١٠١٤٤٧٥٨٤٥٠١٠٣٧٣٤٢٤٤٠١٢١	... ملكة المرأة والبيت

كتاب

خلاصة علم النفس

تأليف الاستاذ أحمد فؤاد الاهواني

[مدرس علم النفس بالمدارس الثانوية]

يباع بالمكاتب الشهيرة بالقاهرة وثمانه ١٠ قروش صاغ

مجموعه (المعرفة)

في أربعة مجلدات كبيرة

كل سنة تحتوى مجلدان



تطلب من الادارة مجاميع أو أعداداً بالقيم الآتية :

٥٠ قرشاً عن مجموعة السنة الأولى (لمصر والسودان) و ١٥ شلناً انجليزياً للخارج

٤٠ قرشاً عن مجموعة السنة الثانية (لمصر والسودان) و ١٢ شلناً انجليزياً للخارج

٢٥ قرشاً عن المجلد الواحد (لمصر والسودان) و ٨ شلنات انجليزية للخارج

٤ قروش عن العدد الواحد (لمصر والسودان) و شلن انجليزى واحد للخارج

ترسل القيمة إما طوابع بريد مصرية أو عملة أجنبية

ويجب إرسالها مقدماً لكي لا يشكف الطالب برسم التحويل

الادارة : رقم ٤ شارع عبد العزيز بالقاهرة